

إقرار

أنا الموقع أدناه مقدم الرسالة التي تحمل العنوان:

(الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف الحزب الخمسين من القرآن الكريم)

"سورة الزخرف الآيات: 24-89 سورة الدخان الآيات: 1-59 سورة الجاثية الآيات: 1-37"

أقر بأن ما اشتملت عليه هذه الرسالة إنما هو نتاج جهدي الخاص، باستثناء ما تمت الإشارة إليه حيثما ورد، وإن هذه الرسالة ككل أو أي جزء منها لم يقدم من قبل لنيل درجة أو لقب علمي أو بحثي لدى أي مؤسسة تعليمية أو بحثية أخرى.

DECLARATION

The work provided in this thesis, unless otherwise referenced, is the researcher's own work, and has not been submitted elsewhere for any other degree or qualification

Student's name:

اسم الطالب: مبارك تومس إمام

Signature:

التوقيع: [مبارك تومس إمام]

Date:

التاريخ: 2015/07/29



الجامعة الإسلامية - غزة
عمادة الدراسات العليا
كلية أصول الدين
قسم التفسير وعلوم القرآن

(الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف الحزب الخمسين من القرآن الكريم)

"سورة الزخرف الآيات: 24-89" سورة الدخان الآيات: 1-59 سورة الجاثية الآيات: 1-37"

**The analytical study
The purposes and objectives of the fifty party
(from Sura of alzoghrof 24 to Sura of aljathiya37)**

إعداد الباحث

جواد توفيق إسلام

الرقم الجامعي

(120140011)

إشراف الدكتور

عبد الكريم حمدي الدهشان

قدمت هذه الخطة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في التفسير وعلوم القرآن

1436هـ - 2015 م



نتيجة الحكم على أطروحة ماجستير

بناءً على موافقة شئون البحث العلمي والدراسات العليا بالجامعة الإسلامية بغزة على تشكيل لجنة الحكم على أطروحة الباحث/ جواد توفيق حسين اسليم لنيل درجة الماجستير في كلية أصول الدين/ قسم التفسير وعلوم القرآن وموضوعها:

(الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف الحزب الخمسين من القرآن الكريم)

"سورة الزخرف الآيات:24-89 سورة الدخان الآيات:1-59 سورة الجاثية الآيات: 1-37"

وبعد المناقشة التي تمت اليوم الأربعاء 28 رمضان 1436هـ، الموافق 2015/07/15م الساعة الثانية عشرة ظهراً، اجتمعت لجنة الحكم على الأطروحة والمكونة من:

.....	مشرفاً و رئيساً	د. عبد الكريم حمدي الدهشان
.....	مناقشاً داخلياً	د. جمال محمود الهوبي
.....	مناقشاً خارجياً	د. مروان محمد أبو راس

وبعد المداولة أوصت اللجنة بمنح الباحث درجة الماجستير في كلية أصول الدين/ قسم التفسير وعلوم القرآن.

واللجنة إذ تمنحه هذه الدرجة فإنها توصيه بتقوى الله ولزوم طاعته وأن يسخر علمه في خدمة دينه ووطنه.

والله ولي التوفيق ،،،

مساعد نائب الرئيس للبحث العلمي والدراسات العليا

أ.د. فؤاد علي العاجز
Research & Graduate Affairs

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

{ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا }

[الإسراء: 9].

{ وَنُنزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا }

[الإسراء: 82].

{ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ }

[القمر: 22].

{ لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا
لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ }

[الحشر: 21].



الإهداء

- إلى خاتم النبيين وإمام المرسلين محمد بن عبد الله صلوات ربي وسلامه عليه .
- إلى الذين بذلوا عمرهما وجهدهما ومالهما في سبيل تعليمي وتربيتي وأعطيانني من حبهما وشفقتهم ما لا قدرة لي على أداء حقه، ووفاء قدره، إلى روح والدي العزيز رحمه الله ووالدتي الكريمة حفظها الله.
- إلى روح الشهيد المجاهد أبو محمد الجعبري - رحمه الله ، وأدخله فسيح جناته .
- إلى جميع أرواح الشهداء الأبطال الذين قدموا أرواحهم فداءً للدين والوطن .
- إلى زوجتي وأبنائي الأعزاء .
- إلى إخواني وأخواتي حفظهم الله تعالى .
- إلى أستاذي الفاضل الدكتور عبد الكريم الدهشان: حفظه الله تعالى .
- إلى جميع أقاربي وأصدقائي في العمل والدراسة .
- إلى كل هؤلاء وإلى المسلمين عامة .
- سائلاً المولى عز وجل أن يتقبله مني وأن يجعله في ميزان حسناتنا جميعاً يوم القيامة.
- إنه ولي ذلك والقادر عليه.

شكر ونقد

يقول الله تعالى: {وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ} [النمل: 40] ، ويقول الرسول ﷺ من لا يشكر الناس لا يشكر الله" (1)، واعترافاً مني بالفضل لأهله أتقدم بجزيل الشكر والتقدير والعرفان إلى : أستاذي الفاضل الدكتور عبد الكريم الدهشان "حفظه الله"، حيث يقف لساني عاجزاً عن شكره لقبوله الإشراف علي، فقد منحني الكثير من وقته وجهده وخبرته، فلم يبخل علي بتوجيهه ونصحه وإرشاده، فنعم المشرف الذي لمست فيه العلم الوافي، والنصيحة السديدة وسعة الصدر، وكان له الفضل الكبير بعد الله تعالى في إخراج هذه الرسالة المتواضعة، متمنياً له وافر الصحة ودوام العافية، كما أتقدم بجزيل الشكر والتقدير إلى الأستاذين الفاضلين، وعضوي لجنة المناقشة:

الأستاذ الدكتور : مروان محمد ابو راس- مناقشاً خارجياً.

والأستاذ الدكتور :جمال محمود الهوبي- مناقشاً داخلياً

لتفضلهما بقبول مناقشة هذه الرسالة ، وكلي ثقة بالله أولاً، ثم بهما بأن اجعل ملاحظتهما النافعة حول هذا البحث، لها بالغ الأثر في إثرائه وإخراجه في أحسن صورة، فجزاهما الله عنا خير الجزاء

وأتقدم بخالص الشكر والامتنان إلى كلية أصول الدين التابعة للجامعة الإسلامية وأساتذتها الأجلاء، وعلى بذلها، وعطائها المستمر .

كما وأشكر عمادة الدراسات العليا بالجامعة الإسلامية وأخص بالذكر قسم التفسير وعلوم القرآن :على ما بذلوه من جهد عظيم، وأخص بالشكر العميق أعضاء الهيئة التدريسية الأفاضل بقسم التفسير وعلوم القرآن، والشكر موصول إلى رئاسة الجامعة الإسلامية وإدارتها.

وكذلك أشكر القائمين على مكتبة الجامعة الإسلامية لما وفروه من خدمة لطلاب وطالبات العلم. ولا أنسى الشكر الجزيل لزوجتي العزيزة وأبنائي الكرام على ما وفروه لي من جو مناسب لكتابة هذه الرسالة، وأخص بالذكر ابنتي العزيزة إسلام: التي وقفت جانبي طوال فترة الدراسة وعلى جهدها الكبير في كتابة هذه الرسالة.

1 - سنن الترمذي، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في الشكر لمن أحسن إليك،(ج4ص239) ، (ح 1954) قال الترمذي: حديث صحيح.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين حمد الشاكرين ،الحمد لله الذي هدانا للإسلام، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، والصلاة والسلام على نبيه محمد المصطفى، صاحب المقام المحمود، واللواء المعقود، والحوض المورود، خاتم الأنبياء، إمام المجاهدين وسيد المرسلين، الذي تركنا على المحجة البيضاء، ليلها كنهارها، لا يضل سالكها، ولا يهتدي تاركها، وعلى آله وأصحابه نجوم الهدى، وزين الورى، ومن أحبهم إلى يوم الفناء، وزوال الأرض والسماء .

أما بعد:

فان علم التفسير من أجل فنون العلم وأشرفها،لأنه يتعلق بكلام الله عز وجل ، فعلم التفسير هو علم الإسلام، بل هو علم النفوس البشرية، ومن خلاله يتم التعرف على المقاصد الأساسية للقران الكريم، وكيفية تحقيقها في حياة المسلمين.

والوصول إلى مقاصد وأهداف الآيات يحتاج إلى معرفة عدد من العلوم، وهذا يحتاج إلى زيادة جهد، فهو علم يقوم على الفهم والتدبر والاستنباط الدقيق للنص، فلم يكن الصحابة، رضى الله عنهم ليتجاوزوا العشر آيات حتى يتعلموا ما فيها من العلم والعمل.

والعمل لا يكون إلا بعد علم وبعد فهم وتدبر لمعاني القرآن الكريم، والفهم والتدبر لا يكون إلا بعد الكشف عن مرامي القرآن الكريم، وبيان معانيه، وحل ألفاظه، وجلاء دلالاته.

فان الاعتناء بالتفسير، يدفعك بالغوص فى أسراره، والعمل بأحكامه، والتخلق بأدابه،ولكون هذا العلم (علم التفسير) هو من أشرف العلوم وأجلها، فينبغي لطالب العلم العناية به، فإن الله عز وجل أمر بتدبر كتابه، وفهم معانيه، والتفكر في آياته، فقال سبحانه" أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا" (النساء:82).

فلذلك كان لا بدّ من الوقوف على أهدافه ومقاصده ومرامييه، من خلال هذا البحث .

عنوان البحث:

(الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف الحزب الخمسين من القرآن الكريم)

" سورة الزخرف الآيات:24-89"سورة الدخان الآيات:1-59 سورة الجاثية الآيات: 1-37"

أولاً: أهمية الموضوع وأسباب اختياره:

- 1- الخروج من حالة التردى التي يعيشها المسلمون اليوم في حياتهم ، وهذا يتطلب منا دراسة معمقة للنصوص القرآنية، للوقوف على معانيها من خلال تفسير القرآن الكريم.
- 2- تعلق موضوع الدراسة بأشرف الكتب وأجلها على وجه الأرض، ألا وهو القرآن الكريم، فالاشتغال فيه من أعظم الأعمال وأجل الخصال.
- 3- اطلاع القارئ على معالم الطريق الموصلة إلى مرضاة الله رب العالمين، وسعادته في الدارين.

4- تعميق النظر في كتاب الله تعالى، والتفكر والتدبر في آياته، والغوص في ثنايا النصوص لاستخراج المكنون فيها.

5- بيان المقاصد والأهداف للآيات التي من شأنها أن تبعث على رسوخ الإيمان في النفس، والعناية بالقرآن، والإقبال عليه، والتحاكم إليه.

6- خدمة القرآن الكريم من أشرف الأعمال وأحبها إلى الله .

7- حاجة المسلمين اليوم إلى فهم كلام الله تعالى الذي هو مصدر شريعتهم، وسبيل هدايتهم وهو عصمتهم من الأهواء .

8- رغبة المسلمين اليوم في دراسة كتاب الله وفهمه، والعمل به، وتدبر معانيه.

9- يعد هذا الموضوع من الموضوعات المتصلة بقضايا العصر الحاضر، وهو ممتد إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

10- كيفية الوصول إلي الحقائق العلمية و الاستفادة منها في البرهنة علي أن القرآن وحي الهي.

ثانياً: أهداف البحث:

1- نشر علم التفسير بحكمة وصيانة من التأويل الباطل مع التحري والتدقيق.

2- خدمة الدعوة إلى الله تعالى، حيث جاء هذا البحث للمساهمة في بيان مقاصد وأهداف سور القرآن الكريم وآياته.

3- بيان الموضوعات الأساسية للحزب الخمسين من سورة الزخرف والدخان والجاثية وإظهار مقاصدها العامة، وأهدافها التي تهدف لترسيخها في المجتمع الاسلامى .

4- فتح آفاق جديدة أمام الباحثين، وذلك من خلال الموضوعات التي سيتم طرحها في هذا البحث، وما سيتوصل إليه الباحث من النتائج والتوصيات.

5- إثراء المكتبة الإسلامية بهذا النوع من التفسير .

6- طلباً للأجر والثواب من الله عز وجل وابتغاء مرضاته، وذلك من خلال خدمة كتاب الله، والمساهمة في بيان مقاصد وأهداف القرآن الكريم، وربطها بالواقع المعاصر .

ثالثاً: الدراسات السابقة:

لقد جاء هذا البحث استكمالاً لسلسلة الأبحاث التي تم اعتمادها في قسم التفسير وعلوم القرآن بكلية أصول الدين في الجامعة الإسلامية، والتي تتناول الدراسة التحليلية للمقاصد والأهداف المتنوعة والمختلفة لآيات القرآن الكريم وسوره، وكان عنوان هذا البحث: (الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف الحزب الخمسين من القرآن الكريم) " سورة الزخرف الآيات: 24-89" سورة الدخان الآيات: 1-59 سورة الجاثية الآيات: 1-37".

رابعاً: منهج البحث.

1- سيتبع الباحث المنهج التحليلي في التفسير، بتحليل مقاصد وأهداف السورة، وسيكون عملي في البحث على النحو التالي:

2- تقسيم آيات الحزب الخمسين إلى فصول يتفرع عنها عدة مباحث، جاعل لكل مبحث آياته المناسبة له، حسب موضوع آيات البحث نفسه، وسأقوم بتحديد واكتشاف ما تحويه آيات كل مبحث من مقاصد وأهداف وتحليلها وسأقوم بالاستشهاد لهذه المقاصد والأهداف بالمنهج التحليلي بما فيه من أدوات متعددة تخدم هذا المنهج من: علوم القرآن، والسنة النبوية، وإعجاز القرآن، وعلوم اللغة، والبلاغة، وأسباب النزول إن وجد، وغيرها.

طريقة التوثيق:

اعتمدت طريقتاً للتوثيق على النحو التالي:

- 1- تعريف المصطلحات من مصادرها المعتمدة .
- 2- توثيق المصادر والمراجع في الحواشي مبتدئاً بالكتاب، ثم الجزء و رقم الصفحة ، ثم اسم المؤلف، وسنة النشر، وعندما يتكرر المرجع أكتفي باسم الشهرة والمرجع وسأكتفي بالتوثيق الكامل في فهرس البحث حسب الحروف الهجائية.
- 3- كتابة الآيات مضبوطة بالحركات وبالرسم العثماني، وإبراز النصوص بخط غامق لنتميز عن غيرها. وعزو الآيات إلى مواضعها في السور، بذكر اسم السورة، ورقم الآية.
- 4- الرجوع إلى المراجع الأصلية والمعتمدة من كتب التفسير وغيرها.
- 5- يقوم الباحث بعزو الأحاديث إلى مصادرها، حيث ذكر الكتاب، والباب، ورقم الجزء والصفحة ورقم الحديث إن وجد في هامش الصفحة، وإظهار حكم العلماء عليها ما أمكن
- 6- الاستعانة بالمعاجم اللغوية لبيان وتوضيح غريب الألفاظ إن وجد.
- 7- عزو الأقوال المقتبسة لأصحابها وذلك في مواضع الاقتباس وتوثيقها حسب الأصول المتبعة في ذلك، مع مراعاة الأمانة العلمية.
- 8- عمل الفهارس اللازمة للبحث :أولا كتب التفسير وعلوم القرآن، ثم كتب الحديث، الموسوعات، والمعاجم والتراجم، المراجع العربية، الرسائل والنشرات، الكتب الثقافية، الكتب المترجمة، مواقع الشبكة العالمية للمعلومات.
- 9- عمل تراجم للأعلام المغمورين، الذين سيردون في البحث.
- 10- تحليل مقاصد وأهداف الحزب الخمسين تحليلاً دقيقاً، واستنباط ما فيها من معاني، وربطها بالواقع الذي نعيش.

خامساً: خطة البحث.

يتكون هذا البحث من مقدمة وتمهيد وأربعة فصول وخاتمة ، كما يلي:

أما المقدمة فتشتمل على:

أولاً: أهمية الموضوع وأسباب اختياره.

ثانياً: أهداف البحث.

ثالثاً: الدراسات السابقة.

رابعاً: منهج البحث.

خامساً: خطة البحث.

التمهيد : ويشتمل على ثلاثة مباحث:

المبحث الأول : تعريف الدراسة التحليلية والمقاصد والأهداف:

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: تعريف الدراسة التحليلية وبيان متطلباتها.

ويشتمل على:

أولاً : المقصود بالدراسة التحليلية.

ثانياً : متطلبات الدراسة التحليلية.

المطلب الثاني: تعريف المقاصد والأهداف وبيان أهميتها،

ويشتمل على:

أولاً : تعريف مقاصد وأهداف السور والآيات.

ثانياً : أهمية معرفة مقاصد وأهداف السور والآيات.

ثالثاً : طرق معرفة مقاصد السور والآيات.

رابعاً: أهم المصنفات في مقاصد وأهداف السور والآيات.

المبحث الثاني: تعريف عام بسورة الدخان

ويشتمل على:

أولاً : أسماء السورة وعدد آياتها.

ثانياً : مكان وزمان نزول السورة.

ثالثاً : فضائل السورة وجو نزولها.

رابعاً : محور السورة وخطوطها الرئيسية.

خامساً : موضوعات السورة ومقاصدها العامة.

المبحث الثالث: تعريف عام بسورة الجاثية.

ويشتمل على:

أولاً : أسماء السورة وعدد آياتها.

ثانياً : مكان وزمان نزول السورة.

ثالثاً : فضائل السورة وجو نزولها.

رابعاً : محور السورة وخطوطها الرئيسية.

خامساً : موضوعات السورة ومقاصدها العامة.

الفصل الأول

الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف الربع الأول من الحزب الخمسين

(سورة الزخرف الآيات 24-56)

ويشتمل على ستة مباحث:

المبحث الأول

المقاصد والأهداف لسورة الزخرف الآيات (24-29).

وفيه ستة مطالب:

المطلب الأول: إتباع هدى القرآن الكريم .

المطلب الثاني: عاقبة المكذبين.

المطلب الثالث: وجوب البراءة من الشرك والمشركين.

المطلب الرابع: فضيلة من يورث أولاده هدى وصلاً.

المطلب الخامس: نزول العذاب بالأمم المكذبة للرسول.

المطلب السادس: تعنيف الكفار بسبب تكذيبهم للحق.

المبحث الثاني

المقاصد والأهداف لسورة الزخرف الآيات (30-35).

وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: ادعاء الكفار بان القرآن سحر.

المطلب الثاني: الْحُكْمُ لِلَّهِ وَحْدَهُ.

المطلب الثالث: هوان الدنيا على الله عز وجل.

المطلب الرابع: الميل للدنيا وبيان زينتها.

المطلب الخامس: متاع الدنيا زائل

المبحث الثالث

المقاصد والأهداف لسورة الزخرف الآيات (36-40).

وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: تسليط الشيطان على جاحد الحق.

المطلب الثاني: الشَّيْطَانُ لا يتورع عن صد الإنسان.

المطلب الثالث: براءة الكافر من الشيطان يوم القيامة.

المطلب الرابع: الشياطين والكفار يعذبون يوم القيامة.

المطلب الخامس: إن هدى الله هو الهدى .

المبحث الرابع

المقاصد والأهداف لسورة الزخرف الآيات (41-46).

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: سنة الله في المتأمرين على شخص رسول الله.

المطلب الثاني: صدق وعد الله تعالى لرسوله.

المطلب الثالث: وجوب التمسك بالكتاب والسنة اعتقاداً وعملاً.

المطلب الرابع: شرف الله هذه الأمة بالقرآن.

المبحث الخامس

المقاصد والأهداف لسورة الزخرف الآيات (47-51).

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: الآيات دليل على صدق الرسول ﷺ.

المطلب الثاني: السحر وبطلان إتهام موسى عليه السلام به.

المطلب الثالث: حرمة خلف الوعد ونكث العهد.

المطلب الرابع: الفخر والمباهاة من صفات المتكبرين.

المبحث السادس

المقاصد والأهداف لسورة الزخرف الآيات (52-56).

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: حرمة احتقار الفقراء.

المطلب الثاني: الفسق أداة للظالم .

المطلب الثالث: التحذير من غضب الرب تبارك وتعالى.

المطلب الرابع: قَوْمَ فِرْعَوْنَ عبرة لمن بعدهم.

الفصل الثاني

الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف الربع الثاني من الحزب الخمسين

(سورة الزخرف الآيات 57-89 سورة الدخان الايات 1-16)

ويشتمل على ستة مباحث:

المبحث الأول

المقاصد والأهداف لسورة الزخرف الآيات (57-64).

وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول : بيان رسالة عيسى إلى بني إسرائيل.

المطلب الثاني: بيان أن قريشاً أوتيت الجدل والقوة في الخصومة.

المطلب الثالث: ذم القران الجدل الباطل .

المطلب الرابع: شرف عيسى وعلو مكانته.

المطلب الخامس : حرمة إتباع الشيطان.

المبحث الثاني

المقاصد والأهداف لسورة الزخرف الآيات (65-73).

وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: بيان شؤم الخلاف، وآثاره.

المطلب الثاني: تقرير البعث والجزاء.

المطلب الثالث: الصحبة في الله.

المطلب الرابع: الجمع بين الزوجين المؤمنين في الجنة.

المطلب الخامس : بيان نعيم أهل الجنة.

المبحث الثالث

المقاصد والأهداف لسورة الزخرف الآيات (74-80).

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: بيان عقوبة الشرك.

المطلب الثاني: عذاب الآخرة أشد وأنكى.

المطلب الثالث: من عوامل كراهية الحق حب الدنيا.

المبحث الرابع

المقاصد والأهداف لسورة الزخرف الآيات (81-89)

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: بطلان نسبة الولد لله تعالى.

المطلب الثاني: الشفاعة لله وحده.

المطلب الثالث: مشروعية التلطف في الخطاب مع المخاطب.

المطلب الرابع: مشروعية الصفح الجميل.

المبحث الخامس

المقاصد والأهداف لسورة الدخان الآيات (1-8)

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: بيان فضل ليلة القدر.

المطلب الثاني: الإيمان بالقضاء والقدر وإثبات اللوح المحفوظ.

المطلب الثالث: إرسال الرسل رحمة للعباد.

المطلب الرابع: الموت والحياة بيد الله تعالى.

المبحث السادس

المقاصد والأهداف لسورة الدخان الآيات (9-16)

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: صدق الوعد واستجابة الدعاء.

المطلب الثاني: الإيمان عند معاينة العذاب لا يجدي ولا ينفع.

المطلب الثالث: كفر و جحود قريش بدعوة الإسلام.

المطلب الرابع: صدق إخبار القرآن بالغيب

الفصل الثالث

الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف الربع الثالث من الحزب الخمسين

(سورة الدخان الآيات 17-59 سورة الجاثية الآيات 1-11).

ويشتمل على سبعة مباحث:

المبحث الأول

المقاصد والأهداف لسورة الدخان الآيات (17-24).

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: التشابه بين كفار قريش و فرعون.

المطلب الثاني: الاعتبار بالأمم المكذبة الهالكة.

المطلب الثالث: وجوب الاستعاذة بالله تعالى.

المطلب الرابع: مشروعية الدعاء على الظالمين.

المبحث الثاني

المقاصد والأهداف لسورة الدخان الآيات (25-33).

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: سنة الله في نزع النعم وإنزال النقم بمن كفر.

المطلب الثاني: هوان أهل الكفر والفسق على الله .

المطلب الثالث: ذم التكبر والإسراف.

المطلب الرابع: الابتلاء بالخير والشر فتنه.

المبحث الثالث

المقاصد والأهداف لسورة الدخان الآيات (34-42).

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: الإجرام هو سبب الهلاك والدمار .

المطلب الثاني: تقرير عقيدة البعث والجزاء.

المطلب الثالث: تنزه الرب تعالى عن اللعب والعبث .

المطلب الرابع: لا تتفجع قرابة ولا خلة يوم القيامة إلا المتقين.

المبحث الرابع

المقاصد والأهداف لسورة الدخان الآيات (43-50).

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: الزقوم طعام أهل النار .

المطلب الثاني: عظم عذاب النار .

المطلب الثالث: من أنواع العذاب في النار العذاب النفسي.

المطلب الرابع: استحقاق العذاب بالكافرين .

المبحث الخامس

المقاصد والأهداف لسورة الدخان الآيات (51-59)

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: فضل التقوى وكرامة أهلها .

المطلب الثاني: نعيم أهل الجنة.

المطلب الثالث: العبرة والعظة بالقرآن.

المبحث السادس

المقاصد والأهداف لسورة الجاثية الآيات (1-5)

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: عظم شأن القرآن الكريم.

المطلب الثاني: دلائل وآيات.

المطلب الثالث: فضل استخدام العقل السليم في الخير والنفع.

المبحث السابع

المقاصد والأهداف لسورة الجاثية الآيات (6-11)

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: الهداية بنور القرآن.

المطلب الثاني: التشديد على أهل الإفك والآثام.

المطلب الثالث: شر الناس الذي يستهزأ بآيات الله.

المطلب الرابع: لم يغن عن المشرك كفره بالله.

الفصل الرابع

الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف الربع الرابع من الحزب الخمسين

(سورة الجاثية الآيات 12-37).

ويشتمل على خمسة مباحث:

المبحث الأول

المقاصد والأهداف لسورة الجاثية الآيات (12-15).

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: بيان حكمة الإنعام الإلهي على العبد.

المطلب الثاني: جواز الصفح عن الكفار في حال ضعف المسلمين.

المطلب الثالث: المرء لا يؤخذ بذنب غيره.

المبحث الثاني

المقاصد والأهداف لسورة الجاثية الآيات (16-20)

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: المراد بتفضيل الله تعالى بني إسرائيل.

المطلب الثاني: كفر أهل الكتاب كان حسداً للنبي ﷺ وقومه.

المطلب الثالث: وجوب لزوم تطبيق الشريعة الإسلامية.

المطلب الرابع: القرآن كتاب هداية وإصلاح.

المبحث الثالث

المقاصد والأهداف لسورة الجاثية الآيات (21-26).

وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: بطلان اعتقاد الكافرين في مساواة الناس في الجزاء.

المطلب الثاني: التنديد بالهوى والتحذير من إتباعه.

المطلب الثالث: الرد على الدهريين المنكرين للبعث.

المطلب الرابع: بطلان أدلة الكفر.

المطلب الخامس : العلم الصحيح منبثق عن الوحي.

المبحث الرابع

المقاصد والأهداف لسورة الجاثية الآيات (27-32) .

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: تقرير عقيدة البعث والجزاء.

المطلب الثاني: كتابة أعمال العباد.

المطلب الثالث: الإيمان سبب الفوز، و الشرك سبب الخسران.

المطلب الرابع: الظن في العقائد كالكفر بها.

المبحث الخامس

المقاصد والأهداف لسورة الجاثية الآيات (33-37).

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: الاستهزاء بآيات الله وشرائعه كفر .

المطلب الثاني: الجزاء من جنس العمل.

المطلب الثالث: مشروعية الشكر على النعم.

المطلب الرابع: الكبرياء لله وحده.

الخاتمة:

وتشمل على أهم النتائج والتوصيات.

الفهارس وتحتوي على:

1- فهرس الآيات القرآنية.

2- فهرس الأحاديث النبوية.

3- فهرس الأعلام المترجم لهم.

4- فهرس المصادر والمراجع.

5- محتوى الرسالة.

6- ملخص الرسالة باللغة العربية والانجليزية.

تمهيد

المبحث الأول : تعريف الدراسة التحليلية والمقاصد والأهداف

وفيه مطلبان:

المطلب الأول : تعريف الدراسة التحليلية وبيان متطلباتها.

أولاً : المقصود بالدراسة التحليلية:

مصطلح الدراسة التحليلية مركب من كلمتين هما: (الدراسة) ، و(التحليلية).

ويمكن تعريفهما على النحو الآتي:

الدراسة : مصدرٌ (دَرَسَ) ، وَأَقْبَلَ عَلَيْهِ لِيَحْفَظَهُ وَيَفْهَمَهُ وَيَقَالَ دَرَسُ الْعِلْمِ وَالْفَنِّ (1).

وأصلُّ الدراسةِ الرياضَةُ، والتعهدُ للشَّيْءِ، والمدراسُ صاحبُ دراسةٍ كتبهم، وهو البيتُ الذي يدرسون فيه (2).

(درست) بمعنى القراءة والتلاوة ، وَرُوِيَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: (وَكَذَلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ وَلِيَقُولُوا دَرَسْتَ)؛ [الأنعام:105]، قَالَ: مَعْنَاهُ وَكَذَلِكَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ لِكَيْ يَقُولُوا إِنَّكَ دَرَسْتَ أَي: تَعَلَّمْتَ هَذَا الَّذِي جِئْتَ بِهِ عُلِّمْتَ، وَلِيَقُولُوا دُرِسْتَ؛ أَي فُرِّتْ وتُلِيَّتْ (3).

التحليلية:(حلّ) الحاء واللام له فروع كثيرة ومسانئ، يقال حَلَلْتُ الْعَقْدَةَ أَحَلَّهَا حَلًّا، وتقول العربُ: " ياعاقد، اذكر حلا ". والحلال: ضدُّ الحرام، وحلّ: نَزَلَ. يقال حَلَلْتُ بِالْقَوْمِ، وحليلُ المرأة: بعُها ، وحليلةُ المرء: زوجته، وسميَا بذلك لأنَّ كلَّ واحدٍ منهما يحلُّ عندَ صاحبه (4).

التَّحْلِيلُ: تَحْلِيلٌ وَتَفْصِيلٌ الْجُمْلَةِ، لِبَيَانِ أَجْزَائِهَا وَوُضُوفِ كُلِّ مِنْهَا (5).

التحليل هو : عملية تقسيم الكلِّ إلى أجزائه وردَّ الشَّيْءِ إلى عناصره (6).

¹ - انظر: المعجم الوسيط (1/ 279)، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، لإبراهيم مصطفى ، أحمد الزيات ، حامد عبد القادر ، محمد النجار، دار الدعوة.

² - النهاية في غريب الحديث والأثر (2/ 113)، لمجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير (المتوفى: 606هـ)، المكتبة العلمية ،بيروت، 1399 هـ - 1979م ،تحقيق: طاهر أحمد الزاوي ، محمود محمد الطناحي.

³ - انظر: لسان العرب (6/ 79)، لمحمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفي الإفريقي (المتوفى: 711هـ) ،دار صادر ، بيروت ،الطبعة: الثالثة ، 1414 هـ، نقلاً عن ابن عباس.

⁴ - مقاييس اللغة (2/ 20)، لأحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: 395هـ)،تحقيق: عبد السلام محمد هارون ، دار الفكر، 1399هـ - 1979م.

⁵ - انظر: المعجم الوسيط (1/ 194).

⁶ - معجم اللغة العربية المعاصرة (1/ 550)، د أحمد مختار عبد الحميد عمر (المتوفى: 1424هـ) بمساعدة فريق عمل ،عالم الكتب ،الطبعة: الأولى، 1429 هـ - 2008 م.

ويرى الباحث أنه يمكن تعريف الدراسة التحليلية:

بأنها: جهدٌ يقومُ به الباحثُ بدراسة وتحليل السور القرآنية؛ للوصول إلى مقاصدها وأهدافها مستخدماً بذلك أدوات تحليل النص، كعلوم القرآن، والحديث، واللغة، وغيرها، لتسهيل عملية الدراسة.

ثانياً : متطلبات الدراسة التحليلية:

لا بد للباحث أن تتوفر لديه شروط للقيام بالدراسة التحليلية وهي كالتالي:

- 1- تقوى الله عز وجل، لأنها أساس العمل، استناداً لقوله تعالى: "وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ" [البقرة: 282].
- 2- إخلاص النية لله عز وجل فإنه أمر بذلك قائلا: " وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ " [البينة: 5].
- 3- الإلمام بالعلوم ذات الصلة بالتفسير، والتي تعين على فهم النص القرآني، كعلوم العربية وعلوم القرآن، كالناسخ والمنسوخ، وأسباب النزول، وعلوم الحديث والفقه وغيرها.
- 4- رجاحة العقل والقدرة على استنباط النص، وترجيح الأقوال وأراء العلماء عند تعارض الأدلة ظاهراً.
- 5- سلامة الاعتقاد، والابتعاد عن الهوى، وإتباع منهج السلف الصالح والصحابة رضوان الله عليهم لأنهم شربوا من معين النبوة.
- 6- ربط التفسير بالواقع؛ لتوضيح الصورة، ونقلها بشكل مؤثر لتؤدي وظيفتها الكاملة .

المطلب الثاني: تعريف المقاصد والأهداف وبيان أهميتها.

أولاً : تعريف مقاصد وأهداف السور والآيات.

إنَّ المقاصدَ الخمسةَ الدين، والنفس والعقل، والنسل، والمال مهمًّا تنوعت الشرائعُ واختلفت القوانينُ فإنَّها ترمي بأحكامها إلى المحافظةِ على هذه المقاصدِ التي عني القرآنُ بها ؛ فوضع من أصول الأحكام ما يحفظ كيانها ويكفل بقاءها ويدفع عنها ما يفسدها أو يضعف ثمرتها⁽¹⁾.

ومن خلال اطلاعي على بعض الكتب لم أجدُ عند العلماءِ الأوائلِ تعريفاً واضحاً وشاملاً للمقاصد، فقد ذكروا الكلياتِ المقاصديةَ الخمسَ "حفظَ الدين والنفس والعقل والنسل أو النسب والمال" وذكروا المصالح الضرورية والحاجية والتحسينية، وذكروا بعض الحكَم والأسرار والعلل المتصلة بأحكامها وأدلتها⁽²⁾.

فإنَّ مقاصدَ الشارع، ومقاصدَ الشريعة، والمقاصدَ الشرعية، كلُّها عباراتٌ تُستعملُ بمعنى واحدٍ. وهو المعنى الذي نسعى لتعريفه⁽³⁾.

تعريف المقاصد لغة واصطلاحاً :

المقاصد لغة: (الْقَصْدُ) اثْنَانُ الشَّيْءِ وَبَابُهُ ضَرَبَ تَقُولُ: (قَصَدَهُ) وَقَصَدَ لَهُ وَقَصَدَ إِلَيْهِ كُلُّهُ بِمَعْنَى وَاحِدٍ، وَ (الْقَصِيدُ) جَمْعُ (الْقَصِيدَةِ) مِنَ الشَّعْرِ، وَ (الْقَاصِدُ) الْقَرِيبُ يُقَالُ: بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْمَاءِ لَيْلَةٌ (قَاصِدَةٌ) أَي هَيِّئَةُ السَّيْرِ، وَ (الْقَصْدُ) الْعَدْلُ⁽⁴⁾.

الْقَصْدُ: اسْتِقَامَةُ الطَّرِيقِ، وَالْاعْتِمَادُ، وَالْأَمُّ، قَصَدَهُ، وَلَهُ، وَإِلَيْهِ، يَقْصِدُهُ، وَضِدُّ الْإِفْرَاطِ، كَالِاقْتِسَادِ وَمُواصَلَةُ الشَّاعِرِ عَمَلُ الْقَاصِدِ⁽⁵⁾.

¹ - انظر: التشريع الإسلامي صالح للتطبيق في كل زمان ومكان (ص: 107) محمد فهمي علي أبو الصفا، الجامعة الإسلامية، الطبعة: السنة العاشرة، العدد الأول، جمادى الآخرة 1397هـ، مايو، يونيو 1977 م.

² - علم المقاصد الشرعية (ص: 15) نور الدين بن مختار الخادمي، مكتبة العبيكان، الطبعة: الأولى 1421هـ، 2001.

³ - انظر: نظرية المقاصد عند الإمام الشاطبي (ص:5)، أحمد الريسوني، الدار العالمية للكتاب الإسلامي، الطبعة: الثانية 1412 هـ، 1992م.

⁴ - مختار الصحاح (ص: 254) لزين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (المتوفى: 666هـ)، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية، الدار النموذجية، بيروت، صيدا، الطبعة: الخامسة، 1420هـ، 1999م.

⁵ - القاموس المحيط (310) مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (المتوفى: 817هـ)، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، الطبعة: الثامنة، 1426 هـ، 2005 م.

(قصد) القاف والصاد والذال أصولٌ ثلاثة، يدلُّ أحدها على إتيانِ شيءٍ وأمّه، والآخِرُ على اكتنازٍ في الشيء.

فالأصلُ: قصدتهُ قصداً ومقصداً، ومن الباب: أقصدُه السهمَ، إذا أصابه فقتلَ مكانه.
والأصلُ الآخِرُ: قصدتُ الشيءَ كسرتهُ، والقصدُ: القطعةُ من الشيءِ إذا تكسّر، والجمعُ قصد.
والأصلُ الثالثُ: الناقَةُ القصيدةُ: المكتنزة الممتلئة لحما⁽¹⁾.
والقصدُ فِي الشَّيءِ: خلافُ الإفراطِ وَهُوَ مَا بَيْنَ الإسرافِ وَالنَّقْتِيرِ. وَالْقَصْدُ فِي المَعِيشَةِ: أَنْ لَا يُسْرِفَ وَلَا يُقْتَرِ⁽²⁾.

المقاصدُ: جمعُ مقصد، والمقصدُ: مصدرٌ ميميٌّ مشتقٌّ من الفعلِ قصد؛ فيقال: قصد يقصد قصداً، وعليه فإنَّ المقصدَ له معانٍ لغويةٌ كثيرةٌ منها:
1- الاعتماد والتوجه واستقامة الطريق،⁽³⁾ قال الله تعالى: {وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَائِرٌ}، [النحل: آية 9].

2- التوسط وعدم الإفراط: وَالْقَصْدُ: الْوَسْطُ الْعَدْلُ بَيْنَ طَرَفَيْنِ، فَالْقَصْدُ فِي الْمَشْيِ هُوَ أَنْ يَكُونَ بَيْنَ طَرَفِ التَّبَحُّثِ وَطَرَفِ الدَّبِيبِ وَيُقَالُ: قَصَدَ فِي مَشْيِهِ. فَمَعْنَى أَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ: ارْتَكِبِ الْقَصْدَ⁽⁴⁾.
3-(القصد) جاء بمعنى التواضع ومنه قوله تعالى " وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاعْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ، [لقمان الآية: 19].

يقول الطبري رحمه الله: "وتواضع في مشيك إذا مشيت، ولا تستكبر، ولا تستعجل، ولكن اتئد"⁽⁵⁾.
والمعنى: "أقبل على الناس بوجهك تواضعاً، ولا تولهم شقاً وجهك وصفحته، كما يفعل المتكبرون"⁽⁶⁾.

وقال رسولُ الله ﷺ: «لَنْ يُنَجِّيَ أَحَدًا مِنْكُمْ عَمَلُهُ» قَالُوا: وَلَا أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «وَلَا أَنَا، إِلَّا أَنْ يَتَّعَمَدَنِي اللَّهُ بِرَحْمَةٍ، سَدِّدُوا وَقَارِبُوا، وَاعْدُوا وَرُوحُوا، وَشَيْءٌ مِنَ الدُّلْجَةِ، وَالْقَصْدَ الْقَصْدَ تَبَلَّغُوا»⁽⁷⁾.

1 - انظر: مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي (5/ 95).
2- لسان العرب، لابن منظور (3/ 354).
3- علم المقاصد الشرعية، لنور الدين بن مختار الخادمي (ص: 13).
4- التحرير والتنوير (21/ 168)، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى: 1393هـ)، الدار التونسية للنشر، تونس، 1984 هـ.
5- جامع البيان (20/ 146) محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: 310هـ) (310هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، 1420 هـ، 2000 م.
6- الكشف عن حقائق غوامض التنزيل (3/ 497) لأبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: 538هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة: الثالثة - 1407 هـ.
7- صحيح البخاري، (باب: القصد والمداومة على العمل)، (8/ 98)، حديث رقم (6463).

تعريف المقاصد: اصطلاحاً:

هي الكيفيات المقصودة للشارع لتحقيق مقاصد الناس النافعة، أو لحفظ مصالحهم العامة في تصرفاتهم الخاصة، ويدخل في ذلك كلُّ حكمةٍ روعيت في تشريع أحكام تصرفات الناس⁽¹⁾.
المقاصد : هي الغايات التي وُضعت الشريعة لأجل تحقيقها، لمصلحة العباد⁽²⁾.
المقاصد: هي المعاني والحكم ونحوها التي راعاها الشارع في التشريع عموماً وخصوصاً من أجل تحقيق مصالح العباد⁽³⁾.
فالشيخ ابنُ عاشور: ⁽⁴⁾، يُعرّف المقاصد العامة للشريعة بقوله: "مقاصد الشريعة العامة هي المعاني والحكم الملحوظة للشارع في جميع أحوال التشريع أو معظمها، بحيث لا تختص ملاحظتها بالكون في نوع خاص من أحكام الشريعة"⁽⁵⁾.
تعريف: علال الفاسي⁽⁶⁾، المراد بمقاصد الشريعة: الغاية منها، والأسرار التي وضعها الشارع عند كلِّ حكم من أحكامها⁽⁷⁾.
إنَّ "المقصد العامَّ للشريعة الإسلامية هو عمارة الأرض، وحفظ نظام التعايش فيها، واستمرار صلاحها بصلاح المستخلفين فيها، وقيامهم بما كلفوا به من عدل واستقامة، ومن صلاح في العقل وفي العمل، وإصلاح في الأرض، واستنباط لخيراتها، وتدبير لمنافع الجميع"⁽¹⁾.

¹ انظر: مقاصد الشريعة الإسلامية (154)، لمحمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى، 1393هـ)، دار البصائر، الطبعة الأولى، 1998 م، باختصار.

² نظرية المقاصد عند الإمام الشاطبي (ص 7).

³ مقاصد الشريعة الإسلامية وعلاقتها بالأدلة الشرعية، (ص37)، لمحمد بن سعد بن أحمد بن سعود اليبوي.

⁴ رئيس المفتين المالكيين بتونس وشيخ جامع الزيتونة وفروعه بتونس. مولده ووفاته ودراسته بها. عين عام 1932 شيخاً للإسلام مالكيًا. وهو من أعضاء المجمعين العربيين في دمشق والقاهرة. له مصنفات مطبوعة، من أشهرها : مقاصد الشريعة الإسلامية، وأصول النظام الاجتماعي في الإسلام، والتحرير والتنوير في تفسير القرآن، صدر منه عشرة أجزاء، و الوقف وأثاره في الإسلام، و أصول الإنشاء والخطابة، وموجز البلاغة. (الأعلام للزركلي 6/174) .

⁵ مقاصد الشريعة الإسلامية (ص50)، نقلاً عن كتاب: نظرية المقاصد عند الإمام الشاطبي (61)، لأحمد الريسوني. الريسوني.

⁶ هو علال عبد الواحد الفاسي ولد 1910 في بيت علم ودين حفظ القرآن صغيراً تخرج من جامعة القيروان وقاوم المحتل الفرنسي له مؤلفات أهمها مقاصد الشريعة والنقد الذاتي مات 1974 م، مؤسس حزب الاستقلال وزعيم الحركة الوطنية المغربية، وأحد أعلام الحركة الإسلامية الحديثة التي ظهرت في القرن العشرين، التي دعت إلى نوع من السلفية التجديدية، رفقة محمد عبده ورشيد رضا ومحمد الطاهر بن عاشور وغيرهم.

انظر: <http://www.zaharuddin.com/v1/Maqasid%20Shariah.htm>

<http://ar.wikipedia.org/wiki>

⁷ مقاصد الشريعة الإسلامية ومكارمها. (ص7)، لعالل الفاسي، دار الغرب الإسلامي.

من خلال التعريفات اللغوية والاصطلاحية للمقاصد الشرعية التي هي جزء من المقاصد القرآنية
أستطيع تعريف المقاصد القرآنية بالتالي:

هي: المقاصد التي تراعيها الشريعة الإسلامية والتي تهدف إلى تحقيقها لعمارة الأرض، وحفظ نظام
التعايش فيها، وتعمل على تحقيقها في كافة أبوابها التشريعية، لجلب المنافع ودفع المضار.

قسّم بعض العلماء المقاصد إلى ثلاثة أقسام :

- 1- المقاصد العامة: هي التي تراعيها الشريعة الإسلامية وتعمل على تحقيقها في كافة أبوابها
التشريعية، أو في كثير منها ، وهذا القسم هو الذي يعنيه غالبًا المتحدثون عن "مقاصد الشريعة".
- 2- المقاصد الخاصة: هي المقاصد التي تهدف الشريعة إلى تحقيقها في باب معين، أو في أبواب
قليلة متجانسة، من أبواب التشريع.
- 3- المقاصد الجزئية: هي ما يقصده الشارع من كل حكم شرعي، من إيجاب أو تحريم، أو نذب أو
كراهة، أو إباحت أو شرط أو سبب⁽²⁾.

مراتب المقاصد عند الغزالي:

- 1- "ما يقع في محل الضرورات، ويلتحق بأذيالها ما هو تنمة وتكملة لها.
- 2- ما يقع في رتبة الحاجات، ويلتحق بأذيالها ما هو كالتنمة والتكملة لها.
- 3- ما يقع في رتبة التوسعة والتيسير الذي لا ترهق إليه ضرورة، ولا تمس إليه حاجة، ولكن يستفاد به
رفاهية وسعة وسهولة"⁽³⁾.

تعريف الأهداف لغة واصطلاحاً:

الأهداف لغة:

الهِدْفُ: العَرَضُ الْمُنْتَضِلُ فِيهِ بِالسَّهَامِ.

الهِدْفُ: كُلُّ شَيْءٍ عَظِيمٍ مُرْتَفِعٍ. وَفِي الْحَدِيثِ: أَنْ النَّبِيِّ (ﷺ)، كَانَ إِذَا مَرَّ بِهَدْفٍ مَائِلٍ أَوْ صَدَفٍ مَائِلٍ
أَسْرَعَ الْمَشْيَ.

الهِدْفُ كُلُّ بِنَاءٍ مُرْتَفِعٍ مُشْرِفٍ، وَالْجَمْعُ أَهْدَافٌ، وَالهِدْفُ كُلُّ شَيْءٍ مُرْتَفِعٍ مِنْ بِنَاءٍ أَوْ كَثِيبٍ رَمْلٍ أَوْ
جَبَلٍ؛ وَمِنْهُ سُمِّيَ العَرَضُ هَدْفًا وَبِهِ شَبَّهَ الرَّجُلُ العَظِيمُ⁽⁴⁾.

ومنه قول عبد الرحمن لأبي بكر لقد أهدفت لي يوم بدر فضفت عنك⁽¹⁾.

¹ - نفس المرجع، (45-46).

² - انظر: نظرية المقاصد عند الإمام الشاطبي (7-8).

³ - شفاء الغليل في بيان الشبه والمخيل ومسالك التعليل (ص161) أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي
(المتوفى: 505هـ).

⁴ - انظر: لسان العرب (9/346)، مختار الصحاح (ص: 325).

الهِدْفُ: مَا زُفِعَ وَبُنِيَ مِنَ الْأَرْضِ لِلنِّضَالِ، وَالغَرَضُ: الْهِدْفُ، وَيُسَمَّى الْقِرْطَاسُ غَرَضًا، وَهَدَفًا، عَلَى الْاِسْتِعَارَةِ⁽²⁾.

الأهداف اصطلاحاً:

للأهداف عدة تعريفات اصطلاحية، منها:

التعريف الشرعي:

المراد بأهداف الشريعة: مقاصدها التي شرعت الأحكام لتحقيقها، ومقاصد الشارع هي المصالح التي تعود إلى العباد في دنياهم وأخراتهم، سواء أكان تحصيلها عن طريق جلب المنافع أو عن طريق دفع المضار⁽³⁾.

التعريف التربوي:

هي ما انعقد العزم على إحداثها في المتعلم، من تحول في مستوى المعارف والمهارات والمواقف، بشرط أن يقع التثبيت من حصول ذلك التحول إثر فترة من التكوين تحدد مسبقاً⁽⁴⁾.

تعريف الهدف عند المناوي:

الهدف محركا: كل شيء عظيم مرتفع. وقولهم من صنف فقد استهدف أي انتصب كالغرض يرمى بالأقاول⁽⁵⁾.

وردت كلمة هدف أيضاً: في حديث عبد الله بن جعفر قال: أُرِدْفَنِي رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ)، ذَاتَ يَوْمٍ خَلَفَهُ، فَأَسْرَّ إِلَيَّ حَدِيثًا لَا أُخْبِرُ بِهِ أَحَدًا وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) أَحَبُّ مَا اسْتَتَرَ بِهِ فِي حَاجَتِهِ هَدَفٌ، أَوْ حَائِشُ نَخْلٍ، فَدَخَلَ يَوْمًا حَائِطًا مِنْ حِيطَانِ الْأَنْصَارِ، فَإِذَا جَمَلٌ قَدْ أَتَاهُ فَجَرَجَرَ، وَذَرَفَتْ عَيْنَاهُ - قَالَ بَهْزٌ، وَعَفَانٌ: فَلَمَّا رَأَى النَّبِيَّ (ﷺ) حَنَّ وَذَرَفَتْ عَيْنَاهُ - فَمَسَحَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) سَرَاتَهُ وَذَفَرَاهُ، فَسَكَنَ،

¹ - غريب الحديث لابن الجوزي ، (2 / 493)، لجمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: 597هـ)، تحقيق: الدكتور عبد المعطي أمين القلعجي، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، الطبعة: الأولى، 1405 - 1985.

² - انظر: تاج العروس من جواهر القاموس (24 / 487)، لمحمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، أبو الفيض، الملقب بمرتضى، الربيدي (المتوفى: 1205هـ)، تحقيق: مجموعة من المحققين ، دار الهداية.

³ - انظر شفاء الغليل في بيان الشبهة والمخيل ومسالك التعليل (ص103) ، للغزالي.

⁴ - انظر موقع منبر التربية: <http://www.minbr.com/bhaoth7.php>.

⁵ - التوقيف على مهمات التعاريف (ص: 343) لزين الدين محمد المدعو بعيد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري (المتوفى: 1031هـ)، عالم الكتب 38، عبد الخالق ثروت، القاهرة ، الطبعة: الأولى، 1410هـ، 1990م.

فَقَالَ: " مَنْ صَاحِبُ الْجَمَلِ؟ " فَجَاءَ فَتَى مِنَ الْأَنْصَارِ، فَقَالَ: هُوَ لِي يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَقَالَ: " أَمَا تَتَّقِي اللَّهَ فِي هَذِهِ الْبَهِيمَةِ الَّتِي مَلَكَهَا اللَّهُ، إِنَّهُ شَكَا إِلَيَّ أَنَّكَ تُجْبِعُهُ وَتُدْبِيهِ " (1).

ومن معاني الهدف (الغرض)، وقد استعمله النبي (ﷺ) في أكثر من موقف، فعن ابن عباس، أَنَّ النَّبِيَّ (ﷺ) قَالَ: «لَا تَتَّخِذُوا شَيْئًا فِيهِ الرُّوحُ غَرَضًا» (2).

فالأهداف والأغراض بمعنى واحد، وهما: الغاية التي يتحررها طالبها للوصول إلى مراده، ولا تتحقق إلا بالإقدام عليها، وقد تكون الأهداف واحدة أو أكثر، وقد تكون كلية أو جزئية (3).

ومن خلال التعريفات الثلاثة السابقة تبين أن التعريف الأول أقرب إلى الشرعي، والثاني أقرب إلى التربوي، والثالث أقرب إلى التعريف اللغوي.

والذي تميلُ إليه النفسُ في هذا البحثِ في تعريف الهدف القرآني:

هو الوصولُ بالإنسانِ عموماً، والمسلمُ خصوصاً؛ لتحقيق العبودية الخالصة لله تعالى في كافة مناحي الحياة، لتعود بالنفع على العباد في دنياهم وآخرتهم.

وبهذا نعلم أن هدف القرآن الكريم والشريعة الإسلامية: هو مصلحة الإنسان كخليفة في الأرض، وكائن مكرم ومفضل عند الله، وكمسؤول أمامه في يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون، إلا من أتى الله بقلب سليم؛ لأن الله عز وجل استخلفه على إقامة العدل والإنصاف، وعمارة الأرض، وغاية الغايات هي تحقيق السعادة في الدنيا والآخرة، لمن اتبع هداه وانقاد لأمره ونهيه (4).

ثانياً : أهمية معرفة مقاصد وأهداف السور والآيات.

مَنْ مَارَسَ الشَّرِيعَةَ وَفَهَمَ مَقَاصِدَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ عَلِمَ أَنَّ جَمِيعَ مَا أَمَرَ بِهِ لِجَلْبِ مَصْلَحَةٍ أَوْ مَصَالِحٍ أَوْ لِدَرْءِ مُفْسَدَةٍ أَوْ مَفَاسِدٍ أَوْ لِلأَمْرَيْنِ وَأَنَّ جَمِيعَ مَا نَهَى عَنْهُ إِنَّمَا نَهَى عَنْهُ لِدَفْعِ مُفْسَدَةٍ أَوْ مَفَاسِدٍ أَوْ لِجَلْبِ مَصْلَحَةٍ أَوْ مَصَالِحٍ أَوْ لِلأَمْرَيْنِ (5)، ومن هذه المقاصد والأهداف:

1- التأكيد على أن القرآن كتاب دين وهداية وتشريع وعلم وغير ذلك مما يمكن أن تحج إليه المقاصد الإنسانية نلتمس فيه زاداً ينمي المعارف، ويثرى العلوم، ويفتح مغاليق الأمور (1).

¹ - مسند أحمد، باب: حديث عبد الله بن جعفر (3/ 274)، [حكم الألباني: صحيح]، التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان (ج3، ص85).

² - صحيح مسلم، باب: النهي عن صبر البهائم (3/ 1549)، حديث رقم (1956).

³ - انظر: رسم الأهداف (ص: 6) أبو ذر عبد القادر بن مصطفى بن عبد الرزاق المحمدي.

⁴ - انظر: المقاصد العامة للشريعة الإسلامية (ص82)، ليويسف حامد العالم، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، الطبعة: الثانية، 1415هـ\1994م.

⁵ الفوائد في اختصار المقاصد (ص: 53) أبو محمد عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن الحسن السلمي الدمشقي، الملقب بسلطان العلماء (المتوفى: 660هـ)، تحقيق: إياد خالد الطباع، دار الفكر المعاصر، دار الفكر - دمشق، الطبعة: الأولى، 1416.

- 2- تعين على فهم تفسير الآيات القرآنية، وإمكانية تطبيقها في الواقع.
- 3- أن القرآن يرشد إلى المقاصد الصحيحة والمآخذ العقلية الصريحة قال تعالى: "كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقُرْآنُ لَعَلَّكُمْ تُذَكَّرُونَ" (مبارك ليذبروا آياته وليتذكر أولوا الألباب" (ص:29)، أي ذوو العقول(2).
- 4- دعوة الناس إلى الإيمان برسالة الإسلام الخالدة، من خلال إبراز مقاصد الآيات القرآنية.
- 5- من أهمية معرفة مقاصد وأهداف السور ما يتحصل من الخير والإحسان، والثواب العاجل والآجل، لمن اهتدى به، فالهدى أجل الوسائل، والرحمة أكمل المقاصد والרגائب، ولكن لا يهتدي به، ولا يكون رحمة إلا في حق المؤمنين(3).
- 6- التحاكم إلى كتاب الله، فمن حكم به عدل فهو حل لمشكلات الناس جميعاً.
- 7- "الْبَحْثُ وَاسْتِخْرَاجُ الْمَقَاصِدِ مِنْ عَوِيصَاتِ الْأَدِلَّةِ، حَتَّى تَكُونَ طَبَقَاتٍ عُلَمَاءِ الْأُمَّةِ صَالِحَةً- فِي كُلِّ زَمَانٍ- لِفَهْمِ تَشْرِيعِ الشَّارِعِ وَمَقْصِدِهِ مِنَ التَّشْرِيعِ، فَيَكُونُوا قَادِرِينَ عَلَى اسْتِنْبَاطِ الْأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ"(4).
- 8- التنبيه على عظمة القرآن، قال تعالى: {تِلْكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ وَكِتَابٍ مُبِينٍ}، [النمل:1]، فهو أعلى الآيات وأقوى البيّنات، وأوضح الدلالات وأفضل المقاصد، وخير الأعمال، وأزكى الأخلاق(5).
- 9- توسيع مدارك الباحثين في أسرار القرآن الكريم.

ثالثاً : طرق معرفة مقاصد السور والآيات.

الاستنباط المباشر من القرآن والسنة:

ل للوصول والاستدلال على مقاصد وأهداف السور طرق عدة منها:
الطريق الأول: وهو أعظمها، استقراء الشريعة في تصرفاتها، وهو على نوعين:
النوع الأول: أعظمها استقراء الأحكام المعروفة عليها، (الاثل)⁽⁶⁾، إلى استقراء تلك العلة المثبتة بطرق مسالك العلة.

¹ لطائف الإشارات، تفسير القشيري (1/ 36)، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري (المتوفى: 465هـ)، تحقيق: إبراهيم البسيوني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر.

² تفسير ابن كثير (7/ 54)، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: 774هـ)، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى - 1419 هـ.

³ انظر: تفسير السعدي، تيسير الكريم الرحمن (367)، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (المتوفى: 1376هـ)، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى 1420 هـ - 2000 م.

⁴ التحرير والتنوير، لابن عاشور (3/ 158).

⁵ انظر: تيسير الكريم الرحمن، للسعدي (ص 600).

⁶ لعل الشيخ قصد بها المائل، وأن هناك خطأ في الطباعة أو الكتابة.

النوع الثاني: استقراء أدلة أحكام اشتركت في علة بحيث يحصل لنا اليقين بان تلك العلة مقصد مراد الشارع.

الطريق الثاني: أدلة القران الواضحة الدلالة التي يضعف احتمال أن يكون المراد منها غير ما هو ظاهرها بحسب الاستعمال العربي؛ بحيث لا يشك في المراد منها إلا من شاء أن يدخل على نفسه شكاً لا يُعندُّ به.

الطريق الثالث: السنة المتواترة، وهذا الطريق لا يوجد له مثال إلا في حالين :
الحال الأول: المتواتر المعنوي الحاصل من مشاهدة عموم الصحابة عملاً من النبي (ﷺ) فيحصل لهم علم بتشريع في ذلك يستوي فيه جميع المشاهدين.

الحال الثاني: تواتر عملي يحصل لأحاد الصحابة من تكرار مشاهدة أعمال رسول الله (ﷺ) ، بحيث يستخلص من مجموعها مقصداً شرعياً⁽¹⁾.

الاهتداء بالصحابة رضوان الله عليهم، و الاقتداء بهم في فهم الأحكام من الكتاب و السنة، و تطبيقها على الوقائع، وذلك لما توفر فيهم من صدق الإيمان، وفصاحة اللسان، وأصول البيان، ومعاصرتهم لنزول القرآن، ومشاهدتهم لمن كلف ببيان القران، بأفعاله وأقواله وتقديراته.

مع ما امتازوا به من دواعي الحفظ و الوعي، وصفاء السريرة و السيرة و فطانة الذهن و طهارة القلب و الانقياد و الإخلاص لدين الإسلام و شريعته، و طاعة رسوله فهم هداة الأمة و قادة المجتهدين و سادة العلماء، الحائزون على تزكية أفضل الخلق أجمعين وهم عدل كمل وما جري من أمرهم يؤول⁽²⁾.

الالتزام بقواعد وضوابط التفسير، ومن ذلك تفسير القرآن بالقرآن، و النظر كذلك في أقوال الرسول (ﷺ) ، لنزول الوحي على قلبه.

رابعاً: أهم المصنفات في مقاصد وأهداف السور والآيات:

- 1- المقاصد العامة للشريعة، ليوسف حامد العالم.
- 2- التحرير والتنوير، للإمام محمد الطاهر بن عاشور رحمه الله.
- 3- التفسير الكبير للإمام الفخر الرازي رحمه الله.
- 4- الكشف عن حقائق التنزيل و عيون الأقاويل في وجوه التأويل للزمخشري.
- 5- بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز للفيروز أبادي.
- 6- التفسير المنير للأستاذ الدكتور وهبة الزحيلي.

¹ انظر: مقاصد الشريعة الإسلامية ، (190-194)، باختصار

² - المقاصد العامة للشريعة الإسلامية(119).

- 7- الفوائد في اختصار المقاصد : أبو محمد عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم مقاصد الشريعة الإسلامية ومكارمها ، علال الفاسى.
- 8- علم المقاصد الشرعية ، نور الدين بن مختار الخادمي.
- 9- نظرية المقاصد عند الإمام الشاطبي، أحمد الريسوني.
- 10- مقاصد الشريعة الإسلامية ، لمحمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي.
- 11- شفاء الغليل فى بيان الشبه والمخيل ومسالك التعليل، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي.
- 12- علم مقاصد السور، د - محمد الربيعة.

المبحث الثاني تعريف عام بسورة الدخان

ويشتمل على:

أولاً: أسماء السورة وعدد آياتها.

ثانياً: مكان وزمان نزول السورة.

ثالثاً: فضائل السورة وجو نزولها.

رابعاً: محور السورة وخطوطها الرئيسية.

خامساً: موضوعات السورة ومقاصدها العامة.

أولاً : أسماء السورة وعدد آياتها.

اختلف المفسرون في تسمية سورة الدخان على عدة أقوال:

قال الواحدي: سُمِّيت بذلك : بعدما استنفذ رسول الله (ﷺ) كل وسائل الهداية مع قومه ، فدعا رسول الله (ﷺ) عليهم بالقحط فمنع القطر، وأجذبت الأرض، وانجرت الآفاق وصار بين السماء والأرض كالدخان⁽¹⁾.

وقال بعضهم: "ذلك حين دعا رسول الله (ﷺ) على قريش ربه تبارك وتعالى أن يأخذهم بسنين كسني يوسف، فأخذوا بالمجاعة، قالوا: وَعُنِيَ بِالدُّخَانِ مَا كَانَ يَصِيبُهُمْ حِينَئِذٍ فِي أَبْصَارِهِمْ مِنْ شِدَّةِ الْجُوعِ مِنَ الظُّلْمَةِ كَهَيْئَةِ الدُّخَانِ"⁽²⁾.

قيل: "إِنَّهُ دُخَانٌ يَأْتِي مِنَ السَّمَاءِ قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ يَدْخُلُ فِي أَسْمَاعِ الْكُفْرَةِ ، حَتَّى يَكُونَ رَأْسُ الْوَاحِدِ مِنْهُمْ كَالرَّأْسِ الْحَنِيزِ"⁽³⁾.

قال ابن قتيبة: سُمِّيَ دخَانًا لَيْسَ الْأَرْضُ حَتَّى ارْتَفَعَ مِنْهَا غَبَارُ كَالدُّخَانِ، وَقِيلَ لِسُنَّةِ الْجَدْبِ وَالْقَحْطِ غَبْرَاءَ لِكثْرَةِ الْغَبَارِ فِيهَا"⁽⁴⁾.

وقال آخرون: لم يمض الدخانُ بعد، بل هو من أمارات الساعة⁽⁵⁾، كما ورد في حديث حذيفة بن أسيد الغفاري رضي الله عنه قال: اطَّلَعَ النَّبِيُّ (ﷺ) عَلَيْنَا وَنَحْنُ نَتَذَاكُرُ، فَقَالَ: «مَا تَذَاكُرُونَ؟» قَالُوا: نَذْكُرُ السَّاعَةَ، قَالَ: " إِنَّهَا لَنْ تَقُومَ حَتَّى تَرُونَ قَبْلَهَا عَشْرَ آيَاتٍ: فَذَكَرَ الدُّخَانَ، وَالذَّجَالَ، وَالذَّابَّةَ، وَطُلُوعَ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، وَتُرُودَ عَيْسَى ابْنِ مَرْيَمَ (ﷺ) ... "⁽⁶⁾

¹ - انظر: الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، (ص: 982)، لأبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (المتوفى: 468هـ)، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، دار القلم، دار الشامية، دمشق، بيروت، الطبعة: الأولى، 1415 هـ.

² - جامع البيان في تأويل القرآن، (22 / 13)، لمحمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: 310هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، 1420 هـ - 2000 م.

³ - الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، للزمخشري (4 / 272).

⁴ - نظر: تفسير القرآن (3 / 166)، لأبو محمد عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن الحسن السلمي الدمشقي، الملقب بسلطان العلماء (المتوفى: 660هـ)، تحقيق: الدكتور عبد الله بن إبراهيم الوهبي، دار ابن حزم، بيروت، الطبعة: الأولى، 1416هـ / 1996م.

⁵ - انظر: في ظلال القرآن (5 / 3210)، سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي (المتوفى: 1385هـ)، دار الشروق، بيروت، القاهرة، الطبعة: السابعة عشر - 1412 هـ.

⁶ - صحيح مسلم، باب: في الآيات التي تكون قبل الساعة (4 / 2225)، حديث رقم (2901).

"وقد ثبت في الصحيح أنه من جملة العشر الآيات التي تكون قبل قيام الساعة وقيل إنه أمر قد مضى، " وهو ما أصاب قريشاً بدعاء النبي (ﷺ) حتى كان الرجل يرى بين السماء والأرض دخاناً " وهذا ثابت في الصحيحين وغيرهما، وبه قال الفراء والزجاج، وقيل إنه يوم فتح مكة⁽¹⁾.
عدد آيات السورة:

"عُدَّتْ آيَهَا سِتًّا وَخَمْسِينَ عِنْدَ أَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَكَّةَ وَالشَّامِ، وَعُدَّتْ عِنْدَ أَهْلِ الْبَصْرَةِ سَبْعًا وَخَمْسِينَ، وَعِنْدَ أَهْلِ الْكُوفَةِ تِسْعًا وَخَمْسِينَ"⁽²⁾.

ثانياً: مكان وزمان نزول السورة:

مكان نزول السورة:

سُورَةُ الدُّخَانِ مَكِّيَّةٌ بِاتِّفَاقٍ، أَجْمَعَ الْعُلَمَاءُ عَلَى أَنَّهَا مَكِّيَّةٌ، إِلَّا قَوْلَهُ تَعَالَى: "إِنَّا كَاشِفُو الْعَذَابِ قَلِيلًا"⁽³⁾. قال ابنُ الجوزي و الزمخشري، وأبو حيان : هي مكية كلها إجماعاً، إلا قوله: (إِنَّا كَاشِفُو الْعَذَابِ)⁽⁴⁾. الْعَذَابِ)⁽⁴⁾.

وَأَخْرَجَ ابْنُ مَرْدَوَيْهِ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ وَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ أَنَّ سُورَةَ الدُّخَانِ نَزَلَتْ بِمَكَّةَ⁽⁵⁾.

زمان نزول السورة:

هِيَ السُّورَةُ الرَّابِعَةُ وَالْأَرْبَعُونَ فِي تَرْتِيبِ الْمَصْحَفِ.

وَهِيَ السُّورَةُ الثَّلَاثَةُ وَالسِّتُونَ فِي عَدِّ نَزُولِ السُّورِ ، فَقَدْ نَزَلَتْ بَعْدَ سُورَةِ الزُّخْرَفِ وَقَبْلَ سُورَةِ الْجَاثِيَةِ⁽⁶⁾.
⁽⁶⁾.

¹- فتح البيان في مقاصد القرآن (12 / 392)، أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القنوجي (المتوفى: 1307هـ)، عني بطبعه وقدم له وراجعته: خادم العلم عبد الله بن إبراهيم الأنصاري، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، صيدا - بيروت، 1412 هـ - 1992 م.

²- التحرير والتنوير، لابن عاشور (25 / 276).

³- انظر: الجامع لأحكام القرآن (16 / 125)، لأبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: 671هـ)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، الطبعة: الثانية، 1384 هـ - 1964 م.

⁴- انظر: مساعد النظر للإشراف على مقاصد السور (2 / 470) لإبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي، مكتبة المعارف، الرياض.

⁵- فتح القدير (4 / 652) محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: 1250هـ)، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب، دمشق، بيروت، الطبعة: الأولى، 1414 هـ.

⁶- انظر: التحرير والتنوير، لابن عاشور (25 / 276). مختصراً

أسباب نزولها:

الرأي الأول: "إن قريشاً لما استصعبت على رسول الله ﷺ وأبطأوا عن الإسلام قال: اللهم أعني عليهم بسبع كسبع يوسف فأصابهم قحط وجهد حتى أكلوا العظام فجعل الرجل ينظر إلى السماء فيرى ما بينه وبينها كهيئة الدخان من الجوع فأنزل الله: (فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ يَغْشَى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ) [الدخان:10]،(1).

الرأي الثاني: نزلت بعد أن دعا رسول الله (ﷺ) على قريش بعد أن كثر استهزاؤهم به وسخريتهم منه وبما جاء به من الدين الحق فدعا عليهم: اللهم اجعلها عليهم سنين كسني يوسف، أي: سبع سنين من القحط والجذب فأمره ربه أن ينتظر ذلك قائلاً له: (فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ يَغْشَى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ)، وقد استجاب تعالى لرسوله وأصاب قريشاً بقحط وجذب ماتت فيه مواشيهم وأصابهم جوع وقحط، فكان الرجل يرفع رأسه إلى السماء فلا يرى إلا دخاناً(2).

من خلال الآراء السابقة يتبين أنه قد وردت أحاديث صحاح وحسان وضعاف في أسباب نزول هذه السورة، وليس فيها ما يؤكد أنه سبب نزول الآية، فلا حاجة بنا إلى التّطويل بذكرها، والواجب التمسك بما ثبت في الصحيحين وغيرهما أن دخان قريش عند الجهد والجوع هو سبب النزول(3).

ثالثاً : فضائل السورة وجو نزولها.

فضائل السورة:

عن عبد الله بن عيسى، قال: «أُخْبِرْتُ أَنَّهُ مَنْ قَرَأَ حَمَّ الدُّخَانِ لَيْلَةَ الْجُمُعَةِ إِيْمَانًا وَتَصَدِيقًا بِهَا، أَصْبَحَ مَغْفُورًا لَهُ»(4).

عن أبي رافع، قال: «مَنْ قَرَأَ حَمَّ فِي لَيْلَةِ الْجُمُعَةِ، أَصْبَحَ مَغْفُورًا لَهُ، وَزُوجَ مِنَ الْخُورِ الْعَيْنِ»(5).

¹ - الدر المنثور في التفسير بالمأثور (7/ 406)، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: 911هـ)، دار الفكر، بيروت.

² - انظر: أيسر التفاسير للجزائري (5/ 9،8)، جابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر أبو بكر الجزائري، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الخامسة، 1424هـ/2003م.

³ - انظر: فتح القدير، للشوكاني (4/ 656).

⁴ - سنن الدارمي، باب: في فضل حم الدخان والحواميم والمستحبات، (4/ 2151) حديث رقم (3463)، قال الدكتور حسين سليم أسد (محقق الكتاب) في حاشية سنن الدارمي، إسناده صحيح، وهو موقوف على الصحابي أبي رافع.

⁵ - المرجع نفسه، (4/ 2152) حديث رقم (3464)، إسناده صحيح.

جو نزول السورة:

كان الغالب على أهل مكة الشرك بالله، والصد عن دعوة النبي محمد (ﷺ) فجاء القرآن مُؤذِنًا أَنَّهُ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَذَالًا عَلَى رِسَالَةِ مُحَمَّدٍ (ﷺ) وَلِيَتَخَلَّصَ مِنْهُ إِلَى أَنْ الْمُعْرِضِينَ عَنْ تَدْبِيرِ الْقُرْآنِ أَلْهَاهُمْ الْإِسْتِهْزَاءُ وَاللَّمْزُ عَنِ التَّدْبِيرِ فَحَقَّ عَلَيْهِمْ دُعَاءُ الرَّسُولِ بِعَذَابِ الْجُوعِ، إِبْقَاطًا لِبَصَائِرِهِمْ بِالْأَدِلَّةِ الْحَسِيَّةِ حِينَ لَمْ تَنْجَعْ فِيهِمُ الدَّلَائِلُ الْعَقْلِيَّةُ، لِيَعْلَمُوا أَنَّ إِجَابَةَ اللَّهِ دُعَاءَ رَسُولِهِ (ﷺ) دَلِيلٌ عَلَى أَنَّهُ أَرْسَلَهُ لِيُبَلِّغَ عَنْهُ مَرَادَهُ. فَأَنْذَرَهُمْ بِعَذَابٍ يَحُلُّ بِهِمْ عِلَاقَةٌ عَلَى مَا دَعَا بِهِ الرَّسُولُ (ﷺ) تَأْيِيدًا مِنَ اللَّهِ لَهُ بِمَا هُوَ زَائِدٌ عَلَى مَطْلَبِهِ⁽¹⁾.

رابعاً : محور السورة وخطوطها الرئيسية:

سورة الدخان مكية، وشأنها كسائر السور المكية ومهمتها تقرير أصول الدعوة الإسلامية، و بيان أصول العقيدة الإسلامية: التوحيد، والنبوة والرسالة، والبعث.

"ويكاد سياق السورة أن يكون كله وحدة متماسكة، ذات محور واحد، تشد إليه خيوطها جميعا. سواء في ذلك القصة، ومشهد القيامة، ومصارع الغابرين، والمشهد الكوني، والحديث المباشر عن قضية التوحيد والبعث والرسالة"⁽²⁾.

خامسا : موضوعات السورة ومقاصدها العامة:

موضوعات السورة :

ابتدأت السورة ببيان تاريخ بدء إنزال القرآن في ليلة القدر من رمضان، رحمة من الله بعباده. ثم توعدت كفار مكة بالعذاب الشديد، وبالذخاّن المخيف الذي يندرههم بأسوأ العواقب، ولكنهم مع ذلك لم يؤمنوا، ثم ذكرت قصة فرعون وقومه مع موسى عليه السلام، حيث نجى الله المؤمنين، وأغرق الكافرين في البحر، ثم وصفت مشركي مكة بأنهم قوم منكرون للبعث في قوله تعالى: (إِنَّ هِيَ إِلَّا مَوْتُنَا الْأُولَى وَمَا نَحْنُ بِمُنْشَرِينَ) [الدخان:35]، وهددتهم بالإهلاك كما أهلك المجرمين الأشداء من قبلهم، مثل قوم تبع، مع إيراد الدليل على قدرة الله عز وجل على كل شيء⁽³⁾. ثم وصفت لهم أهوال يوم القيامة وما فيه من الحساب والعقاب وطعام الرّقوم في نار جهنم وغير ذلك مما يرهب ويرعب، ويثير المخاوف الشديدة في النفوس.

¹ - انظر: التحرير والتتوير، لابن عاشور (25/ 276).

² - في ظلال القرآن، لسيد قطب (5/ 3206).

³ - انظر: التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج (25/ 203). د وهبة بن مصطفى الزحيلي، دار الفكر المعاصر، دمشق، الطبعة: الثانية، 1418 هـ.

وختمت السّورة ببيان مصير الأبرار ومصير الفجّار، لترغيب الفريق الأول: وهم: الأبرار، وتبشيرهم بالعاقبة الحميدة، وترهيب الفريق الثاني: وهم: الفجار، وإنذارهم بالنّكال والعذاب الشّديد⁽¹⁾.
مقاصد السورة العامة:

لسورة الدخان مقاصد كثيرة وسيقتصر الباحث على أهمها:

- 1- الإنذار بالهلاك لمن اعرض عما في الذكر الحكيم من الخير والبركة ، رحمة جعلها بين عامة خلقه مشتركة، وعلى ذلك دل اسمها "الدخان"، فالمتأمل لآياته، فإنه تعالى هددهم بأيتين: العذاب لهم من جهة السماء في صورة الدخان، وهددهم بالانتقام منهم بالبطشة الكبرى لكذبهم⁽²⁾.
- 2- معاجلتهم بالتهديد والوعيد المرعب جزاء الشك واللعب، ودعاهم بكشف العذاب عنهم وهو يوم يأتي لا يكشف عنهم ، وتذكيرهم بأن هذا العذاب لم يأت بعد، وهو الآن عنهم مكشوف، فلينتهزوا الفرصة، قبل أن يعودوا إلى ربهم، فيكون ذلك العذاب المخوف واقع بهم لا محالة⁽³⁾.

¹ - انظر: نفس المرجع، (204 / 25) .

² - انظر: مصادد النظر للإشراف على مقاصد السور، للبقاعي (2 / 471).

³ - انظر: في ظلال القرآن ، لسيد قطب(5 / 3207).

المبحث الثالث تعريف عام بسورة الجاثية

ويشتمل على:

أولاً: أسماء السورة وعدد آياتها.

ثانياً: مكان وزمان نزول السورة.

ثالثاً: فضائل السورة وجو نزولها.

رابعاً: محور السورة وخطوطها الرئيسية.

خامساً: موضوعات السورة ومقاصدها العامة.

أولاً : أسماء السورة وعدد آياتها.

تسميتها:

سميت (سورة الجاثية) لما جاء في الآية المذكورة فيها: (وَتَرَى كُلَّ أُمَّةٍ جَائِيَةً، كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَى إِلَى كِتَابِهَا الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ)، [الجاثية:28]،⁽¹⁾.

وتسمى سورة الشريعة ، وسورة الدهر ، "كما ذكر الكرمانلي في العجائب لذكرهما فيها"⁽²⁾.

عدد آيات السورة:

هي السورة الخامسة والأربعون في ترتيب المصحف.

عَدَدُ آيَاتِهَا فِي عَدِّ الْمَدِينَةِ وَمَكَّةَ وَالشَّامِ وَالْبَصْرَةَ سِتُّ وَثَلَاثُونَ. وَفِي عَدِّ الْكُوفَةِ سَبْعٌ وَثَلَاثُونَ لِاخْتِلَافِهِمْ فِي عَدِّ لَفْظِ حَمِ آيَةٍ مُسْتَقَلَّةً⁽³⁾.

ثانياً: مكان وزمان نزول السورة:

سُورَةُ الْجَائِيَةِ مَكِّيَّةٌ كُلُّهَا فِي قَوْلِ الْحَسَنِ وَجَابِرٍ وَعِكْرَمَةَ. وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَقَتَادَةُ: إِلَّا آيَةً، هِيَ: {قُلْ لِلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ}، [الجاثية: 14] فهي مدنية: فإنها نزلت بعد الدخان⁽⁴⁾.

نزلت بمكة بعد سورة الدخان عدا الآية (14)، فإنها مدنية، وهي سبع وثلاثون آية .

وأما عدد كلماتها، فهي: أربعمائة وثمانون كلمة.

وأما عدد حروفها، فهو: ألفان ومئة وواحد وتسعون حرفاً، وتسمى سورة الشريعة وسورة الدهر⁽⁵⁾.

سبب نزولها:

"نزلت في عمر رضي الله عنه، شتمه رجل من المشركين بمكة قبل الهجرة فأراد أن يبطش به، فأنزل الله عز وجل: (قُلْ لِلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ) [الجاثية:14]، ثم نسخت بقوله: (فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا) [البقرة: 143]، فالتوبة: 5]، فالسورة كلها مكية على هذا من غير خلاف"⁽⁶⁾.

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: {مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا} [البقرة: 245]، قَالَ: يَهُودِيٌّ بِالْمَدِينَةِ يُقَالُ لَهُ "فِنْحَاصٌ": اِحْتِاجَ رَبِّ مُحَمَّدٍ قَالَ: فَلَمَّا سَمِعَ عُمَرُ بِذَلِكَ اسْتَلَّ

¹ - انظر: التفسير المنير، للزحيلي (246 / 25).

² - روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، (136 / 13)، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألويسي (المتوفى: 1270 هـ)، تحقيق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية ، بيروت، الطبعة: الأولى، 1415 هـ.

³ - التحرير والتنوير، لابن عاشور (324 / 25).

⁴ - انظر: التفسير المنير، للزحيلي (248 / 25)، الكشاف، الزمخشري، (284 / 4).

⁵ - انظر: بيان المعاني (4 / 109)، عبد القادر بن ملاً حويش السيد محمود آل غازي العاني (المتوفى: 1398 هـ)، مطبعة الترقى، دمشق، الطبعة: الأولى، 1382 هـ، 1965 م.

⁶ - الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (156 / 16).

سَيَفِيهِ وَخَرَجَ لِقَتْلِهِ، فَجَاءَ جَبْرِيلُ -عَلَيْهِ السَّلَامُ- إِلَى النَّبِيِّ (ﷺ) فَقَالَ: إِنَّ رَبَّكَ يَقُولُ لَكَ: «قُلْ لِلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ»⁽¹⁾.

ثالثاً: فضائل السورة وجو نزولها.

فضائل السورة:

وأما فضائلها: فإنها أول المفصل، وهي من الحواميم التي لها فضائل كثيرة: فقد جاء في سنن الدارمي: عَنْ سَعْدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ⁽²⁾، قَالَ: «كُنَّ الْحَوَامِيمُ يُسَمَّيْنَ الْعَرَائِسَ»⁽³⁾.

فضل قراءتها في قيام الليل:

عن تميم بن أوس الداري⁽⁴⁾ (ﷺ) أنه أتى المقام ذات ليلة، فقام يصلي، فافتتح السورة التي يذكر فيها الجاثية، فلما أتى على هذه الآية: (أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ [الجاثية: 21]، فلم يزل يرددتها حتى أصبح⁽⁵⁾).

جو نزولها:

كان الجو العام في هذه السورة يصور جانباً من استقبال المشركين للدعوة الإسلامية، وطريقتهم في مواجهة حججها وآياتها، وتعنتهم في مواجهة حقائقها وقضاياها، وإتباعهم للهوى إتباعاً كاملاً في غير ما تخرج من حق واضح أو برهان ذي سلطان، و كيف كان القرآن يعالج قلوبهم الجامحة الشاردة مع الهوى، المغلقة دون الهدى وهو يواجهها بآيات الله القاطعة العميقة التأثير والدلالة، ويذكرهم عذابه، ويصور لهم ثوابه، ويقرر لهم سننه، ويعرفهم بنواميسه الماضية في هذا الوجود⁽⁶⁾.

¹ - انظر: أسباب النزول (ص: 378,379) أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (المتوفى: 468هـ)، تحقيق: عصام بن عبد المحسن الحميدان، دار الإصلاح - الدمام.

² - تابعي، هو سعد بن إبراهيم بن عبد الرحمن الزهري، جده عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه.

³ - سنن الدارمي (4/ 2152)، إسناده صحيح.

⁴ - تميم بن أوس بن خارجة الداري، أبو رقية: صحابي، نسبته إلى الدار بن هاني، من لحم، أسلم سنة 9 هـ، الأعلام للزركلي (2/ 87).

⁵ - مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور، للبقاعي (2/ 478).

⁶ - انظر: في ظلال القرآن، لسيد قطب (5/ 3219).

رابعاً: محور السورة وخطوطها الرئيسية:

سورة الجاثية مكية، وموضوع هذه السورة كسائر موضوعات السور المكية، وبخاصة آل حم السور السبعة، وهو تأصيل عقيدة الإسلام الأساسية وإثبات عناصرها وأركانها الثلاثة: وهي الإيمان بالله تعالى وتوحيده، والاعتقاد بنزول القرآن من عند الله، ونبوة محمد (ﷺ) ورسالته، والتصديق باليوم الآخر والحساب والبعث والجزاء⁽¹⁾. هذه السورة تميزت بأنها اتجهت نحو بيان آيات الله الكونية، كدليل على قدرة الله ووحدانيته وتقدير البعث، والتصديق بأن القرآن كلام الله⁽²⁾.

خامساً: موضوعات السورة ومقاصدها العامة: موضوعات السورة:

ابتدأت السورة ببيان عظم شأن القرآن الكريم لأنه تنزيل الله العزيز الحكيم، وإثبات وجود الخالق ووحدانيته بخلق السموات والأرض، ثم بينت السورة أن الإيمان أعم من اليقين ومقدم عليه في الترتيب واليقين أعلى في الرتبة.

ثم تحدثت عن تقرير ألوهية الله تعالى بتقرير ربوبيته في الخلق والتدبير والعلم والحكمة⁽³⁾. ثم شرعت في بيان خلق البشر والدواب، ثم ذكر تعالى اختلاف الليل والنهار والعبرة بالمطر والرياح، فجعل ذلك لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ⁽⁴⁾.

وأخبرت عن نعم الله العظمى وأولها كون القرآن هدىً للناس، ثم تسخير البحر لجريان السفن فيه والاتجار بين الأقطار، وتسخير جميع ما في الكون لعباد الله تعالى.

ثم تحدثت عن عفو المؤمنين وترفعهم عن زلات الكافرين، وتذكير بني إسرائيل بما امتن الله عليهم من نعم روحية ومادية هي التوراة، والحكمة والفقہ وفصل الخصومات بين الناس، والنبوة، ورزق الطيبات، والتفضيل على العالمين في عصرهم، والإتيان بالبينات وهي الآيات والمعجزات، وأمر الرسول بعدم إطاعة المشركين وإتباع أهوائهم، والتعجب من حالهم، وتجرؤهم على إنكار البعث، واتخاذهم الهوى إليها ومعبودا⁽⁵⁾.

¹ - التفسير المنير، للزحيلي (247 / 25).

² - انظر: التفسير الواضح (3 / 422)، الحجازي، محمد محمود، دار الجيل الجديد، بيروت، الطبعة: العاشرة، 1413 هـ.

³ - انظر: أيسر التفاسير، للجزائري (24 / 5).

⁴ - المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (5 / 79)، لأبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (المتوفى: 542 هـ)، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، 1422 هـ.

⁵ - انظر: التفسير المنير، للزحيلي (247 / 25).

يخبر الله تعالى عن سعة ملكه وانفراده بالتصرف والتدبير في جميع الأوقات، وأنه يوم القيامة يجمع الخلائق لمشهد عظيم ، فيحصل الخسران على المبطلين الذين تصدوا للحق، وكانت أعمالهم باطلة ، فينال الكافرين العقاب الأليم⁽¹⁾.

ثم حثت على التزام منهج الله وهدايته ورحمته وهو القرآن العظيم، ومعرفة قانون الله وعدله وحكمته في التفرقة بين المؤمنين الأبرار والمجرمين الأشرار، والرد على المشركين منكري البعث بأن الله هو المحيي والمميت وجامع الناس ليوم القيامة، وختمت السورة ببيان الجزاء الحق العادل، وقسمة الناس فريقين: فريق الجنة الذين آمنوا وعملوا الصالحات، وفريق النار الذين كفروا بالله ورسوله⁽²⁾.

مقاصد السورة العامة:

لسورة الجاثية مقاصد كثيرة وسيقتصر الباحث على أهمها:

- 1- تَحْدِي كَفَارِ مَكَّةَ بِإِعْجَازِ الْقُرْآنِ وَأَنَّهُ جَاءَ بِالْحَقِّ كَمَا، افْتَضَاهُ قَوْلُهُ: (تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ)، [الجاثية: 6].
- 2- إفراد الله تعالى بالإلهية وبيان آثار خلقه وقدرته في مخلوقاته.
- 3- وَعِيدُ وَتَهْدِيدُ الَّذِينَ كَذَّبُوا عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ بِإصرارهم عَلَى الْكُفْرِ وَالْإِعْرَاضِ عَنِ آيَاتِ الْقُرْآنِ وَالْإِسْتِهْزَاءِ بِهَا.
- 4- وَالتَّنْذِيرُ عَلَى الْمُشْرِكِينَ إِذِ اتَّخَذُوا آلِهَةً عَلَى حَسَبِ أَهْوَائِهِمْ وَإِذْ جَحَدُوا بِالْبَعْثِ، وَتَهْدِيدُهُمْ بِالْخُسْرَانِ يَوْمَ الْبَعْثِ، وَمَا أُعِدَّ فِيهِ مِنَ الْعَذَابِ لِلْمُشْرِكِينَ وَمِنْ رَحْمَةٍ لِلْمُؤْمِنِينَ. وَدُعَاءُ الْمُسْلِمِينَ لِلْإِعْرَاضِ عَنِ إِسَاءَةِ الْكُفَّارِ لَهُمْ وَالْوَعْدُ بِأَنَّ اللَّهَ سَيُخْزِي الْمُشْرِكِينَ (3).
- 5- وَصْفُ أَحْوَالِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَتَحْذِيرًا كَفَارِ مَكَّةَ مِنَ الْوُقُوعِ فِيهَا وَقَعَّ فِيهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ مِنَ تَسْلِيطِ الْأُمَمِ عَلَيْهِمْ.
- 6- تَنْبِيهُ الرِّسُولِ (ﷺ) بِأَنَّ شَأْنَ شَرْعِهِ مَعَ قَوْمِهِ كَشَأْنِ شَرِيعَةِ مُوسَى لَا تَسْلَمُ مِنْ مُخَالَفٍ، وَأَنَّ ذَلِكَ لَا يَقْدَحُ فِيهَا وَلَا فِي الَّذِي جَاءَ بِهَا، وَأَنَّ لَا يَعْجَبُ بِالْمُعَانِدِينَ وَلَا بِكَثْرَتِهِمْ إِذْ لَا وَزْنَ لَهُمْ عِنْدَ اللَّهِ (4).
- 7- يُرْشِدُ تَعَالَى خَلْقَهُ إِلَى التَّفَكِيرِ فِي آلَائِهِ وَنِعْمِهِ، وَقَدْرَتِهِ الْعَظِيمَةِ الَّتِي خَلَقَ بِهَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ، وَمَا فِيهِمَا مِنَ الْمَخْلُوقَاتِ الْمُخْتَلِفَةِ الْأَجْنَاسِ وَالْأَنْوَاعِ، مِنَ الْمَلَائِكَةِ وَالْجِنِّ وَالْإِنْسِ وَالْدَّوَابِّ، وَالطُّيُورِ وَالْوُحُوشِ وَالسِّبَاعِ وَالْحَشْرَاتِ (5).

¹- انظر: تيسير الكريم الرحمن، للسعدي (ص: 778).

²- انظر: التفسير المنير، للزحيلي (25 / 247).

³- انظر: التحرير والتنوير، لابن عاشور (25 / 324).

⁴- المرجع نفسه ، لابن عاشور (25 / 324).

⁵- مختصر القرآن العظيم، لابن كثير (2 / 308).

الفصل الأول

الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف الربع الأول من الحزب الخمسين

(سورة الزخرف الآيات 24-56)

ويشتمل على ستة مباحث:

المبحث الأول: المقاصد والأهداف لسورة الزخرف الآيات (24-29)

المبحث الثاني: المقاصد والأهداف لسورة الزخرف الآيات (30-35)

المبحث الثالث: المقاصد والأهداف لسورة الزخرف الآيات (36-40)

المبحث الرابع: المقاصد والأهداف لسورة الزخرف الآيات (41-46)

المبحث الخامس: المقاصد والأهداف لسورة الزخرف الآيات (47-51)

المبحث السادس: المقاصد والأهداف لسورة الزخرف الآيات (52-56)

المبحث الأول

المقاصد والأهداف لسورة الزخرف الآيات (24-29).

وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: إتباع هدى القرآن الكريم .

المطلب الثاني: عاقبة المكذبين.

المطلب الثالث: وجوب البراءة من الشرك والمشركين.

المطلب الرابع: فضيلة من يورث أولاده هدى وصلاً.

المطلب الخامس: تعنيف الكفار بسبب تكذيبهم للحق.

المطلب الأول: إتباع هدى القرآن الكريم:

قال الله تعالى ﴿ قَالَ أُولُو جُنُودِكُمْ بِأَهْدَى مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ﴾ [الزخرف:24].

أولاً: مقدمة:

"من الكمال العقلي أن يبتع المرء الهدى ولو خالفه قومه وأهل بلاده،¹ فإن إعراض أهل مكة عن الإيمان بدعوة النبي محمد (ﷺ) لا حجة لهم بذلك إلا تقليد الآباء والأجداد، فإنهم قالوا: لقد وجدنا آباءنا على هذه الطريقة والمذهب في عبادة الأصنام، وإنا سائرون على مناهجهم، ومتبعون آثارهم، والتقليد الباطل أو الأعمى قديم"⁽²⁾.

ثانياً: المناسبة:

بعد أن بيّن الله سبحانه وتعالى أنّ الباعث لهم على ما جنحوا إليه إنما هو التقليد فقال: (بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُهْتَدُونَ) أي ليس لهم مستند عقلي ولا نقل على ما هم فيه من الشرك سوى تقليد الآباء والأجداد⁽³⁾، ثم ذكر تعالى جواب الرّسل لأقوامهم عن التقليد، قائلاً: (أُولُو جُنُودِكُمْ بِأَهْدَى مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ)، أي قال لهم رسولهم: أتتبعون آباءكم، ولو جئتم بدين أهدى من دين آبائكم؟ فأجابوه مصرين على كفرهم صراحة، في قوله تعالى: (قَالُوا: إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ)⁽⁴⁾.

"والمقصود أنّه تعالى لما بيّن أنّه لا دليل لهم على صحّة ذلك القول البتّة، بيّن أنّه ليس لهم حاملٍ يحملهم عليه إلا التقليد المَحْضُ، ثمّ بيّن أنّ تمسك الجهال بطريقة التقليد أمرٌ كان حاصلاً من قديم الدهر"⁽⁵⁾.

ثالثاً: المعنى العام:

"يقول تعالى لنبيه محمد (ﷺ) قل يا محمد لهؤلاء المشركين من قومك، القائلين إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون (أُولُو جُنُودِكُمْ) أيها القوم من عند ربكم (بِأَهْدَى) إلى طريق الحق، وأدل لكم على سبيل الرشاد (مِمَّا وَجَدْتُمْ) أنتم عليه آبائكم من الدين والملة، وهذا إنكار من الرسول

¹ - أيسر التفاسير، للجزائري (4/ 638).

² - انظر: التفسير الوسيط، (3/ 2360)، د وهبة بن مصطفى الزحيلي، دار الفكر، دمشق، الطبعة: الأولى، 1422 هـ.

³ - انظر: تفسير المراغي (25/ 79)، لأحمد بن مصطفى المراغي (المتوفى: 1371 هـ)، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة: الأولى، 1365 هـ، 1946 م.

⁴ - انظر: التفسير المنير، للزحيلي (25/ 136).

⁵ - مفاتيح الغيب، (27/ 627)، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: 606 هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة: الثالثة، 1420 هـ.

عليهم في صورة استفهام وهو توبيخ أيضاً لهم إذ أن العاقل يتبع الهدى جاء به من جاء قريباً كان أم بعيداً، وهذا قول الأمم المكذبة المشركة لرسلم أي كل أمة قالت هذا لرسولها: إننا بما أرسلتم به من التوحيد وعقيدة البعث والجزاء والشرع وأحكامه كافرون أي منكرون، وَلَوْ عَلِمُوا وَتَيَقَّنُوا صِحَّةَ مَا جِئْتَهُمْ بِهِ لَمَا انقادوا لذلك لسوء قَصْدِهِمْ وَمُكَابَرَتِهِمْ لِلْحَقِّ وَأَهْلِهِ وَهَذَا مِنْ أَعْظَمِ الْأَدِلَّةِ الدَّالَّةِ عَلَى بُطْلَانِ التَّقْلِيدِ وَقُبْحِهِ، فلم يكن بعد الإصرار على الكفر إلا انتقامُ الله تعالى من الأمم المكذبة للرسل بأنواع العذاب، كقوم نوح وعاد وثمود (1).

رابعاً: معاني المفردات:

"وَأَلَوْ جِئْتُمْ {بِأهدى} بدينٍ أهدى و أصوب وأعدل وأقوم {مِمَّا وَجَدْتُمْ عليه آباءكم} من الضلالة التي ليست من الهداية في شيءٍ ألا تقبلونه وتتركون دين آباءكم" (2).
كافرون : جاحدون منكرون غير معترفين به (3).

خامساً: البلاغة:

- الإِسْتِفْهَام التَّقْرِيرِي فِي قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿أَلَوْ جِئْتُمْ بِأهدى مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ آباءكم﴾ (الزخرف: 24).
الْهَمْزَةُ لِلِاسْتِفْهَامِ التَّقْرِيرِيِّ الْمَشُوبِ بِالْإِنْكَارِ، وَقُدِّمَتْ عَلَى الْوَاوِ لِأَجْلِ التَّصْدِيرِ، وَلَوْصَلِيَّةٌ، وَلَوْ الْوَصَلِيَّةُ تَقْتَضِي الْمُبَالَغَةَ بِنَهَايَةِ مَدْلُولِ شَرْطِهَا ...، وَالْمَقْصُودُ مِنَ الْإِسْتِفْهَامِ تَقْرِيرُهُمْ عَلَى ذَلِكَ لِاسْتِدْعَائِهِمْ إِلَى النَّظَرِ فِيمَا اتَّبَعُوا فِيهِ آباءَهُمْ لَعَلَّ مَا دَعَاهُمْ إِلَيْهِ الرَّسُولُ أَهْدَى مِنْهُمْ، وَصَوَّغَ اسْمَ التَّقْضِيلِ مِنَ الْهَدْيِ إِرخَاءً لِلْعِنَانِ لَهُمْ لِيَتَذَبَّرُوا، نَزَلَ مَا كَانَ عَلَيْهِمْ آبَاؤُهُمْ مَنْزِلَةً مَا فِيهِ شَيْءٌ مِنَ الْهَدْيِ (4).

- «قال أولو»، ففي «قال» ضمير يعود على النذير، وباقي الآية يدل على أن: «قل» في قراءات أخرى ليست بأمر لمحمد عليه السلام، وإنما هي حكاية لما أمر به النذير (5).

- الإِبْجَاز بِالْحَذْفِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ﴾، وَالْمَعْنَى: قَالَتْ كُلُّ أُمَّةٍ لِنَذِيرِهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ.

¹ - انظر: تفسير جامع البيان للطبري، (21/ 587)، أيسر التفاسير، للجزائري (4/ 636)، مختصر تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (2/ 288) فتح القدير، للشوكاني (4/ 632)، التفسير الوسيط، للزحيلي (3/ 2360).

² - انظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (8/ 44) أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (المتوفى: 982هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، بيان المعاني (4/ 67)، عبد القادر بن ملاً حويش السيد محمود آل غازي العاني (المتوفى: 1398هـ)، مطبعة الترقى، دمشق، الطبعة: الأولى، 1382 هـ - 1965 م.

³ - انظر: أيسر التفاسير، للجزائري (4/ 635).

⁴ - التحرير والتنوير، لابن عاشور (25/ 190).

⁵ - انظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لابن عطية (5/ 51).

- التعبير عن المفرد بصيغة الجمع: في قوله تعالى (إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ)، عبر بصيغة الجمع على تغليبها على سائر المنذرين عليهم السلام وتوجيه كفرهم إلى ما أرسل به الكل من التوحيد لإجماعهم عليه⁽¹⁾، فالخطاب للنبي (ﷺ) ولفظه لفظ الجمع⁽²⁾.

سادساً: القراءات:

جئتمكم : أبو جعفر بنون مفتوحة وألف مكان التاء، والباقون بناء مضمومة وأبدل ال همزة السوسي وأبو جعفر وكذا حمزة وقفا⁽³⁾.

سابعاً: ما يستفاد من الآيات:

1- "اعتراف صريح منهم بأنه ليس لهم مستند ولا حجة عقلية ولا نقلية على الشرك سوى تقليد الآباء والأجداد، وإتباعهم في الضلالة. وقولهم: وإنا على آثارهم: أي وراءهم مُهْتَدُونَ مجرد دعوى منهم بلا دليل"⁽⁴⁾.

2- "لَوْ لَمْ يَكُنْ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَّا هَذِهِ الْآيَاتُ لَكَفَتْ فِي إِبْطَالِ الْقَوْلِ بِالتَّقْلِيدِ وَذَلِكَ لِأَنَّهُ تَعَالَى بَيِّنَ أَنْ هُوَ لِأَيِّ الْكُفَّارِ لَمْ يَتَمَسَّكُوا فِي إِثْبَاتِ مَا ذَهَبُوا إِلَيْهِ لَا بِطَرِيقِ عَقْلِيٍّ وَلَا بِدَلِيلِ نَقْلِيٍّ، ثُمَّ بَيَّنَّ أَنَّهُمْ إِنَّمَا ذَهَبُوا إِلَيْهِ بِمُجَرَّدِ تَقْلِيدِ الْآبَاءِ وَالْأَسْلَافِ"⁽⁵⁾.

3- أَنَّ الْمُخَاطَبَةَ كَانَتْ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ (ﷺ) نِيَابَةَ عَنْ جَمِيعِ الرِّسْلِ (رضوان الله عليهم)⁽⁶⁾.

4- حرمة التقليد للآباء وأهل البلاد والمشايخ فلا يقبل قول إلا بدليل أو نص من الشرع⁽⁷⁾.

5- أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى بَيِّنَ أَنَّ الدَّاعِيَ إِلَى أَنْ اِصْرَارَهُمْ عَلَى التَّقْلِيدِ وَالْحَامِلِ عَلَيْهِ، إِنَّمَا هُوَ حُبُّ التَّنَعْمِ فِي طَيِّبَاتِ الدُّنْيَا وَحُبُّ الْكَسَلِ وَالْبِطَالَةِ وَكَرَاهَاةِ تَحْمَلِ مَشَاقِّ النَّظَرِ وَالِاسْتِدْلَالِ، لِقَوْلِهِ : "إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ" [الزخرف: 23]⁽⁸⁾.

6- إِنَّ مَقَالَتَهُمْ تِلْكَ تَشْبَهُ مَقَالَةَ مَنْ سَبَقَهُمْ مِنَ الْأُمَّةِ الْمَكْذُوبَةِ لِرَسُولِهَا، فَإِنَّ أَهْلَ التَّرَفِ وَالرُّوسَاءِ فِيهِمْ اقْتَدَوْا بِالْآبَاءِ وَالْأَجْدَادِ دُونَ دَلِيلٍ.

7- "إنهم مصرّون على الشرك والتقليد الأعمى، حتى ولو جاءهم رسول الله من عند الله بأهدى وأرشد من ذلك الدين الباطل"⁽⁹⁾.

¹- إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، لأبي السعود (8/ 44).

²- التفسير المنير، للزحيلي (25/ 136).

³- مصحف القراءات العشر (ص: 499)، لأبو العلا محمد أبو العلا، من طريق الشاطبية والدرّة.

⁴- التفسير المنير، للزحيلي (25/ 135).

⁵- مفاتيح الغيب، للفخر الرازي (27/ 628,627).

⁶- انظر: تفسير الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (16/ 76).

⁷- انظر: أيسر التفاسير، للجزائري (4/ 634).

⁸- انظر باختصار: مفاتيح الغيب، للفخر الرازي (27/ 628).

⁹- التفسير المنير، للزحيلي (25/ 139).

المطلب الثاني: عاقبة المكذبين

قال الله تعالى: ﴿فَانتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَنْظَرُ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ﴾، (الزخرف:25).

أولاً: مقدمة:

"إن الارتباط بين هذه الآية والتي سبقتها قوي جداً، ففي الآية المتقدمة بعد أن أبطل استدلالهم العقلي نفى أن يكون لهم دليل نقلى على صحة ما يدعون، ثم أبان أن ما فعلوه إنما هو بمحض التقليد عن الآباء دون حجة ولا برهان ، مع أن الرسل بينوا لهم الطريق السوي فكفروا به واتبعوا سنن من قبلهم ، فكان عاقبة أمرهم أن حل بهم نكالنا كما يشاهدون ويرون من آثارهم"⁽¹⁾.

ثانياً: المناسبة:

"لما بين في الآية المتقدمة أنه ليس لأولئك الكفار داع يدعوهم إلى تلك الأقاويل الباطلة إلا تقليد الآباء والأسلاف، وبيّن أنه طريق باطل، ومنهج فاسد، وأن الرجوع إلى الدليل أولى من الاعتماد على التقليد، أردفه بهذه الآية: (فَانتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَنْظَرُ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ)" [الزخرف:25] ⁽²⁾.

ثالثاً: المعنى العام:

توعدّ الله عز وجل المكذبين بالانتقام الشديد؛ لكفرهم وطغيانهم، وصددهم عن دعوة الله تعالى فانتقم منهم ، بإحلال العقوبة بهم، فأخذهم مهانين صاغرين، ليكونوا عبرة لمن اعتبر، فهكذا يكون عاقبة المُكذِبِينَ المصرين على التكذيب.

فإنّ في هذه الآية وعيداً وتهديداً لقريشٍ وللاعتبارِ بمن سلفَ من الأمم المعذبة المكذبة بأبيائها، كما كذبت هي بمحمد (عليه السلام)⁽³⁾، (فَانظُرُ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ)، فلقد وبّخ الله تعالى المكذبين بقوله (فانظر)، للدلالة على استحقاق وقرب وقوع العذاب، فإنّ كلّ ما يُرى فهو قريب وآتٍ، ويحتمل أن يُراد به: مكذبي الرسل ، ويحتمل: مكذبي العذاب، {فانتقمنا مِنْهُمْ} فعاقبناهم بما استحقوه على إصرارهم، فكان عاقبتهم أخذهم بخسف وغرق، فأهلكهم الله في الدنيا ثم مصيرهم النار

¹ انظر: تفسير المراغي باختصار (75/25 - 76) .

² فتح البيان في مقاصد القرآن ، لابن الحسيني(12/344).

³ انظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لابن عطية (5/51)، الفواتح الإلهية والمفاتيح الغيبية (2/298)، نعمة الله بن محمود النخجواني، ويعرف بالشيخ علوان (المتوفى: 920هـ) ، دار ركابي للنشر، الغورية، مصر، الطبعة: الأولى، 1419 هـ ، 1999 م. تفسير جامع البيان، للطبري (21/588).

يوم القيامة، ، كما أخبر تعالى في قصصهم، "فانظر كيف كان عاقبة المكذابين" ؟ "أي: كيف بادوا وهلكوا، وكيف نجى الله المؤمنين؟" (1).

رابعاً: معاني المفردات:

انتقمنا: والانتقام ... مِنَ النَّعْمِ وَهُوَ الْمُكَافَأَةُ بِالسُّوءِ (2).

"عاقبة: كيف كان مصير" (3).

"المكذابين: مكذوبون غير مصدقين" (4).

خامساً: البلاغة:

- صِيغَةُ الْإِفْتَعَالِ لِمُجَرَّدِ الْمُبَالَغَةِ، فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَأَنْتَقَمْنَا﴾.

- كَيْفَ اسْتَفْهَمًا عَنِ الْحَالَةِ وَهُوَ قَدْ عَلَّقَ فِعْلَ النَّظَرِ عَنِ مَفْعُولِهِ (5).

سادساً: اللطائف البيانية:

قوله تعالى: ﴿فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ﴾، "لَيْسَ نَظَرَ الْبَصَرِ إِذْ لَمْ يَرَ النَّبِيُّ حَالَةَ الْإِنْتِقَامِ فِيهِمْ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الْخِطَابُ لِغَيْرِ مُعَيَّنٍ، أَيْ لِكُلِّ مَنْ يَبْتَئِي مِنْهُ التَّأْمُلُ" (6).

سابعاً: ما يستفاد من الآيات:

1- استحقاق ووقوع العذاب بالمكذابين في الدنيا، وسوء المصير والمآل في الآخرة، وانتقام الله تعالى منهم.

2- ذم القرآن الكريم الكذب وحذر رسول الله (ﷺ) من عاقبه المكذابين، كما جاء في حديث عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ (ﷺ) قَالَ: «إِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ، وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ، وَإِنَّ

1- انظر: تأويلات أهل السنة (9/ 159)، محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي (المتوفى: 333هـ) ،تحقيق: د. مجدي باسلوم ، دار الكتب العلمية ، بيروت، لبنان ،الطبعة: الأولى، 1426 هـ ، 2005 م، مدارك التنزيل وحقائق التأويل (3/ 270) أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي (المتوفى: 710هـ) ،حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي بديوي ،راجعته وقدم له: محيي الدين ديب مستو ،دار الكلم الطيب، بيروت،الطبعة: الأولى، 1419 هـ ، 1998 م، الدر المنثور في التفسير بالمأثور، للسيوطي (7/ 373)، تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (7/ 224).

2- التحرير والتنوير، لابن عاشور (25/ 191).

3- التفسير المنير، للزحيلي (25/ 136).

4- أيسر التفاسير، للجزائري (4/ 637).

5- التحرير والتنوير، لابن عاشور (25/ 191).

6- المرجع نفسه، لابن عاشور (25/ 191).

الرَّجُلُ لَيَصْدُقُ حَتَّى يَكُونَ صِدِّيقًا ، وَإِنَّ الكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الفُجُورِ ، وَإِنَّ الفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ ،
وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَكْذِبُ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ كَذَّابًا»⁽¹⁾.
3- الصدق طريق النجاة من المهالك، وأن الكذب سبب في دخول النار.

¹ - صحيح البخاري ، (باب قول الله تعالى يا أيها الذين امنوا)، (8 / 25)، حديث رقم(6094).

المطلب الثالث: وجوب البراءة من الشرك والمشركين

قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ * إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ﴾ [الزخرف: 26-27].

أولاً: مقدمة:

"الولاء والبراء مبدأ أصيل من مبادئ الإسلام ومقتضيات (لا إله إلا الله)، فلا يصح إيمان أحدٍ إلا إذا والى أولياء الله، وعادى أعداء الله".⁽¹⁾

"فلقد كانت قريش تقول: إنَّها من ذرية إبراهيم وهذا حقٌّ، وإنَّها على ملة إبراهيم وهذا ما ليس بحقٍ، فقد أعلن إبراهيم كلمة التوحيد قوية واضحة، لا لبس فيها ولا غموض، ومن أجلها هجر أباه وقومه، بعد ما تعرض للقتل والتحريق، وعليها قامت شريعته، وبها أوصى ذريته، فلم يكن للشرك فيها ظلٌّ ولا خيطٌ رفيعٌ"⁽²⁾.

ثانياً: المناسبة:

بعدما ذكَّروهم الله بالأُمم المأضية وشبهه حالهم، ساق لهم أمثالا في ذلك من مواقف الرسل مع أممهم وأقوامهم، منها قصة إبراهيم -عليه السلام- مع قومه، وابتداءً بذكر إبراهيم وقومه إنطالا لقول المشركين، فلقد تبرأ إبراهيم (عليه السلام) من تقليد الآباء في الدين، فاذا ذكر أيُّها الرسول لقومك قريشاً المقلدين للآباء: لم لم يقلدوا أباهم إبراهيم الذي تبرأ مما يعبد أبوه (آزر) وقومه من الأصنام؟ ودعا إلى عبادة الله وحده لا شريك له، قائلاً: لا أعبد إلا الذي فطرني، أي خلقتني، فإنه تعالى سيرشدني إلى الحق وإلى صراط مستقيم⁽³⁾.

ثالثاً: المعنى العام:

والمعنى: وأذكر زمان قول إبراهيم لأبيه وقومه قولاً صريحاً في التبرؤ من عبادة الأصنام، وخصَّ أبو إبراهيم بالذكر قبل ذكر قومه وما هو إلا واحد منهم، اهتماماً بذكره لأنَّ براءة إبراهيم ممَّا يعبد أبوه أدلُّ على تجنُّب عبادة الأصنام، بحيث لا يتسامح فيها ولو كان الذي يعبدُها أقرب النَّاسِ إلى

¹ - عقيدة الولاء و البراء (1 / 1، بتريقيم الشاملة آليا) محمد أحمد إسماعيل المقدم، مصدر الكتاب: دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية.

² - في ظلال القرآن، لسيد قطب (5/ 3184).

³ - انظر: التحرير والتنوير، لابن عاشور (25/ 191)، انظر: التفسير الوسيط، للزحيلي (3/ 2361, 2362).

مُوجِدَ اللَّهِ بِالْعِبَادَةِ، فإِنَّ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، تَبَرَّأَ مِمَّا كَانَ عَلَيْهِ قَوْمُهُ وَتَمَسَكَ بِالْبِرْهَانِ ، لِيَسْلُكَوْا مَسْلَكَهُ فِي الِاسْتِدْلَالِ (1).

فِيهِمْ مِنْ حَدِيثِ إِبْرَاهِيمَ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - وَتَبَرُّهُ مِمَّا يَعْبُدُ قَوْمَهُ ، أَنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا يَكْفُرُونَ وَيَجْحَدُونَ وَجُودَ اللَّهِ أَصْلًا ، إِنَّمَا كَانُوا يَشْرِكُونَ بِهِ وَيَعْبُدُونَ مَعَهُ غَيْرَهُ ، فَتَبَرَّأَ مِنْ كُلِّ مَا يَعْبُدُونَ ، وَاسْتَنْتَى اللَّهَ وَوَصَفَهُ بِصِفَتِهِ الَّتِي تَسْتَحِقُّ الْعِبَادَةَ ابْتِدَاءً ، وَالِاسْتِثْنَاءُ إِنَّمَا يَكُونُ مِنْ جِنْسِ الْمُسْتَنْتَى مِنْهُ ، وَهُوَ أَنَّهُ فَطَرَهُ وَأَنْشَأَهُ (2).

رَابِعًا: مَعَانِي الْمَفْرَدَاتِ:

بِرَاءً: يَعْنِي: بَرِيءٌ مِنْ مَعْبُودِكُمْ (3)، أَيْ: مَبْغُضٌ لَهُ ، مَجْتَنِبٌ مَعَادَ لِأَهْلِهِ (4)، قَالَ الزَّجَّاجُ: الْبِرَاءُ بِمَعْنَى الْبَرِّيَّةِ (5)، وَيُقَالُ: تَبَرَّأْتُ مِنَ الْأَمْرِ أَيْ تَخَلَّيْتُ مِنْهُ بِالْكَلْبِيَّةِ (6).
فَطَرَنِي: يَعْنِي الَّذِي خَلَقَنِي.

فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ: فَإِنَّهُ سَيَقُومُنِي لِلدِّينِ الْحَقِّ (7)، أَيْ يَرشُدُنِي إِلَى مَا يَكْمَلُنِي وَيَسْعِدُنِي (8)، يَثْبِتُنِي عَلَى دِينِ دِينِ الْإِسْلَامِ (9).

خَامِسًا: الْبِلَاغَةُ:

- قَوْلُهُ تَعَالَى: (إِنِّي بِرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ)، فَوَضَعَ الْبِرَاءَ وَهُوَ مَصْدَرٌ مَوْضِعَ النِّعَةِ ، وَالْعَرَبُ لَا تَنْتَهِي الْبِرَاءَ وَلَا تَجْمَعُ وَلَا تَوْنُثُ (10).
- فِي الْكَلَامِ تَقْدِيمٌ وَتَأْخِيرٌ ، الْمَعْنَى "فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ" "لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ" (11).

1- انظر: التحرير والتنوير، لابن عاشور (25 / 192)، فتح البيان في مقاصد القرآن، لابن الحسيني (12 / 345).
2- انظر: في ظلال القرآن، لسيد قطب (5 / 3184)، تأويلات أهل السنة، للماتريدي (9 / 160).
3- بحر العلوم (3 / 255)، أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي (المتوفى: 373 هـ).
4- تيسير الكريم الرحمن، للسعدي (ص: 764).
5- زاد المسير في علم التفسير، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (4 / 75).
6- صفوة التفاسير، (3 / 144)، محمد علي الصابوني، دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، طبعة: الأولى 1417 هـ، 1997 م.
7- جامع البيان، للطبري (21 / 588).
8- أيسر التفاسير، للجزائري (4 / 635).
9- بحر العلوم، للسمرقندي (3 / 255).
10- جامع البيان، للطبري (21 / 588).
11- تفسير الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (16 / 77).

- قوله بريء: أى من عبادتكم أو معبودكم، مصدر نُعت به ولذلك استوى فيه الواحد والمتعدد والمذكر والمؤنث⁽¹⁾.

من مظاهر الولاء للمؤمنين:

- 1 - الهجرة إليهم.
- 2 - مناصرتهم ومعاونتهم بالنفس والمال واللسان فيما يحتاجون إليه في دينهم ودنياهم.
- 3 - التألم لآلامهم والسرور بسرورهم.
- 4 - النَّصح لهم ومحبةُ الخير لهم وعدمُ غشهم وخديعتهم.
- 5 - احترامهم وتوقيرهم وعدم تنقصهم وعبههم.
- 6 - أن يكون معهم في حال الحزن والسرور والشدة والرخاء.
- 7 - زيارتهم ومحبة الالتقاء بهم والاجتماع معهم.
- 8 - احترام حقوقهم⁽²⁾.

سادساً: ما يستفاد من الآيات:

- 1- "تحريم موالاة الآباء والأقرباء إذا استحباوا الكفر على الإيمان ، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [التوبة: 23]"⁽³⁾.
- 2- أن إبراهيم (عليه السلام) كان أسوةً حسنةً في الولاء والبراء من الأمم الماضية ، وقدوةً طيبةً في ولائه لربه ودينه وعباد الله المؤمنين، وبراءته ومعاداته لأهل الشرك ومنهم أبوه⁽⁴⁾.
- 3- بيان صفة أولياء الله ورسله وفضائلهم المتنوعة.
- 4- محبة الله لأوليائه المؤمنين التي هي أعظم ما تنافس فيه المتنافسون.
- 5- أن الله مع أوليائه المؤمنين وناصرهم ومؤيِّدهم ومسدِّدهم ومجيب دعواتهم وهازم عدوهم.
- 6- إخلاص العبادة لله وحده دون غيره.
- 7- الولاء والبراء يقتضي عدم الاحتكام إلى أي طاغوت في أي حكم من الأحكام الدنيوية أو الدنيوية.

¹ - أنوار التنزيل وأسرار التأويل (5/ 89)، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (المتوفى: 685هـ)، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة: الأولى، 1418 هـ.

² - الولاء والبراء والعداء في الإسلام (ص: 46)، أبو فيصل البدراني.

³ - مفهوم الولاء و البراءة في القرآن والسنة (ص: 167)، علي بن نايف الشحود، الطبعة: الأولى، 1433هـ، 2012م.

⁴ - انظر: الولاء و البراءة في الإسلام (ص: 145) محمد بن سعيد بن سالم القحطاني، تقديم: فضيلة الشيخ عبد الرزاق الرزاق عفيفي، دار طيبة، الرياض ، المملكة العربية السعودية ، الطبعة: الأولى.

- 8- عدم موالاة الكفار في أي حال من الأحوال ومن ذلك: عدم التقرب إليهم أو مودتهم بالأقوال أو الأفعال أو النوايا، وعدم التشبه بهم(1).
- 9- وجوب موالاة الله ورسوله والمؤمنين، والبراءة من المشركين والكافرين والمنافقين وأعدائهم، قال تعالى: ﴿لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً وَيُحَذِّرْكُمْ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ الْمَصِيرُ﴾، (آل عمران: 28).

¹ - انظر: مفهوم الولاء و البراءة في القرآن والسنة ، علي بن نايف الشحود (ص: 519).

المطلب الرابع: فضيلة من يورث أولاده هدى وصلاً.

قال الله تعالى: ﴿ وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾، (الزخرف: 28).
أولاً: مقدمة:

هذه الآية الكريمة تدل دلالة واضحة على فضيلة من يربي أبناءه على الهداية والصلاح ، لما في ذلك من حماية النفس من الوقوع في الشرك والمعاصي.

ثانياً: المعنى العام:

تعددت أقوال المفسرين والعلماء في تفسير قوله تعالى " وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً " إلى عدة آراء، نذكر منها ما يلي:

1- "الكلمة الباقية: هي كلمة الهداية والتوحيد، فإنَّ قوله: " لا إله "، نفي غير الله، وقوله: " إلا الله "، إثبات ألوهية الله تعالى، وقيل: إنَّ الكلمة الباقية: هي كلمة الدعوة إلى الهدى والتوحيد، وهي عبارة عن إبقاء النبوة والخلافة في ذريته إلى يوم القيامة، وهو ما قال: (إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ) [البقرة: 124] (1).

2- قال قتادة: "الكلمة هي شهادة ألا إله إلا الله، لم يزل في ذريته من يقولها من بعده، وقاله السدي، وقال ابن زيد: الكلمة: الإسلام(2) ، وهو قوله: {أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ} [البقرة: 131] ، وَقَالَ الضَّحَّاكُ: الْكَلِمَةُ أَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ(3).

3- "وجعلها كلمة أي: كلمة التوحيد باقية في عقبه، عقب إبراهيم (عليه والسلام) لا يزال من ولده من يوحد الله عز وجل"(4).

4- قال صاحب الكشاف: "كلمة باقية في عقبه في ذريته، فلا يزال فيهم من يوحد الله ويدعو إلى توحده، لعل من أشرك منهم يرجع بدعاء من وحد منهم. ونحوه"(5).

ويرى الباحث أن جميع الآراء السابقة تحتل المعنى، إذ إنَّ العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، فإن أريد بالكلمة الهداية والتوحيد، فلا يزال من ولده من يوحد الله عز وجل إلى يومنا هذا، فإننا نرى الكثير من ذرية إبراهيم من نسل اسماعيل وهم (العرب)، و نسل اسحاق وهم(الروم) ، ونسل يعقوب وهم

1- تأويلات أهل السنة، للماتريدي (9 / 161).

2- الهداية إلى بلوغ النهاية (10 / 6649)، أبو محمد مكي بن أبي طالب حَمَوْش بن محمد بن مختار القيسي القيرواني ثم الأندلسي القرطبي المالكي (المتوفى: 437هـ)، تحقيق: مجموعة رسائل جامعة بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي ، جامعة الشارقة، بإشراف أ. د: الشاهد البوشيخي ، مجموعة بحوث الكتاب والسنة، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة الشارقة، الطبعة: الأولى، 1429 هـ - 2008 م.

3- تفسير الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (16 / 77).

4- الوجيز، للواحدي (ص: 973).

5- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، للزمخشري (4 / 246).

(الاسرائيليون)، قد اسلموا بفضل الله عز وجل- وهذا ممَّا يؤكد صدق الإسلام، وأنها الشريعة الباقية إلى قيام الساعة.

5- أمَّا إنَّ أريدَ بالكلمةِ الباقية: إبقاءُ النبوةِ والخلافةِ، فيصدق ذلك حديثُ النبي (ﷺ) فعنَ عامِرِ بْنِ سَعْدٍ، عَن أَبِيهِ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ (ﷺ) يَقُولُ لَهُ وَخَلْفَهُ فِي بَعْضِ مَعَارِيهِ، فَقَالَ عَلِيٌّ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَتُخَلِّفُنِي مَعَ النِّسَاءِ وَالصِّبْيَانِ؟ قَالَ: " يَا عَلِيُّ، أَمَا تَرْضَى أَنْ تَكُونَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى، إِلَّا أَنَّهُ لَا نُبُوَّةَ بَعْدِي(1).

6- وجه الاستدلال: لَا نُبُوَّةَ بَعْدِي.

7- أمَّا إنَّ أريدَ بالكلمةِ الباقية: هي شهادة ألا إله إلا الله، فإنَّ هذا الأمر لا يحتاج إلى دليل، فلا يكاد يخلو مكان على وجه الأرض ، إلا وتنتطق به شهادة التوحيد.

8- أمَّا إنَّ أريدَ بالكلمةِ الباقية: الإسلام، فهذا قول حق ، فإنَّ هذا الدينَ سيبلغ ما بلغ الليلُ والنهارُ، وممَّا يؤكد ذلك حديثُ ثُوْبَانَ (رضي الله عنه) أن رَسُولَ اللَّهِ (ﷺ) قال: " إِنَّ اللَّهَ رَوَى لِي الْأَرْضَ، فَرَأَيْتُ مَشَارِقَهَا وَمَعَارِبَهَا، وَإِنَّ أُمَّتِي سَيَبْلُغُ مُلْكُهَا مَا رُوِيَ لِي مِنْهَا... (2).

ثالثاً: معاني المفردات:

كلمة باقية: التوحيد والهداية، الحكم والنبوة، الإسلام، شهادة لا إله إلا الله.

عَقِبِهِ: نسله ، أو من خَلْفَهُ (3)، يعني: ولده (4).

ويقال عَقِبَ وَعَقَبَ، والعَقِبُ هنا: الولد .

وقال ابن عباس: العقب هنا من يأتي بعده.

وقال السدي: في عقب إبراهيم: آل محمد (ﷺ).

وقال ابن شهاب: العقب: " الولد، وولد الولد ."

وقال ابن زيد: " عقبه: ذريته " (5).

يرجعون: لَعَلَّهُمْ يَتُوبُونَ عَن عِبَادَةِ غَيْرِ اللَّهِ (6).

1- مسند أحمد ط الرسالة (3/ 160) ، باب:مسند أبي إسحاق، حديث رقم(1608). إسناده قوي على شرط مسلم،

رجاله ثقات رجال الشيخين غير بكير بن مسمار، فمن رجال مسلم، وهو صدوق.

2- صحيح مسلم ، (باب هلاك هذه الأمة بعضهم ببعض)، (4/ 2215)، حديث رقم، (2889).

3- تفسير القرآن ، للعز بن عبد السلام (3/ 153).

4- تفسير مجاهد (ص: 593) أبو الحجاج مجاهد بن جبر التابعي المكي القرشي المخزومي (المتوفى: 104هـ)

،تحقيق الدكتور محمد عبد السلام أبو النيل ،دار الفكر الإسلامي الحديثة، مصر ،الطبعة: الأولى، 1410 هـ ،

1989 م.

5- الهداية إلى بلوغ النهاية، لأبو محمد مكي بن أبي طالب (10/ 6651).

6- انظر: تفسير، الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (16/ 77).

رابعاً: البلاغة:

- مجاز مرسل (علاقته جزئية) في قوله: "وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقْبِهِ" ، والمراد بالكلمة: الجملة التي قالها، وهي: إِنِّي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ من قبيل إطلاق الجزء وإرادة الكل⁽¹⁾.
- قوله: (وَجَعَلَهَا) : الضمير المرفوع لإبراهيم عليه السلام وهو الظاهر أو الله، والمنصوب لكلمة التوحيد المفهومة من قوله: «إِنِّي بَرَاءٌ» إلى آخره، أو لأنها بمنزلة الكلمة، فعاد الضمير على ذلك اللفظ لأجل المعنى به⁽²⁾.

خامساً: ما يستفاد من الآيات:

- 1- فضيلة من يورث أولاده هدى وصلاً، فان ذلك يعود على الإنسان بالنعمة والخير ، فعن أبي هريرة (رضي الله عنه) عن النبي (ﷺ) قال: " إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ، انْقَطَعَ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثٍ: عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ صَدَقَةٍ تَجْرِي لَهُ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ " ⁽³⁾.
- 2- إن دين الإسلام سيعم بقاع الأرض ، وأن من اتبع هذا الدين سيكتب له السعادة في الدنيا، والنجاة في الآخرة.
- 3- بقاء وعدم فناء ذرية ونسل إبراهيم عليه السلام إلى يوم القيامة.

¹- انظر: المنير، للزحيلي (140 / 25).

²- الدر المصون في علوم الكتاب المكنون (9 / 583). أبو العباس، شهاب الدين، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي (المتوفى: 756هـ)، تحقيق: الدكتور أحمد محمد الخراط ، دار القلم، دمشق.

³- سنن الدرامي، (باب البلاغ عن رسول الله)، (1 / 462) حديث رقم (578)، صححه الألباني " في كتاب: صحيح الأدب المفرد.

المطلب الخامس: تعنيف الكفار بسبب تكذيبهم للحق

قال الله تعالى: ﴿ بَلْ مَتَّعْتُ هَؤُلَاءِ وَآبَاءَهُمْ حَتَّىٰ جَاءَهُمُ الْحَقُّ وَرَسُولٌ مُّبِينٌ ﴾، (الزخرف: 29)

أولاً: مقدمة:

بيّن الله تعالى حال المعرضين عن الحق وإمهالهم، وأنه - سبحانه - لم يعاجلهم بالعقوبة على كفرهم حَتَّىٰ جَاءَهُمُ بِالْقُرْآنِ الذي هو حَقٌّ، فأقام عليهم الحجة والدليل ، وبعث فيهم رسولاً ، ومع ذلك فقد كفروا ، مما أوجب عليهم العقوبة من الله عزَّ وجل.

ثانياً: المعنى العام:

إنَّ من رحمة الله -تعالى- وكرمه على عباده، أنه يمهلهم عند ارتكاب المعاصي رحمة منه تعالى؛ لِيَتْرَكَ لَهُمُ الْفُرْصَةَ لِلتَّوْبَةِ وَالْإِقْلَاعِ عَنِ الذُّنُوبِ وَالمَعَاصِي، فمن فضله تعالى على عباده، أنه يعاملهم بإحسانه وليس بعدله، كما قال تعالى جل ذكره: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيرًا﴾، [إفاطر: 45] ، فلقد خاطب الله تعالى نبيه محمداً (ﷺ) قائلاً له: بَلْ مَتَّعْتُ يَا مُحَمَّدُ ، هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ مِنْ قَوْمِكَ وَآبَاءَهُمْ مِنْ قَبْلِهِمْ بِالْحَيَاةِ، وَالْمُرَادُ بِآبَائِهِمْ: آبَاؤُهُمُ الَّذِينَ سَبَّوْا عِبَادَةَ الْأَصْنَامِ مِثْلُ عَمْرٍو بْنِ لُحَيٍّ وَالَّذِينَ عَبَدُوها مِنْ بَعْدِهِ، ولم أعاجلهم بالعقوبة، على كفرهم حَتَّىٰ جَاءَهُمُ الْحَقُّ، وَرَسُولٌ مُّبِينٌ، يُبَيِّنُ وَيُوضِحُ لَهُمُ الْأَحْكَامَ وَهُوَ مُحَمَّدٌ (ﷺ) "فاغتروا بالمهلة ، وشغلوا بالنتعم واتباع الشهوات والملذات وطاعة الشيطان عن كلمة التوحيد، فكان ينبغي لهم أن يقابلوا النعم بالطاعة والشكر للرسول بدلاً من الكفر والجحود"⁽¹⁾.

ثالثاً: معاني المفردات:

مَتَّعْتُ يعني: أجلت هؤلاء، وأمهلتهم ، حَتَّىٰ جَاءَهُمُ الْحَقُّ يعني: القرآن⁽²⁾.

هؤلاء يعني: المشركين⁽³⁾.

رسول: مُحَمَّدٌ ﷺ.

¹ - انظر: جامع البيان ، للطبري(21/ 591)، التحرير والتنوير، لابن عاشور (25/ 197)، التفسير المنير ، للزحيلي (25/ 141)، معالم التنزيل في تفسير القرآن (7/ 211) ، محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي (المتوفى: 510هـ) ، بتحقيق: حقه وخرج أحاديثه محمد عبد الله النمر ، عثمان جمعة ضميرية ، سليمان مسلم الحرش ، دار طيبة للنشر والتوزيع ، الطبعة: الرابعة، 1417 هـ ، 1997 م، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل ، للزمخشري(4/ 246)، زاد المسير في علم التفسير ، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (4/ 76).

² - بحر العلوم ، للسمرقندي(3/ 256).

³ - تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (7/ 225).

مبين، يعني: بين لهم الحق من الباطل⁽¹⁾.

رابعاً: البلاغة:

- الإطنابُ في قوله: بل متعتهم بما متعتهم به من طول العمر، والسعة في الرزق، حتى شغلهم ذلك عن كلمة التوحيد، وأراد بذلك الإطناب في تعبيرهم، لأنه إذا متعهم بزيادة النعم وجب عليهم أن يجعلوا ذلك سبباً في زيادة الشكر والثبات على التوحيد والإيمان⁽²⁾.

خامساً: القراءات:

«متعت» بضم التاء هي قراءة الجمهور، وقرأ قتادة: «متعت» بفتح التاء الأخيرة على معنى: قل يا رب متعت، ورواها يعقوب عن نافع، وقرأ الأعمش: «بل متعنا»، وهي تعضد قراءة الجمهور⁽³⁾.
قرأ نافع في رواية يعقوب والأعمش أيضاً «بل متّعنا» بنون العظمة⁽⁴⁾.

سادساً: ما يستفاد من الآيات:

- 1- "لا يعترض على الله أحد في شرعه وتدبيره إلا من كفر بالله تعالى"⁽⁵⁾
- 2- إن إهمال الله تعالى للمعرضين عن الحق لا يمنع عنهم استحقاق العذاب يوم القيامة.
- 3- من متعه الله بزيادة النعم، وجب عليهم الزيادة في الشكر والثبات على التوحيد والإيمان.
- 4- أن من أرسل إليه النذير من الرسل، وأقيمت عليه الحجة، وجب عليه الإيمان والتصديق بهم.
- 5- من سنة الله تعالى على عباده انه لا يعذبهم حتى يبعث إليهم الرسل، ويقم عليهم الحجة.
- 6- وصف الله تعالى القرآن بالحق؛ لأنه جاء لينذرهم ويحذرهم عقابه تعالى، لمن كفر بالقران والأنبياء.
- 7- أن متاع الدنيا قليلٌ و زائلٌ، وأنها دارٌ ممر، وأن الآخرة دار مقر، فينبغي التزود من دار المفر إلى دار المقر، والاستعداد للرحيل ولقاء الله تعالى.

¹- بحر العلوم، للسمرقندي (3/ 256).

²- انظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، للزمخشري (4/ 247).

³- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لابن عطية (5/ 52).

⁴- انظر: الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، للسمين الحلبي (9/ 583).

⁵- أيسر التفاسير، للجزائري (4/ 638).

المبحث الثاني

المقاصد والأهداف لسورة الزخرف الآيات (30-35).

وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: ادعاء الكفار بان القرآن سحر.

المطلب الثاني: الْحُكْمُ لِلَّهِ وَحْدَهُ.

المطلب الثالث: هوان الدنيا على الله عز وجل.

المطلب الرابع: الميل للدنيا و بيان زينتها.

المطلب الخامس: متاع الدنيا زائل.

المطلب الأول: ادعاء الكفار بأن القرآن سحر

قال الله تعالى: ﴿ وَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِ كَافِرُونَ * وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴾ (الزخرف: 30-31).

أولاً: مقدمة:

"لا يختلط الحق بالسحر، فهو واضح بين، وإنما هي دعوى، كانوا هم أول من يعرف بطلانها، فما كان كبراء قريش ليغيب عنهم أنه الحق، ولكنهم كانوا يخدعون الجماهير من خلفهم، فيقولون: إنه سحر ويعلنون كفرهم به على سبيل التوكيد"⁽¹⁾.

ثانياً: المناسبة:

"بعد أن متعهم الله عز وجل وأمهلمهم ولم يُعَاجِلْهُمْ بِالْعُقُوبَةِ، فَاعْتَرَوْا بِالْمُهَلَّةِ وَاكْبَوْا عَلَى الشَّهَوَاتِ فَبَيَّنَ سُبْحَانَهُ مَا صَنَعُوهُ عِنْدَ مَجِيءِ الْحَقِّ فَقَالَ: "وَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِ كَافِرُونَ" أَي: جَاحِدُونَ، فَسَمَّوْا الْقُرْآنَ سِحْرًا وَجَحَدُوهُ، وَاسْتَحَقَرُّوا رَسُولَ اللَّهِ (ﷺ) والغرض بهذا الكلام توبيخ المقلد المسيء الذي استهزأ بالرسول"⁽²⁾.

ثالثاً: المعنى العام:

يقول جل ثناؤه: وَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ لِيُنَبِّهَهُمْ عَن غَفْلَتِهِمْ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِ كَافِرُونَ زادوا شرارة فضموا إلى شركهم معاندة الحق والاستخفاف به، فسموا القرآن سحراً وكفروا به واستحققوا الرسول. (وَإِنَّا بِهِ كَافِرُونَ) قالوا: وإنا به جاحدون، ننكر أن يكون هذا من عند الله، وهذا من أعظم أنواع المعاندة والمشاققة، فإنهم لم يكتفوا بمجرد الإعراض عنه... فلم يهدأ لهم بال حتى قدحوا به قدحا شنيعاً، وجعلوه بمنزلة السحر الباطل"⁽³⁾.

"وقالوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ" الضمير في قالوا لقريش، والقريتان مكة والطائف، ومن القريتين: معناها من إحدى القريتين، كقولك: يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان...

¹ - في ظلال القرآن، لسيد قطب (3185/5).

² - انظر: فتح القدير، للشوكاني (4 / 634)، فتح البيان في مقاصد القرآن، لابن لطف الله الحسيني (12 / 348).

³ - انظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل، للبيضاوي (5 / 90)، جامع البيان، للطبري (21 / 591)، تيسير الكريم الرحمن للسعدي (ص: 765).

ومعنى الآية أن قريشا استبعدوا نزول القرآن على محمد (ﷺ) واقترحوا أن ينزل على أحد هؤلاء، ووصفوه بالعظمة يريدون الرئاسة في قومه وكثرة ماله⁽¹⁾.

واختلف في الرجل الذي وصفوه بأنه عظيم، فقالوا: "هَلَّا نَزَلَ عَلَيْهِ هَذَا الْقُرْآنُ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: هَلَّا نَزَلَ عَلَى الْوَلِيدِ بْنِ الْمُغِيرَةَ الْمَخْزُومِيِّ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ، أَوْ حَبِيبِ بْنِ عَمْرِو بْنِ عَمِيرِ الثَّقَفِيِّ مِنْ أَهْلِ الطَّائِفِ؟"

وقد كان عروة بن مسعود الثقفي، عظيم أهل الطائف، وقال آخرون: بل عني به: الوليد بن المغيرة من أهل مكة، ومن أهل الطائف: كنانة بن عبد بن عمرو⁽²⁾.
والذي يميل إليه الباحث: ما ذهب إليه الإمام الطبري رحمه الله، ... "والصوابُ أن يُقالَ كما قال جَلَّ ثَنَاهُ، مَخْبَرًا عَنْ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ (وَقَالُوا لَوْلَا نَزَلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقُرَيْشِيِّينَ عَظِيمٍ) إِذْ كَانَ جَائِزًا أَنْ يَكُونَ بَعْضُ هَؤُلَاءِ، وَلَمْ يَضَعْ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى - لَنَا الدَّلِيلَ عَلَى الَّذِينَ عَنُوا مِنْهُمْ فِي كِتَابِهِ، وَلَا عَلَى لِسَانِ رَسُولِهِ (ﷺ)"⁽³⁾.

رابعاً: معاني المفردات:

الحق: صدق الحديث، والحق المملك: وألحق: اليقين بعد الشك. ويُقال أحققت الأمر إحقاقاً إذا أحكمته وصححته⁽⁴⁾.

السحر: الكيد، والسحر: سواد القلب وتواحيه، وقيل: هو القلب، وهو السحر أيضاً⁽⁵⁾.
كافرون (ك ف ر) : كَفَرَ بِاللهِ يَكْفُرُ كُفْرًا وَكُفْرَانًا وَكَفَرَ النِّعْمَةَ وَبِالنِّعْمَةِ أَيْضًا جَحَدَهَا وَفِي الدُّعَاءِ وَلَا تَكْفُرْكَ الْأَصْلُ وَلَا تَكْفُرْ نِعْمَتَكَ وَكَفَرَ بِكَذَا تَبَرَّأَ مِنْهُ⁽⁶⁾.

القريتان: مكة والطائف، وقيل: من رجلي القريتين، وهما: الوليد بن المغيرة المخزومي وحبیب بن عمرو بن عمير الثقفي⁽⁷⁾.

¹ - التسهيل لعلوم التنزيل (2/ 257) أبو القاسم، محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله، ابن جزي الكلبي الغرناطي (المتوفى: 741هـ)، تحقيق: الدكتور عبد الله الخالدي، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، الطبعة: الأولى 1416هـ.

² - انظر: جامع البيان، للطبري (21/ 593,592).

³ - المصدر نفسه، (21/ 594).

⁴ - تهذيب اللغة (3/ 246)، محمد بن أحمد بن الأزهر الهروي، أبو منصور (المتوفى: 370هـ)، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة: الأولى، 2001م.

⁵ - لسان العرب، لابن منظور (4/ 351).

⁶ - المصباح المنير في غريب الشرح الكبير (2/ 535)، أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبو العباس (المتوفى: نحو 770هـ)، المكتبة العلمية، بيروت.

⁷ - الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، للزمخشري (4/ 247).

خامساً: البلاغة:

- أسلوب تعجب : وَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِ كَافِرُونَ (الزخرف:30).

تَعْجِيبٌ مِنْ حَالِ تَعَاْفُلِهِمْ، أَيْ قَدْ كَانَ لَهُمْ بَعْضُ الْعُدْرِ قَبْلَ مَجِيءِ الرَّسُولِ (ﷺ) وَالْقُرْآنِ،... فَكَانَ الشُّأْنُ أَنْ يَسْتَيْقِظُوا لَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ وَرَسُولٌ مُبِينٌ فَيَتَذَكَّرُوا كَلِمَةَ أَبِيهِمْ إِبْرَاهِيمَ، وَلَكِنَّهُمْ لَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ قَالُوا: هَذَا سِحْرٌ،...فَالْخَبْرُ مُسْتَعْمَلٌ فِي التَّعْجِيبِ لَا فِي إِفَادَةِ صُدُورِ هَذَا الْقَوْلِ مِنْهُمْ لِأَنَّ ذَلِكَ مَعْلُومٌ لَهُمْ وَلِلْمُسْلِمِينَ⁽¹⁾

- أسلوب توكيد يقولون: «وَإِنَّا بِهِ كَافِرُونَ» ليلقوا في روع الجماهير أنهم واثقون مما يقولون فيتبعوهم عن طريق الإيحاء والانقياد⁽²⁾.

سادساً: القراءات:

القرءان : ابن كثير بالنقل وكذا حمزة وقفا⁽³⁾.

سابعاً: ما يستفاد من الآيات:

1- أن المتأمل أمام إصرارهم على هذا الكفر ما ذكره تعالى: وهو الانتقام الشديد من الكافرين، وتدميرهم وإهلاكهم⁽⁴⁾.

2- أن الإصرار على الكفر، ومعاداة الحق، يستوجب غضب الله تعالى في الدنيا ، والخلود في النار يوم القيامة.

3- أن ملة الكفر واحدة ، فالجاهلية الأولى، لا تختلف عن جاهلية القرن العشرين، فان عناد كفار قريش هو الذي دعاهم لوصف القرآن بأنه سحر، و كذلك فان أصحاب الجاهلية اليوم، من علماء السلاطين هم الذين يلوون عنق النص القرآني لإصدار الفتاوى التي تتناسب وتتماشى مع أهواء وعقول الحكام، حفاظاً على الكرسي و المنصب والجاه، فان صناديد الكفر هم الذين وقفوا ليصدوا الناس عن الإيمان بدعوة الله وأنبيائه، و كذلك فإن طغاة هذا العصر، هم الذين يحاربون أولياء الله ورسوله.

¹ انظر باختصار: التحرير والتنوير ،لابن عاشور(25/ 198).

² في ظلال القرآن ، لسيد قطب(5/ 3186).

³ مصحف القراءات العشر، أبو العلاء محمد أبو العلاء(ص:491).

⁴ انظر: التفسير المنير، للزحيلي (25/ 139).

المطلب الثاني: الْحُكْمُ لِلَّهِ وَحْدَهُ

قال الله تعالى: ﴿أَهُمْ يُفْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾ (الزخرف:32)

أولاً: المعنى العام:

"أَهُمْ يُفْسِمُونَ رَحْمَةَ رَبِّكَ؟" أَي لَيْسَ الْأَمْرُ مَرْدُودًا إِلَيْهِمْ، بَلْ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَاللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَاتِهِ، فَإِنَّهُ لَا يُنْزِلُهَا إِلَّا عَلَى أَرْكَى الْخَلْقِ قَلْبًا وَنَفْسًا، وَأَشْرَفِهِمْ بَيْنًا، وَأَطْهَرِهِمْ أَصْلًا، أَي إِذَا كُنَّا نَحْنُ نَقْسَمُ بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ، فَغَنِي هَذَا وَنَفَقَر هَذَا وَنَمَلِك هَذَا وَنَعَزَل هَذَا، فَكَيْفَ بِالنَّبِوَةِ وَهِيَ أَجَل وَأَعْلَى مِنْ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ فَحَنُّ أَحَقُّ بِهَا مِنْهُمْ فَغَنِيٌّ مِنْ نَشَاءٍ؛ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا: أَي نَجْعَلُ هَذَا غَنِيًّا وَذَاكَ فَقِيرًا لِيَتَّخِذَ الْغَنِيُّ الْفَقِيرَ خَادِمًا يَسْخَرُهُ فِي خِدْمَتِهِ بِأَجْرَةٍ مُقَابِلَ عَمَلِهِ، (وَ رَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ) "أَي أَفْضَلُ مِمَّا يَجْمَعُونَ مِنْ حَطَامِ الدُّنْيَا، ثُمَّ قِيلَ: الرَّحْمَةُ النَّبُوءَةُ، وَقِيلَ: الْجَنَّةُ، وَقِيلَ: تَمَامُ الْفَرَائِضِ خَيْرٌ مِنْ كَثْرَةِ التَّوَائِلِ. وَقِيلَ: مَا يُنْفَضُّ بِهِ عَلَيْهِمْ خَيْرٌ مِمَّا يَجَازِيهِمْ عَلَيْهِ مِنْ أَعْمَالِهِمْ(1).

ثانياً: البلاغة:

-أَهُمْ يُفْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ: استفهام غرضه الإنكار والتعجب من تحكّمهم، والرّحمة: تعنى النبوة(2).
-استعارة مكنية : شبه الرحمة بالشيء الذي يقسم كالطعام والشراب.

ثالثاً: القراءات:

قرأ الجمهور: «معيشتهم» . وقرأ ابن مسعود والأعمش: «معائشهم»
قرأ جمهور الناس «سخرىا» بضم السين. وقرأ أبو رجاء وابن محيصن: «سخرىا» بكسر السين، وهما لغتان في معنى التسخير، ولا مدخل لمعنى الهزء في هذه الآية(3).

رابعاً: ما يستفاد من الآيات:

- 1- بيان الحكمة في الغنى والفقير، والصحة والمرض والذكاء والغباء(4).
- 2- أن الحكم لله وحده، وينبغي على جميع الخلق التسليم بأمر الله تعالى.
- 3- التسليم التام والرضا بأوامر الله وطاعته، وعدم الاعتراض على حكمه وقضائه.

¹ مختصر تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير (2/ 289)، أيسر التفاسير، للجزائري (4/ 636)، تفسير الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (16/ 84).

² انظر: التفسير المنير، للزحيلي (25/ 141).

³ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لابن عطية (5/ 53).

⁴ أيسر التفاسير، للجزائري (4/ 638).

المطلب الثالث: هوان الدنيا على الله عز وجل

قال الله تعالى: ﴿وَلَوْلَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِيُئْتِيَهُمْ سُقْفًا مِنْ فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ﴾ (الزخرف:33).

أولاً: سبب النزول:

جاء عن ابن عباس "أن العرب قالوا: إن كان النبي بشراً فغير محمد كان أحق بالرسالة: فينزل هذا القرآن على رجلٍ من القرينتين عظيم يكون أشرف من محمد، يعنون الوليد بن المغيرة من مكة، وعروة بن مسعود الثقفي من الطائف، فأنزل الله رداً عليهم: أَلَمْ يَفْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ « ، وذلك أن الوليد بن المغيرة - كان يسمى ريحانة قريش، كان يقول: لو كان ما يقوله محمد حقاً لنزل عليّ أو على أبي مسعود، فنزل قول الله تعالى: "أَلَمْ يَفْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ" يعني: النبوة، فيضعونها حيث شاؤوا"⁽¹⁾.

ثانياً: المناسبة:

"بعد تكذيبهم رسول الله (ﷺ) ووصفهم له بأنه ساحر كذاب، وقولهم بأن الرجل الشريف وهو كثير المال ورفيع الجاه هو الأحق بالنبوة من محمد الفقير اليتيم، ردّ تعالى عليهم بأنه هو الذي قسم الأرزاق والحظوظ بين عباده، وأن التفاوت في شؤون الدنيا هو الأصلح لنظام المجتمع، وأن ميزان الاصطفاء للنبوة إنما يعتمد على القيم الأدبية والروحية"⁽²⁾.

ثالثاً: المعنى العام:

معنى الآية: لولا خوفُ الله تعالى على عباده المؤمنين من الكفر لأعطى الكافر من نعم الدنيا، وذلك لاحتقار الدنيا عنده ، وفي هذه الآية تنبيه على حكمة الله تعالى في تفضيل الله بعض العباد على بعض في الدنيا {لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا} أي: ليسخر بعضهم بعضاً، في الأعمال والحرف والصنائع ، فلو تساوى الناس في الغنى، ولم يحتاج بعضهم إلى بعض، لتعطلت كثير من مصالحهم ومنافعهم⁽³⁾.

رابعاً: المفردات اللغوية:

وَلَوْلَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً: أي خشية أن يكون جميع الناس على ملّة واحدة وهي الكفر، جعل الله تعالى التفاوت في النعيم والتفضيل عنده لحكمة أرادها الله تعالى.

¹ - انظر: التفسير المنير، للزحيلي (142 / 25).

² - انظر: التفسير المنير، للزحيلي (143 / 25).

³ - انظر: التفسير المنير، للزحيلي (142 / 25)، تيسير الكريم الرحمن، للسعدي (ص: 765).

سُقْفًا: جمع سقف، عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ: يصعدون ويعلون إلى السطوح⁽¹⁾.

وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ: المعارج: الأدراج والسلالم والمصاعد⁽²⁾، ومنه معراج النبي ﷺ: أي صعوده إلى السماء السابعة.

خامساً: البلاغة:

- التقديم والتأخير: لإفادة الاختصاص: قُدِّمَ ضَمِيرُ هُمْ الْمَجْعُولُ مُسْتَدًا إِلَيْهِ، عَلَى مُسْنَدٍ فِعْلِيٍّ لِيُفِيدَ مَعْنَى الْإِخْتِصَاصِ فَسَلَّطَ الْإِنْكَارَ عَلَى هَذَا الْحَصْرِ إِبْطَالًا لِقَوْلِهِمْ وَتَحَطُّنَةً لَهُمْ فِي تَحْكُمِهِمْ⁽³⁾.
- جُمْلَةٌ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ: تَعْلِيلٌ لِلْإِنْكَارِ وَالنَّفْيِ الْمُسْتَقَادِ مِنْهُ، وَاسْتِدْلَالٌ عَلَيْهِ⁽⁴⁾.

سادساً: القراءات:

- (البيوتهم) قرأ: ورش وأبو عمرو وحفص وأبو جعفر ويعقوب بضم الموحدة، والباقون بكسر ها.
- (سقفا) قرأ: ابن كثير وأبو عمرو وأبو جعفر بفتح السين وسكون القاف، والباقون بضمها⁽⁵⁾.

سابعاً: ما يستفاد من الآيات:

- 1- هوان وحقارة الدنيا عند الله عز وجل وتمكين الكفار فيها لحكمة يرتضيها الله عز وجل، فعن أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " إِنَّهُ لَيَأْتِي الرَّجُلُ الْعَظِيمُ السَّمِينُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، لَا يَزِنُ عِنْدَ اللَّهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ...⁽⁶⁾.
- 2- تفاوت الناس في الأمور الدنيوية من حكمة الله تعالى؛ كي لا تتعطل مصالحهم ومنافعهم المعيشية.

¹- التفسير المنير، للزحيلي (141 / 25).

²- انظر: التسهيل لعلوم التنزيل، لابن جزي (2 / 258).

³- التحرير والتنوير، لابن عاشور (200 / 25).

⁴- المرجع نفسه، لابن عاشور (201 / 25).

⁵- مصحف القراءات العشر، لأبو العلاء (ص: 491).

⁶- صحيح البخاري (93 / 6).

المطلب الرابع: الميل للدنيا و بيان زينتها

قال الله تعالى: ﴿وَلِيُبَيِّنَ لَهُمْ أَبْوَابَ وَسْرَرًا عَلَيْهَا يُتَّكِنُونَ﴾ (الزخرف:34).

أولاً: المعنى العام:

"وجعلنا سقف بيوتهم، وسلالمهم ومصاعدهم التي يرتقون ويصعدون عليها، وأبواب البيوت والسّرر التي يتكئون عليها من فضة خالصة، وذهب وزينة ونقوش فائقة، لهوان الدنيا عند الله تعالى" (1).

ثانياً: المفردات اللغوية:

وَلِيُبَيِّنَ لَهُمْ أَبْوَابًا مِنْ فِضَّةٍ، وَسْرَرًا مِنْ فِضَّةٍ، جَمْعُ سَرِيرٍ، عَلَيْهَا يَطَّهَّرُونَ: يَتَّكِنُونَ وَيَسْتَنْدُونَ. وَزُخْرَفًا ذَهَبًا أَوْ زِينَةً مَزُوقَةً (2).

ثالثاً: البلاغة:

(وليبيوتهم أبواباً وسرراً) أي وجعلنا لبيوتهم أبواباً من فضة وسرراً من فضة، وتكرير لفظ البيوت لزيادة التقرير (عليها) أي على السرر (3).

اللام في قوله: لِيُبَيِّنَ لَهُمْ لَامٌ تَخْصِيصٌ، كَمَا تَقُولُ: هَذَا الْكِسَاءُ لِدَابَّةِ زَيْدٍ، أَيْ هُوَ لِدَابَّتِهِ (4).
التقديم: في قوله: (سرراً) على قوله: (يتكئون) وذلك للتشويق والمسرة.

رابعاً: القراءات:

(سُقْفًا) وَيَقْرَأُ سُقْفًا مِنْ فِضَّةٍ، وَيَجُوزُ سُقْفًا بِسُكُونِ الْقَافِ وَضَمِّ السِّينِ، فَمَنْ قَالَ سُقْفًا وَسُقْفًا فَهُوَ جَمْعُ سُقْفٍ كَمَا قِيلَ رَهْنٌ وَرُهْنٌ وَرُهْنٌ، وَمَنْ قَالَ سُقْفًا فَهُوَ وَاحِدٌ يَدُلُّ عَلَى الْجَمْعِ، الْمَعْنَى جَعَلْنَا لِبَيْتِ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ سُقْفًا مِنْ فِضَّةٍ (5).

خامساً: ما يستفاد من الآيات:

1- تحريم الشرب في أواني الذهب والفضة للمؤمنين في الدنيا كما جاء في صحيح مسلم عن رسول الله (ﷺ) أنه قال: «لَا تَلْبَسُوا الْحَرِيرَ وَلَا الدَّبِيحَ، وَلَا تَشْرَبُوا فِي آنِيَةِ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ، وَلَا تَأْكُلُوا فِي صِحَافِهَا، فَإِنَّهَا لَهُمْ فِي الدُّنْيَا» (6).

1- التفسير المنير، للزحيلي (146 / 25).

2- انظر: المرجع نفسه، للزحيلي (141 / 25).

3- فتح البيان في مقاصد القرآن، ابن لطف الله الحسيني (351 / 12).

4- انظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لابن عطية (54 / 5).

5- معاني القرآن وإعراجه، للزجاج (4 / 410) إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج (المتوفى: 311هـ)، عالم الكتب، بيروت، الطبعة: الأولى 1408 هـ، 1988 م.

6- صحيح مسلم، باب: تحريم استعمال إناء الذهب والفضة، (3 / 1638) حديث رقم (2067).

2- إن الدنيا بمتاعها وزخرفها حقيرة ، لا تعدل عند الله شيئاً، فلقد مر النبي (ﷺ) بِشَاةٍ مَيِّتَةٍ سَائِلَةٍ بِرِجْلِهَا، فَقَالَ: «أَتُرُونَ هَذِهِ هَيِّئَةً عَلَى صَاحِبِهَا؟ فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَلدُّنْيَا أَهْوَنُ عَلَى اللَّهِ مِنْ هَذِهِ عَلَى صَاحِبِهَا، وَلَوْ كَانَتِ الدُّنْيَا تَرِنُ عِنْدَ اللَّهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ، مَا سَقَى كَافِرًا مِنْهَا قَطْرَةً أَبَدًا»⁽¹⁾.

3- رحمة الله تعالى بعباده المؤمنين، بعد فتنتهم بالمال والذهب، فهما من متاع الدنيا وفتنتها.

¹ - سنن ابن ماجه، باب: مثل الدنيا (2/ 1376)، حديث رقم(4110)،[تعليق محمد فؤاد عبد الباقي]، في الزوائد في إسناده زكريا بن منظور وهو ضعيف. وفيه إن أصل المتن صحيح، حكم الألباني: صحيح.

المطلب الخامس: متاع الدنيا زائل

قال الله تعالى: ﴿ وَزُخْرُفًا وَإِنْ كُلُّ ذَلِكَ لَمَّا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ (الزخرف:35)

أولاً: مقدمة:

بعد أن بيّن الله - عز وجل - أنواع الزينة، وما أعده للكافرين من متاع في الحياة الدنيا، أخبر سبحانه وتعالى أن الآخرة خير عنده، وأن ما أعده الله للكافرين ما هو إلا متاع قليل و زائل.

ثانياً: المعنى العام:

قوله: (وَزُخْرُفًا) وجعلنا لهم مع ذلك زخرفاً، وهو الذهب، وقوله عَزَّ وَجَلَّ: (وَإِنْ كُلُّ ذَلِكَ لَمَّا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ (35) أي: كل ما ذكر ليس إلا متاع الحياة الدنيا، أعطى من أثره على نعيم الآخرة ، والعاقبة للمتقين، كما اختاروها على غيرها⁽¹⁾).

ثالثاً: المفردات اللغوية:

زخرف: الزُّخْرُفُ: الزينة، وبيت مُزَخَّرَفٌ، وتَزَخَّرَفَ الرجل: تزين، والزُّخْرُفُ: الذهب. والزُّخْرُفُ: ما يُزَخَّرَفُ من السفن⁽²⁾.

رابعاً: القراءات:

ذلك لما : عاصم وحمزة وابن جماز وهشام بخلفه بتشديد الميم ، والباقون بتخفيفها⁽³⁾.
وقرأ جمهور القراء: «وإن كل ذلك لما» بتخفيف الميم ...، واللام في: «لما» داخلة لتفصل بين النفي والإيجاب، وقرأ عاصم وحمزة وهشام بخلاف عنه، والحسن وطلحة والأعمش وعيسى: «لما متاع» بتشديد الميم من «لما» فإن «لما» نافية بمعنى ما، ولما: بمعنى: إلا ... ، والتقدير: وإن كل ذلك للذي هو متاع الحياة الدنيا⁽⁴⁾.

خامساً: ما يستفاد من الآيات:

1- أن الحياة الدنيا ما هي إلا متاع قليل وزائل ، وأنها بزخرفها لا تساوى عند الله تعالى جناح بعوضة ، ولو كانت عند الله كذلك لما سقى منها كافر شربة ماء، وإن الآخرة عند الله تعالى خير

¹ انظر: جامع البيان، للطبري (21/ 601). تأويلات أهل السنة، للماتريدي (9/ 165).

² العين ، (4/ 338) أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (المتوفى: 170هـ)، تحقيق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال.

³ مصحف القراءات العشر، لأبو العلاء (ص:492).

⁴ انظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لابن عطية (5/ 54) .

وأبقي للمتقين، كما جاء في صحيح البخاري ، عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن رسول الله
(ﷺ) قال: " إِنَّهُ لَيَأْتِي الرَّجُلُ الْعَظِيمُ السَّمِينُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، لَا يَزِنُ عِنْدَ اللَّهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ...⁽¹⁾.

¹ صحيح البخاري ، باب: أولئك الذين كفروا بايت ربهم ولقائه(6/93)، حديث رقم(4729).

المبحث الثالث

المقاصد والأهداف لسورة الزخرف الآيات (36-40).

وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: تسليط الشيطان على جاحد الحق.

المطلب الثاني: الشيطان لا يتورع عن صد الإنسان.

المطلب الثالث: براءة الكافر من الشيطان يوم القيامة.

المطلب الرابع: الشياطين والكفار يعذبون يوم القيامة.

المطلب الخامس: إن هدى الله هو الهدى .

المبحث الثالث

ويشتمل على خمسة مطالب:

المطلب الأول: تسليط الشيطان على جاحد الحق

قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ يَعِشْ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقِيضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾ (الزخرف:36)

أولاً: مقدمة:

"إن مشيئة الله في خلق الإنسان اقتضت أنه حين يغفل قلبه عن ذكر الله ، يجد الشيطان طريقه إليه، فيلزمه، ويصبح له قرين سوء يوسوس له، ويزين له السوء"⁽¹⁾.

ثانياً: سبب النزول:

"أن قريشا قالت قَيِّضُوا لِكُلِّ رَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ رَجُلًا يَأْخُذُهُ، فَقَيِّضُوا لِأَبِي بَكْرٍ طَلْحَةَ بْنَ عُبَيْدِ اللَّهِ، فَأَتَاهُ وَهُوَ فِي الْقَوْمِ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: إِيَّامًا تَدْعُونِي؟ قَالَ: أَدْعُوكَ إِلَى عِبَادَةِ اللَّاتِ وَالْعَزَى قَالَ أَبُو بَكْرٍ: وَمَا اللَّاتُ؟ قَالَ: أَوْلَادُ اللَّهِ، قَالَ: وَمَا الْعَزَى؟ قَالَ: بَنَاتُ اللَّهِ، قَالَ أَبُو بَكْرٍ: فَمَنْ أَمُّهُمْ؟ فَسَكَتَ طَلْحَةُ فَلَمْ يَجِبْهُ، وَقَالَ لِأَصْحَابِهِ: أَحْبَبُوا الرَّجُلَ، فَسَكَتَ الْقَوْمُ، فَقَالَ طَلْحَةُ: قُمْ يَا أَبَا بَكْرٍ أَشْهَدُ إِلَّا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنْ مُحَمَّدًا رَسُولَ اللَّهِ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ هَذِهِ الْآيَةَ"⁽²⁾.

ثالثاً: المعنى الإجمالي:

بين الله تعالى أن القرآن كتاب هداية وصلاح، فهو حصن منيع من مكائد الشيطان ووسوسته ، وحماية للعبد المؤمن من الضلال، فَمَنْ أَعْرَضَ عَنِ الْقُرْآنِ وَمَا فِيهِ مِنَ الْحِكْمَةِ إِلَى أَبَاطِيلِ الْمُضِلِّينَ يُعَاقِبُهُ اللَّهُ بِشَيْطَانٍ يُفَيِّضُهُ لَهُ حَتَّى يُضِلَّهُ وَيُلَازِمَهُ قَرِينًا لَهُ، فَلَا يَهْتَدِي مُجَازَةً لَهُ حِينَ أَثَرَ الْبَاطِلِ عَلَى الْحَقِّ الْبَيِّنِ"⁽³⁾.

رابعاً: معاني المفردات:

قوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَمَنْ يَعِشْ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقِيضْ لَهُ شَيْطَانًا﴾.

قَالَ بَعْضُهُمْ: (يَعِشْ) أي: يعرض عن ذكر الرحمن.

وقَالَ بَعْضُهُمْ: (يَعِشْ) أي: يعنى بصره، ويضعف عن ذكر الرحمن؛ أي: يعنى عنه ولا يقبله.⁽⁴⁾

¹ - في ظلال القرآن، لسيد قطب (5/ 3189).

² - تفسير المراغي (25/ 90)، أحمد بن مصطفى المراغي (المتوفى: 1371هـ)، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة: الأولى، 1365 هـ - 1946 م.

³ - انظر: فتح القدير، للشوكاني (4/ 636).

⁴ - تأويلات أهل السنة، للماتريدي (9/ 165).

نُقِيضُ لَهُ شَيْطَانًا أَي نيسر له ونعد. ()

والقَرِينُ: الصاحب والصديق. ()

من خلال المعاني السابقة يتبين أن كلمة (يعش) جاءت بمعنى الإعراض عن ذكر الله، فإن المعرض عن ذكر الله كالأعمى الذي لا يرى ببصيرته ، وإن كان يرى ببصره ، فهو مصروف عن نور القرآن وهدايته.

خامساً: البلاغة

يُقَيِّضُ لَهُ شَيْطَانٌ فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ " أَي مُلَازِمٌ وَمُصَاحِبٌ. قِيلَ: " فَهُوَ كِنَايَةٌ عَنِ الشَّيْطَانِ. ()

سادساً: القراءات:

نقِيضُ : يعقوب بالياء والباقون بالنون. ()

قرأ الجمهور : «نقِيضُ» بالفوقية، وقرأ الأعمش : «يقِيضُ» ، بالتحنية. ()

سابعاً: ما يستفاد من الآيات:

1- من يعرض عن ذكر الله فإن الله يسلط عليه شيطاناً يضلّه ويحرمه الهداية أبداً، فيقيم على

الذنوب والآثام ضالاً الطريقَ المنجي المسعد وهو يحسب أنه مهتدٍ، وهذا يتعرض له المعرضون عن

الكتاب والسنة كأصحاب الفرق الضالة، وأصحاب الأهواء والشهوات والعياذ بالله تعالى. ()

2- "إن الإضلال من الله تعالى لا يكون إلا بعد إعراض الناس عن أوامر الله، فمن يتعام ويتغافل

عن آيات القرآن وشرائعه وأحكامه، ويعرض عنها إلى أقاويل المضلين وأباطيلهم، نهى له شيطاناً

يغويه، جزاء على كفره، فهو له قرينٌ وصاحبٌ ملازمٌ في الدنيا، يمنعه من الحلال، ويبعثه على

الحرام، وينهاه عن الطاعة، ويأمره بالمعصية، وقرينٌ له في الآخرة في العذاب المشترك بينهما. ()

العلاقة بين شياطين الجن وشياطين الإنس ، فإنَّ شيطانَ الجن يبذل جهداً كبيراً لإضلال بني

آدم، فهو يأتيه من كلِّ طريق، عن اليمين وعن الشمال، ومن الأمام ومن الخلف ، ليضلّه عن سبيل

الله⁽¹⁾، وكذلك فإنَّ شياطينَ الإنس يبذلون أقصى وسعهم لإغواءِ الناس، وإبعادهم عن القرآن وأهله،

وصدّهم عن سبيل الله.

¹ - انظر: عالم الجن والشياطين (ص: 53) عمر بن سليمان بن عبد الله الأشقر العتيبي ، مكتبة الفلاح، الكويت ، الطبعة: الرابعة، 1404 هـ - 1984 م.

المطلب الثاني: الشَّيْطَانُ لا يتورع عن صد الإنسان:

قال الله تعالى: ﴿وَأَنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُّهْتَدُونَ﴾ (الزخرف: 37).
أولاً: مقدمة:

إن الله - سبحانه وتعالى - حين يُقَيِّضُ للإنسان الكافر شيطاناً يلزمه فإنَّ الشيطان لا يتورع عن صدِّ الإنسان عن سبيلِ الله بكل الطرق والأساليب، سواءً بشكل مباشر أو غير مباشر، فضلاً عن أنَّه يصورُ للإنسان أنَّه على نورٍ وبصيرة وهدى.

ثانياً: المناسبة:

بعد أن بين الله - سبحانه وتعالى - التلازم بين الشيطان والإنسان المعرض عن ذكر الله ، بين - سبحانه - الآثار التي تترتب على مقارنة الشيطان للإنسان فقال: (وَأَنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُّهْتَدُونَ) والضمير في (وَأَنَّهُمْ) يعود إلى الشيطان باعتبار جنسه، أي: ومن يعرض عن طاعة الله، نهى له شيطاناً، فيكون ملازماً له ملازمةً تامة، وأنَّ هؤلاء الشياطين وظيفتهم أنهم يصدون هؤلاء الفاسقين عن ذكر الله تعالى، وعن سبيله الحق وصراطه المستقيم⁽¹⁾.

ثالثاً: المعنى الإجمالي:

يصف الله تعالى حال الغافلين عن ذكر الله وطاعته، وكيف سيطر الشيطان على عقولهم وزين لهم أعمالهم، فصدّهم عن ذكر الله وعن سبيل الحق، فان الشياطين يزينون لهم الضلالة، ويكرهون لهم الإيمان بالله، والعمل بطاعته. وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُّهْتَدُونَ ، فيظن هؤلاء المشركون بالله، بتزيين الشياطين لهم ما هم عليه أنهم على الصواب والهدى⁽²⁾.

رابعاً: معاني المفردات:

{وَأَنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ} أي: الصراط المستقيم، والدين القويم⁽³⁾.
{وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُّهْتَدُونَ} أي ويحسب الكفار أنهم على نور وبصيرة وهداية من أمرهم⁽⁴⁾.

¹ - انظر: التفسير الوسيط (13 / 80) ، محمد سيد طنطاوي ، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة ، الطبعة: الأولى.

² - انظر: محاسن التأويل (8 / 390)، محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (المتوفى: 1332هـ)، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، 1418 هـ.

³ - تيسير الكريم الرحمن، للسعدي (ص: 766).

⁴ - صفوة النقايسير، للصابوني (3 / 146).

خامساً: البلاغة:

- التعبير بالفعل المضارع: «لَيَصُدُّوهُمْ» «وَيَحْسَبُونَ» دلالة على استمرارية العملية فهي قائمة مستمرة معروضة للأنظار يراها الآخرون، ولا يراها الضالون السائرون إلى الفخ وهم لا يشعرون⁽¹⁾.
التعريف في «السبيل» تعريف الجنس⁽²⁾.
{وَأَنَّهُمْ لَيَصُدُّوهُمْ عَنِ السَّبِيلِ} ، حيث ذكر الكناية عن الشيطان وابن آدم بلفظ الجمع في قوله: {وَأَنَّهُمْ لَيَصُدُّوهُمْ}⁽³⁾.

سادساً: القراءات:

ويحسبون : ابن عامر وعاصم وحزمة وأبو جعفر بفتح السين، والباقون بكسرها⁽⁴⁾.

سابعاً: ما يستفاد من الآيات:

1- أن الإنسان الكافر بملازمته للشيطان وإتباعه له، يظن أنه على الطريق الصواب ولكن الحقيقة تنفي ذلك.
2- أن مهمة الشياطين خطيرة تستوجب الحذر من وساوسهم وإغراءاتهم، فهم يصدرون الناس عن سبيل الهدى، حتى يُخَيَّلَ للكفار أنهم على الحق و أنهم مهتدون، وقيل: ويحسب الكفار أن الشياطين مهتدون، فيطيعونه⁽⁵⁾.

المطلب الثالث: براءة الكافر من الشيطان يوم القيامة:

قال الله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَنَا قَالَ يَا لَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ الْقَرِينُ﴾ (الزخرف:38).
أولاً: المناسبة:

"بعد أن بين أن المال متاع الدنيا ، ونعيم الآخرة ، ذكر أن من فاز بالمال والجاه صار كالأعشى عن ذكر الله وصار من جلساء الشياطين المضلين الذين يصدونه عن السبيل القويم، ويظن أنه مهتد، لأنه يتلقى من الشياطين ما يلائم أخلاقه فيألفه ولا ينكره، ثم ذكر أنه إذا جاء يوم القيامة تبرا الكافر من الشيطان قرينه وقال له: ليت بيني وبينك بعد ما بين المشرقين"⁽⁶⁾.

¹- انظر: في ظلال القرآن، لسيد قطب (5/ 3189).

²- التحرير والتنوير ، لابن عاشور (25/ 212).

³- انظر: التفسير البسيط (20/ 45)، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (المتوفى: 468هـ)، عمادة البحث العلمي، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الطبعة: الأولى، 1430 هـ.

⁴- مصحف القراءات العشر، لآبو العلاص (ص:492).

⁵- التفسير المنير، للزحيلي (25/ 160).

⁶- تفسير المراغي (25/ 88).

ثانياً: المعنى الإجمالي:

يندم الكافر يوم القيامة اشد الندم حين يعلم أن ما كان ينكره أصبح واقعاً لا محالة ، فيتمنى لو انه لم يطع أوامر الشيطان ، فيقول للشيطان: يَا لَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ، فَبِئْسَ الْقَرِينُ والصاحب ، حتى إذا عرض الكافر يوم القيامة على الله عز وجل، فإنه يتبرم بالشيطان الذي وكل به، ويتبرأ منه، ويتمنى الكافر أن بينه وبين الشيطان المقارن له من البعد ما بين المشرق والمغرب، فبئس الصاحب الملازم للإنسان شيطانه (1).

فان قوله تعالى: (بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ) مشرق الشتاء، ومشرق الصيف، وذلك أن الشمس تطلع في الشتاء من مشرق تختلف فيه عن الصيف، وفي الصيف من مشرق غيره؛ وكذلك المغرب تغرب في مغربين مختلفين (2).

ثالثاً: معاني المفردات:

{حَتَّى إِذَا جَاءَنَا} ذلك الغافل المتعامي (3).
{بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ} أي بعد المشرق والمغرب أي تباعد كل منهما عن الآخر (4).
{فَبِئْسَ الْقَرِينُ} أي فبئس الصاحب أنت لأنك كنت سبباً في شقائي بتزنيك الباطل لي (5).

رابعاً: البلاغة:

التغليب في قوله: (بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ) أراد بذلك المشرق والمغرب فغلب المشرق لأنه أشهر الجهتين. حَتَّى ابْتِدَائِيَّةً، وَهِيَ نُفَيْدُ النَّسَبِ الَّذِي هُوَ غَايَةُ مَجَازِيَّةً، فَاسْتِعْمَالُ حَتَّى فِيهِ اسْتِعَارَةٌ تَبَعِيَّةٌ (6) خامساً:

القراءات:

قَرَأَ نَافِعٌ وَأَبْنُ كَثِيرٌ وَأَبْنُ عَامِرٌ وَأَبُو بَكْرٍ (حَتَّى إِذَا جَاءَنَا) عَلَى اثْنَيْنِ يَعْنِي الْكَافِرَ وَقَرِينَهُ مِنَ الشَّيَاطِينِ وَحَجَّتَهُمْ قَوْلُهُ يَا لَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بَعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ} ، يَعْنِي بَعْدَ مَشْرِقِ الصَّيْفِ وَمَشْرِقِ الشِّتَاءِ ، وَقَرَأَ الْبَاقُونَ (جَاءَنَا) وَاحِدًا وَحْدَهُ أَفْرَدَ بِالْخِطَابِ فِي الدُّنْيَا وَأَقِيمَتْ عَلَيْهِ الْحُجَّةُ بِإِنْفَادِ الرَّسُولِ إِلَيْهِ فَاجْتَزَى

1- انظر باختصار: التفسير المنير، للزحيلي (156 / 25).

2- انظر: جامع البيان، للطبري (607 / 21).

3- أوضح التفاسير (1 / 605)، محمد محمد عبد اللطيف بن الخطيب (المتوفى: 1402هـ)، المطبعة المصرية ومكنتها، الطبعة: السادسة، رمضان 1383 هـ ، فبراير 1964 م.

4- إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، لأبي السعود (8 / 47).

5- صفوة التفاسير ، للصابوني (3 / 146).

6- التحرير والتنوير، لابن عاشور (25 / 212).

بِالْوَاحِدِ عَنِ الْإِثْنَيْنِ كَمَا قَالَ {لِيُنْبِذَنَّ فِي الْحَطْمَةِ}، [الهمزة: 4]. وَالْمَرَادُ لِيُنْبِذَنَّ هُوَ وَمَالَهُ وَحِجَّتَهُمْ قَوْلُهُ قَبْلَهَا، (1). {وَمَنْ يَعِشْ عَنِ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ}، [الزخرف: 37].

الحصانة من مكائد الشيطان:

الأول: إحفظ الله بتحقيق الإخلاص في توحيده سبحانه.

الثاني: إحفظ الله في تعظيمه بالإكثار من ذكره.

الثالث: إحفظ الله في التزام تقوى الله تعالى، وبتسخير جوارحك في الاجتهاد بالعمل بمراضيه سبحانه، واجتناب نواهيه.

الرابع: إحفظ الله بالافتداء بالنبي (ﷺ) بالالتزام أفعال مخصوصة أرشدت إليها السنة النبوية الكريمة (2).

سادساً: ما يستفاد من الآيات:

1- تخلى الشيطان عن قرينه يوم القيامة، والبراءة منه، فان الشيطان يعلن براءته يوم القيامة من قرينه الكافر محتجاً بقوله: {وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعَدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلْمُزُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ} [إبراهيم: 22].

2- الحسرة والندامة يوم القيامة للإنسان الذي اتبع الشيطان وحاد عن سبيل الحق.

3- ضرورة ملازمة صاحب الصادق والأمين، والابتعاد عن قرناء السوء؛ فان صاحب الأمين يذكرك بالله، ويعينك على فعل الطاعات والخيرات، وأما صاحب السوء، فلا يتورع في ضللك وبعذك عن الله.

4- توبيخ الإنسان للشيطان بسبب ضلاله، وإبعاده عن الهدى.

5- تتجلى الحقيقة المرة في الآخرة، حين يتبرأ الكافر من قرينه الشيطان، ويتمنى البعد عنه كالبعد بين المشرق والمغرب...؛ لأنه سبب في وروده النار (3).

1- حجة القراءات، لابن زنجلة (ص: 650).

2- التحصين من كيد الشياطين، (ص: 112)، د خالد بن عبد الرحمن بن علي الجريسي.

3- انظر: التفسير المنير، للزحيلي (160 / 25).

المطلب الرابع: الشياطين والكفار يعذبون يوم القيامة:

قال الله تعالى: ﴿وَلَنْ يَنْفَعَكُمْ الْيَوْمَ إِذْ ظَلَمْتُمْ أَنْكُم فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ﴾ (الزخرف:39).
أولاً: المناسبة:

"بعد أن بيّن الله تعالى أن المال متاع الدنيا، وهو زائل، نبّه إلى آفات المال؛ لأن من فاز بالمال والجاه صار كالأعشى المعرض عن ذكر الله، وصار من جلساء الشياطين الضالين المضلين الذين يصدون الناس عن طريق الهداية في الدنيا، أما في الآخرة، فينتبرأ الكافر من قرينه الشيطان، وهما في العذاب مشتركان، والاشترار في العذاب لا يفيد التخفيف كما كان يفيد في الدنيا"⁽¹⁾، فإن المال إما أن يكون نعمة لك وإما أن يكون نقمة عليك، فإن أحسن الإنسان استخدامه فهو له نخر عند الله تعالى، وأما إن أساء استخدامه فإنه يكون وبالاً وحسرة عليه يوم القيامة في نار جهنم، فإن هذا المال يحمى عليه في نار جهنم فيكوى به صاحبه.

ثانياً: المعنى الإجمالي:

قوله: ﴿وَلَنْ يَنْفَعَكُمْ الْيَوْمَ﴾ أيها الغافلون عن ذكر الله في الدنيا (إِذْ ظَلَمْتُمْ أَنْكُم فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ) فلن يخفف عنكم اليوم من عذاب الله اشتراككم فيه، لأن لكل واحد منكم نصيبه منه، و لَنْ يَنْفَعَكُمْ الْإِعْتِزَارُ وَالنَّدَمُ الْيَوْمَ فَأَنْتُمْ وَقَرْنَاوَكُمُ الْيَوْمَ مُشْتَرِكُونَ فِي الْعَذَابِ، كَمَا كُنْتُمْ مُشْتَرِكِينَ فِي الدُّنْيَا فِي الْكُفْرِ⁽²⁾.

ثالثاً: معاني المفردات:

ينفعكم: النَّفَعُ: ضِدُّ الضَّرِّ، نَفَعَهُ نَفَعًا⁽³⁾.
ظلمتم [ظلم] ظَلَمَهُ يَظْلِمُهُ ظُلْمًا وَمَظْلَمَةً، وَأَصْلُهُ وَضَعُ الشَّيْءِ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ⁽⁴⁾.

رابعاً: البلاغة:

قوله أَنْكُم فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ تعليل، أي: "لن ينفعكم تمنيتكم، لأنّ حقكم أن تشتركوا أنتم وقرناؤكم في العذاب كما كنتم مشتركين في سببه وهو الكفر"⁽⁵⁾.

¹ - التفسير المنير، للزحيلي (155 / 25).

² - انظر: جامع البيان، للطبري (607 / 21)، تفسير البغوي (214 / 7).

³ - العين، (158 / 2)، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (المتوفى: 170هـ)، تحقيق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال.

⁴ - الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية (5 / 1977)، لأبي نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (المتوفى: 393هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة: الرابعة 1407 هـ، 1987 م.

⁵ - الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، للزمخشري (252 / 4).

خامساً: اللطائف البيانية:

قوله: {وَلَنْ يَنْفَعَكُمُ} : "في فاعله قولان، أحدهما: أنه ملفوظٌ به، وهو «أنكم» وما في حيزها التقدير: ولن يَنْفَعَكُم اشتراككم في العذاب بالتأسي، كما يَنْفَعُ الاشتراك في مصائب الدنيا فيتأسى المصاب بمتله... .

والثاني: أنه مضمّر، فقدّره بعضهم ضمير التمني المدلول عليه بقوله: {ياليت بيئي} أي: لن يَنْفَعَكُم تَمَنِّيَكُم البُعْد⁽¹⁾.

سادساً: ما يستفاد من الآيات:

- 1- إن اشتراك الشياطين والكافرين في العذاب يوم القيامة لا يخفف عنهم العقوبة، وأنهم تقاسموا العذاب في الحكم فقط، أمّا في جهنم -والعياذ بالله- فإنّ لكل واحد منهم نصيبه من العذاب.
- 2- أن عاقبة الظلم وخيمة، توجب غضب الله عز وجل في الدنيا والآخرة.
- 3- لا ينفَعُ أهل النار التأسي كما يتأسى أهل المصائب في الدنيا، فيقول أحدهم: لي في البلاء والمصيبة أسوة، فيخفف ذلك من حزنه، فإذا كان في الآخرة لم ينفَعهم التأسي شيئاً لشغلهم بالعذاب⁽²⁾.

¹- الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، للسمين الحلبي (9/ 590).

²- انظر: التفسير المنير، للزحيلي (25/ 160).

المطلب الخامس: إن هدى الله هو الهدى :

قال الله تعالى: ﴿ أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ أَوْ تَهْدِي الْعُمْيَ وَمَنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ (الزخرف:40).
أولاً: سبب نزول الآية :

كان رسول الله (ﷺ) يُتَعَبُ نَفْسَهُ فِي دَعَاءِ قَوْمِهِ، وَهَمْ لَا يَزِيدُونَ إِلَّا إِصْرَارًا عَلَى الْكُفْرِ؛ فَنَزَلَتْ
الآية: أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ.. الآية⁽¹⁾.
ثانياً: المناسبة:

بعد أن وصف الله تعالى المعرضين عن ذكره بالإعراض عن ذكره، وصفهم أيضاً بالصمم
والعمى؛ لأنهم أصمُّوا أذانهم وأغلقوا أعينهم عن الحق؛ لكونهم في ضلال مبين.
ثالثاً: المعنى الإجمالي:

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد (ﷺ): (أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ) : " من قد سلبه الله استماع حججه
التي احتجّ بها في هذا الكتاب فأصمه عنه، أو تهدي إلى طريق الهدى من أعمى الله قلبه عن إبطاره،
واستحوذ عليه الشيطان، فزين له الردى"⁽²⁾.
رابعاً: معاني المفردات:

الصم: جمع الأصم، وهو الذي لا يسمع، وأراد به الذي لا يهتدي ولا يقبل الحق، من صمم
العقل، لا صمم الأذن⁽³⁾، فان الذي لا يسمع الكلام صمت أذناه عن سماع الكلام ، فأما الذي صم
عن سماع آيات القرآن وهدايته، فقد صم قلبه، فهو كما قال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْفُرْقَانَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ
أَفْقَالُهُا﴾، [محمد: 24].

عمى: العمى: ذهابُ البصرِ، عَمِيَ يَعْمَى عَمَى⁽⁴⁾.
ضلال: الضالُّ: كلُّ من ينحرف عن دين الله الحنيف⁽⁵⁾.

خامساً: البلاغة:

أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ أَوْ تَهْدِي الْعُمْيَ استعارة تمثيلية، شبه الكفار بالصمم والعمى.
والهمزة: إنكار تعجيب من أن يكون هو الذي يقدر على هدايتهم بعد استغراقهم في الضلال.
أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا جِنَاسَ الْإِشْتِقَاقِ، لِتَغْيِيرِ الشَّكْلِ وَبَعْضِ الْحُرُوفِ بَيْنَهُمَا⁽⁶⁾.

¹ - انظر: نفس المرجع، للزحيلي (155 / 25).

² - جامع البيان، للطبري (608 / 21).

³ - النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير الجزري (53 / 3).

⁴ - العين، للفراهيدي (266 / 2).

⁵ - المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة (543 / 1).

⁶ - التفسير المنير، للزحيلي (153 / 25).

أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ أَوْ تَهْدِي الْعُمْيَ وَمَنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (40)

"هذا الاستفهام فيه معنى النفي أي أنه ليس يمكنك هداية من سددا بصيرته، ولبنا عليه رشده، ومن صبنا في مسامع فهمه رصاص الشقاء والحرمان.. فكيف يمكنك إسماعه؟! (1)".

سادساً: اللطائف البيانية:

يقول جلّ ثناؤه: ليس ذلك إليك، إنما ذلك إلى الله الذي بيده صرف قلوب خلقه كيف شاء، وإنما أنت منذر، فبلغهم النذارة (2).

سابعاً: ما يستفاد من الآيات:

- 1- "بيان أن من أعماه الله وأصمّه حسب سنته في ذلك لا هادي له ولا مسمع له ولا مبصر" (3).
- 2- أن علة هذا العمى والصمّ الذي صرفهم عن الهداية واتباع دعوة الرسل هو من وسوسة الشيطان.
- 3- "تسليّة الله لنبيه (ﷺ) عند حزنه وأسفه لإعراض قومه عن قبول رسالته، قائلاً له: ليس لك من الأمر شيء، فلا تستطيع هداية العمى الضالين، فلا يضيق صدرك إن كفروا" (4).
- 4- أن الهداية من الله وحده، وأن الرسل مكلفون فقط بالتبليغ، فمن اتبع الأنبياء ولحق بهم فقد نجى وفاز، ومن عاداهم وصدّ عن دعوتهم فقد خسر الدنيا والآخرة.
- 5- رسالة صريحة إلى الدعاة بعدم القنوط واليأس والاستمرارية في الدعوة إلى الله تعالى، فهم مكلفون فقط بالتبليغ وهداية الناس، وأمّا النتائج فهي عند الله - تعالى - من شاء هداه، ومن شاء أعمى قلبه فأضله.

1- لطائف الإشارات (3/ 368)، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري (المتوفى: 465هـ)، تحقيق: إبراهيم البسيوني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، الطبعة: الثالثة.

2- جامع البيان، للطبري (21/ 608).

3- أيسر التفاسير، للجزائري (4/ 642).

4- انظر: التفسير المنير، للزحيلي (25/ 160).

المبحث الرابع

المقاصد والأهداف لسورة الزخرف الآيات (41-46)

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: سنة الله في المتآمرين على شخص رسول الله.

المطلب الثاني: صدق وعد الله تعالى لرسوله.

المطلب الثالث: وجوب التمسك بالكتاب والسنة اعتقاداً وعملاً.

المطلب الرابع: شرف الله هذه الأمة بالقرآن.

المطلب الأول: سنة الله في المتأمرين على شخص رسول الله.

قال الله تعالى: ﴿فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُمْ مُنْتَقِمُونَ﴾ (الزخرف: 41).

أولاً: المناسبة:

بيّن الله تعالى أن دعوة الرسول (ﷺ) لا تؤثر في قلوب هؤلاء، فلم تحرك عندهم ساكناً، أخبر الله -تعالى- رسوله (ﷺ) تسلياً له ، بأنه لا بد وأن ينتقم لأجله منهم، إمّا حال حياته أو بعد وفاته⁽¹⁾، فينبغي على الداعية المسلم أن يستنفذ جميع الوسائل المتاحة لديه في دعوة الكافرين قبل هجرهم.

ثانياً: المعنى الإجمالي:

يطمئن الله تعالى نبيه عليه -الصلاة والسلام- قائلاً له: ﴿فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُمْ مُنْتَقِمُونَ﴾، أي: فإن ذهبنا بك قبل أن نريك ما نعدهم من العذاب ؛ فاعلم بخبرنا الصادق أنّنا منهم منتقمون⁽²⁾.

ثالثاً: معاني المفردات:

{نَذْهَبَنَّ بِكَ}: أي "نتوفينك قبل تعذيبهم"⁽³⁾.

{مُنْتَقِمُونَ}: "أي معذبوهم في الدنيا وفي الآخرة"⁽⁴⁾.

رابعاً: البلاغة:

"فَإِنَّا مِنْهُمْ مُنْتَقِمُونَ": ما زائدة للتأكيد بمنزلة لام القسم في أنّها لا تفارق النون المؤكدة⁽⁵⁾.

خامساً: اللطائف البيانية:

فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُمْ مُنْتَقِمُونَ أَوْ نُرِيكَ الَّذِي وَعَدْنَاهُمْ فَإِنَّا عَلَيْهِمْ مُقْتَدِرُونَ (الزخرف 41-42). فيه دلالة واضحة على منع رسول الله (ﷺ) عن سؤال إنزال العذاب الموعد لهم عليهم، ثم المنع فيه من وجهين: أحدهما: النهي عن سؤال بيان وقت نزول العذاب عليهم؟ لأن ذلك هو من اختصاص الله وحده.

والثاني: النهي عن استعجاله وقوع العذاب بهم؛ كقوله: "وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ"، كأنه يقول: ليس ذلك إليك، إنما ذلك لله وحده: إن شئت أنزلت في حياتك وأربيتك ذلك، وإن شئت أمتك ولم أرك شيئاً من ذلك⁽⁶⁾.

¹ - انظر: التفسير المنير، للزحيلي (155 / 25).

² - انظر: تيسير الكريم الرحمن، للسعدي (ص: 766).

³ - أوضح التفاسير، لابن الخطيب (1 / 605).

⁴ - أيسر التفاسير، للجزائري (4 / 642).

⁵ - انظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، لأبي السعود (8 / 48).

⁶ - انظر: تأويلات أهل السنة، للماتريدي (9 / 167).

سادساً: ما يستفاد من الآيات:

- 1- "من سنة الله تعالى في الأمم الكافرة، إذا أخرج الرسول من قومه مكرهاً؟ انتقم الله تعالى له منهم فأهلكهم"⁽¹⁾.
- 2- طمأنة النبي محمد (ﷺ) بالانتقام من الكافرين عاجلاً أم أجلاً ، فان العذاب واقع بهم لا محالة.
- 3- إن تعذيب المشركين آت عاجلاً أم آجلاً، سواء في حال حياة النبي (ﷺ) أو بعد وفاته، فالله قادر على كل شيء⁽²⁾.

¹- انظر: أيسر التفاسير للجزائري (4 / 644).

²- التفسير المنير، للزحيلي (25 / 160).

المطلب الثاني: صدق وعد الله تعالى لرسوله:

قال الله تعالى: ﴿أَوْ نُرِيَّتْكَ الَّذِي وَعَدْنَاهُمْ فَأِنَّا عَلَيْهِمْ مُقْتَدِرُونَ﴾ (الزخرف:42).
أولاً: المعنى الإجمالي:

خاطب الله تعالى نبيه قاتلاً: ﴿أَوْ نُرِيَّتْكَ الَّذِي وَعَدْنَاهُمْ فَأِنَّا عَلَيْهِمْ مُقْتَدِرُونَ﴾ فان للعلماء والمفسرين فيها أقوال ، نذكر منها ما يلي:
القول الأول: أي نريتك يا محمد العذاب الذي وعدناهم به في حياتك فإننا قادرون عليهم فهم في قبضتنا لا يفوتوننا.

القول الثاني: قال ابن عباس: قد أراه الله ذلك يوم بدر.

القول الثالث: قال ابن كثير: المعنى لا بد أن ننتقم منهم ونعاقبهم في حياتك أو بعد وفاتك، ولم يقبض الله -تعالى- رسوله حتى أقر عينه من أعدائه (1).

من خلال الأقوال السابقة: يتبين أن جميعها تحتل المعنى المراد، فان الله عز وجل وعد نبيه بالانتقام منهم وعقابهم، فالآية نزلت في مكة قبل غزوة بدر، وقد تحقق ذلك يوم بدر، حينما انتصر المسلمون على الكافرين، وأما قول ابن كثير: فهو أيضاً يحتمل المعنى المراد، فان الله عز وجل وإن لم ينتقم منهم في الدنيا ، فلن يفلتوا من عقاب الآخرة، وقد أكد الله تعالى ذلك بقوله: (فَأِنَّا عَلَيْهِمْ مُقْتَدِرُونَ).

ثانياً: معاني المفردات:

مقتدرون: وَالْإِفْتِدَارُ: شِدَّةُ الْفُدْرَةِ، وَاقْتَدَرَ أَبْلَغُ مِنْ قَدَرَ، (2).
قادر مقتدر ذو قدرة ومقدرة (3).

ثالثاً: القراءات:

أو نرينك قرأ : رويس بسكون النون، والباقون بفتحها مشددة (4).

رابعاً: ما يستفاد من الآيات:

- 1- صدق وعد الله تعالى لرسوله فإنه ما توفاه حتى أقر عينه بنصره على أعدائه (5).
- 2- إلحاق الهزيمة بالكفار في الدنيا بانتصار الرسول (ﷺ) عليهم، وسوء العاقبة والمصير يوم القيامة.

¹ - انظر: صفوة التفاسير ، للصابوني (3 / 147).

² - التحرير والتنوير، لابن عاشور (25 / 218).

³ - أساس البلاغة، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (2 / 56).

⁴ - مصحف القراءات العشر، لأبي العلاء (ص:492).

⁵ - أيسر التفاسير، للجزائري (4 / 644).

3- إن تأخير استحقاق وقوع العذاب في الدنيا، ليس إلا لحكمة أرادها الله عز وجل وهي إقامة الحجة عليهم.

المطلب الثالث: وجوب التمسك بالكتاب والسنة اعتقاداً وعملاً:

قال الله تعالى: ﴿ فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ (الزخرف: 43).

أولاً: المناسبة:

"بعد أن بين الله سبحانه انه سينتقم لرسوله أمره أن يتمسك بما أمره به، فإنه على صراط مستقيم نافع، هو منهج القرآن الذي فيه شرف عظيم له ولقومه، وسوف يسألون عن القيام بحقه"⁽¹⁾.

ثانياً: المعنى الإجمالي:

{فاستمسك بالذي أُوحِيَ إِلَيْكَ} أي فتمسك يا محمد بالقرآن الذي أوحيناه لك {إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ} أي فإنك على الحق الواضح والطريق المستقيم، الموصل إلى جنات النعيم"⁽²⁾.

ثالثاً: معاني المفردات:

وأوحى الله إلى أنبيائه. وأوحى، أي أشار. قال تعالى: (فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بِكُرَةِ وَعَشِيَا) [مريم: 11] ⁽³⁾.

رابعاً: ما يستفاد من الآيات:

1- رفع الله تعالى من معنويات نبيه إلى القمة بإعلامه بأنه على صراط مستقيم يوصله إلى الله ورضاه وثوابه.

2- إعلاء مجد النبي (ﷺ) وشرفه بالقرآن الذي هو شرف له ولقومه من قريش والعرب قاطبة⁽⁴⁾.

3- وجوب التمسك بكتاب الله تعالى قولاً وعملاً ؛ لأنه الهادي إلى الصراط المستقيم، وإلى جنات النعيم.

¹ - التفسير المنير، للزحيلي (155 / 25).

² - صفوة التفاسير، للصابوني (147 / 3).

³ - الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، للجوهري الفارابي (6 / 2520).

⁴ - التفسير المنير، للزحيلي (161 / 25).

المطلب الرابع: شرف الله هذه الأمة بالقرآن:

قال الله تعالى: ﴿وَأَنَّهُ لَنذَكِّرَنَّ لَكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ*وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ*وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَأْنَاهُ فَقَالَ إِنِّي رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (الزخرف:44-46).

أولاً : مقدمة:

أخبر الله تعالى عن تمرد فرعون وكفره وعناده، وكيف نادى في قومه" قائلاً: (يا قوم، أليس لي ملكٌ مصر، وهذه الأنهار تجري من تحتي، أفلا تبصرون) ؟ (الزخرف:51)، أي لما خاف فرعون ميل القوم إلى موسى، فجمعهم ونادى فيهم بصوته مفتخراً، أو أمر منادياً ينادي بقوله: أليس لي ملك مصر العظيم، فلا ينازعني فيه أحد، والسلطة المطلقة لي⁽¹⁾.

ثانياً: سبب نزول الآية : "وَأَنَّهُ لَنذَكِّرَنَّ لَكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ" (الزخرف:44).

"كَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَعْزِضُ نَفْسَهُ عَلَى الْقَبَائِلِ، فَإِذَا قَالُوا لَهُ: لِمَنْ يَكُونُ الْأَمْرُ بَعْدَكَ؟ سَكَتَ، حَتَّى نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ. فَكَانَ إِذَا سُئِلَ عَنْ ذَلِكَ قَالَ: «لِفُرَيْشٍ»، فَكَانَتِ الْعَرَبُ لَا تَقْبَلُ حَتَّى قَبِلَتْهُ الْأَنْصَارُ."⁽²⁾.

ثالثاً: المناسبة:

"بعد أن أمر الله رسوله بالتمسك بالقرآن، بين تعالى أن إنكار عبادة الأصنام في رسالة محمد (ﷺ) ليس خاصاً به، بل كل الأنبياء والرسل كانوا مجمعين على إنكار الاصنام، ثم بين تعالى حال موسى ودعوته مع فرعون، التي هي أشهر ما يكون من دعوات الرسل، ولأن الله تعالى أكثر من ذكرها في كتابه، فقال: {وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا} التي دلت دلالة قاطعة على صحة ما جاء به من المعجزات، كالعصا، والحية، وإرسال الجراد، والقمل⁽³⁾.

¹ - انظر: التفسير المنير، للزحيلي (166 /25).

² - البحر المحيط في التفسير (9 /376)، أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (المتوفى: 745هـ)، الناشر: دار الفكر - بيروت.

³ - انظر: التفسير المنير، للزحيلي (155 /25)، تيسير الكريم الرحمن، للسعدي (ص: 767).

رابعاً: المعنى الإجمالي:

{وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ}، قِيلَ مَعْنَاهُ تَشْرِيفاً لَكَ وَلِقَوْمِكَ، وَلَمَنْ آمَنَ بِهِ وَيُقَالُ: وَلِقَوْمِكَ يَعْنِي: الْعَرَبَ، لِأَنَّ الْقُرْآنَ نَزَلَ بِلُغَتِهِمْ (وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ) وَسَوْفَ يُسْأَلُكَ رِبْكَ وَإِيَاهُمْ عَمَّا عَمَلْتُمْ فِيهِ، وَهَلْ عَمَلْتُمْ بِمَا أَمَرَكَ رَبُّكَ فِيهِ، وَانْتَهَيْتُمْ عَمَّا نَهَاكَ عَنْهُ فِيهِ؟⁽¹⁾.

"وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ" وَفِيهِ وَجُوهٌ الْأَوَّلُ: قَالَ الْكَلْبِيُّ "تُسْأَلُونَ هَلْ أَدَيْتُمْ شُكْرَ إِنْْعَامِنَا عَلَيْكُمْ بِهَذَا الذِّكْرِ الْجَمِيلِ الثَّانِي: قَالَ مُقَاتِلُ الْمُرَادُ أَنَّ مَنْ كَذَّبَ بِهِ يُسْأَلُ لِمَ كَذَّبَهُ، فَيُسْأَلُ سُؤَالَ تَوْبِيخِ الثَّلَاثِ: تُسْأَلُونَ هَلْ عَمَلْتُمْ بِمَا دَلَّ عَلَيْهِ مِنَ التَّكْلِيفِ، ﴿وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ﴾ وَسَبَبُ هَذَا الْأَمْرُ أَنَّ الْيَهُودَ وَالْمَشْرِكِينَ قَالُوا لِلنَّبِيِّ (ﷺ): إِنْ مَا جِئْتَ بِهَذَا مَخَالَفَ لِمَنْ كَانَ قَبْلَكَ، فَأَمَرَ اللَّهُ بِسُؤَالِهِ الْأَنْبِيَاءَ عَلَى جِهَةِ التَّوْقِيفِ وَالتَّقْرِيرِ وَالتَّأَكِيدِ، لِأَنَّهُ كَانَ فِي شَكِّ مَنْه. وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا يَا مُحَمَّدُ مُوسَى (عَلَيْهِ السَّلَامُ) بِحُجْجِنَا إِلَى فِرْعَوْنَ وَسَادَةِ قَوْمِهِ، كَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَى هَؤُلَاءِ الْمَشْرِكِينَ مِنْ قَوْمِكَ، فَقَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ: إِنِّي رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ، كَمَا قُلْتَ أَنْتَ لِقَوْمِكَ مِنْ قَرِيشٍ: إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ⁽²⁾.

خامساً: معاني المفردات:

ولقد أرسلنا موسى بآياتنا: أي أرسلناه بالمعجزات الدالة على صدق رسالته.
إلى فرعون وملأه: أي وقومه من القبط⁽³⁾.

سادساً: اللطائف البيانية:

قوله: "وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ": ليس المراد بسؤال الرسل حقيقة السؤال لإحالاته، ولكنه مجاز عن النظر في أديانهم، والفحص عن مللهم، هل جاءت عبادة الأوثان قط في ملة من ملل الأنبياء؟⁽⁴⁾.

سابعاً: ما يستفاد من الآيات:

- 1- أن الله تعالى شرف النبي محمداً (ﷺ) وقومه بالقران الكريم ؛ لأنه نزل بلسان عربي مبين.
- 2- ضرورة التمسك بكتاب الله تعالى والعمل بما أمر فيه من التكليف، واجتناب ما نهى عنه.
- 3- أن الرسل جميعاً كلفوا بمهام عظيمة ؛ وهي التبليغ ودعوة الناس إلى الهداية والتوحيد.

¹ - انظر: مختصر تفسير ابن كثير (2/ 290)، بحر العلوم، للسمرقندي (3/ 259)، جامع البيان، للطبري (21/ 610).

² - انظر: مفاتيح الغيب، للرازي (27/ 635)، التفسير المنير، للزحيلي (25/ 159)، جامع البيان، للطبري (21/ 614).

³ - أيسر التفاسير، للجزائري (4/ 645).

⁴ - الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، للزمخشري (4/ 254).

- 4- أن دين التوحيد قديم، ونبذ الشرك قديم، فإذا سئلت أمم الرسل (عليهم السلام) قبل الرسول ﷺ: هل أذن الله بعبادة الأوثان، وهل أمر بعبادة غير الله؟ أجابوا عن السؤالين بالنفي، والسبب الأقوى في بغض الكفار وعداوتهم للنبي ﷺ إنكاره لأصنامهم، فبين تعالى أنه غير مخصوص بهذا الإنكار، ولكنه دين كل الأنبياء ودعوتهم⁽¹⁾.
- 5- الإيمان المطلق بالبعث والجزاء يوم القيامة، وقد أكد الله تعالى ذلك بقوله: (وسوف تسألون).

¹- التفسير المنير، للزحيلي (25 / 162).

المبحث الخامس

المقاصد والأهداف لسورة الزخرف الآيات (47-51)

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: الآيات دليل على صدق الرسول (ﷺ).

المطلب الثاني: السحر وبطلان إتهام موسى به.

المطلب الثالث: حرمة خلف الوعد ونكث العهد.

المطلب الرابع: الفخر والمباهاة من صفات المتكبرين.

المطلب الأول: الآيات دليل على صدق الرسول(ﷺ).

قال الله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ بآيَاتِنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَضْحَكُونَ* وَمَا نُرِيهِمْ مِنْ آيَةٍ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا وَأَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ (الزخرف: 47-48).
أولاً: مقدمة:

كّرر الله تعالى قصة موسى أكثر من مرة في القرآن، وأعادها في هذا الموضع مجملة، حيث أرسله بحجة ظاهرة قاهرة إلى فرعون وقومه من القبط، فقبول بالهزة والضحك والتكذيب، ومع أنّ الله سبحانه لم يجر عليه من البيّنات شيئاً إلا كان أوضح مما قبله، إلا أنهم لم يقابلوه إلا بجفاء أوحش مما قبله⁽¹⁾.

ثانياً: المناسبة:

بعد أن طعن كفار قريش في نبوة محمد(ﷺ)، "بِسَبَبِ كَوْنِهِ فَقِيرًا عَدِيمَ الْمَالِ وَالْجَاهِ، فَبَيَّنَ اللَّهُ تَعَالَى أَنَّ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ بَعْدَ أَنْ أُوْرِدَ الْمُعْجَزَاتِ الْقَاهِرَةَ الْبَاهِرَةَ الَّتِي لَا يَشْكُ فِي صِحَّتِهَا عَاقِلٌ أُوْرِدَ فِرْعَوْنُ عَلَيْهِ هَذِهِ الشُّبُهَةَ الَّتِي ذَكَرَهَا كُفَّارُ قُرَيْشٍ"⁽²⁾.

ثالثاً: المعنى العام:

(فَلَمَّا جَاءَهُمْ بآيَاتِنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَضْحَكُونَ) فلما جاء موسى فرعون وملاه بحججنا وأدلتنا على صدق قوله، فيما يدعوهم إليه من توحيد الله والبراءة من عبادة الآلهة، إذا فرعون وقومه مما جاءهم به موسى من الآيات والعبر يضحكون، هكذا عادة الفراعنة والرؤساء من الكفرة أنهم إذا اتاهم الرسل بالآيات ضحكوا منهم، واستهزؤوا بهم، وَقَوْلُهُ: " وَمَا نُرِيهِمْ مِنْ آيَةٍ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا" أَي كَانَتْ آيَاتُ مُوسَى مِنْ كِبَارِ الْآيَاتِ، وَكَانَتْ كُلُّ وَاحِدَةٍ أَعْظَمَ مِمَّا قَبْلَهَا. وَقِيلَ: "إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا" لِأَنَّ الْأُولَى تَقْتَضِي عِلْمًا وَالثَّانِيَةُ تَقْتَضِي عِلْمًا، فَتَضُمُّ الثَّانِيَةُ إِلَى الْأُولَى فَيَزِدَادُ الْوُضُوحُ...، وَأَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ" أَي عَلَى تَكْذِيبِهِمْ بِتِلْكَ الْآيَاتِ⁽³⁾.

رابعاً: معاني المفردات:

الآيات: هي المعجزات، وملئه: أي أشرف قومه، أخذناهم: أي أخذ قهر بالعذاب فأرسلنا عليهم الجراد والقمل والضفادع⁽⁴⁾.
(إذا هم منها يضحكون) استهزاء وسخرية⁽⁵⁾.

1- انظر: لطائف الإشارات ، للقشيري(3/ 369).

2- مفاتيح الغيب، للفخر الرازي (27/ 636).

3- انظر: جامع البيان ، للطبري(21/ 614)، تأويلات أهل السنة، للماتريدي (9/ 170)، تفسير الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (16/ 97).

4- تفسير المراغي (25/ 95).

5- فتح البيان في مقاصد القرآن، لابن لطف الله الحسيني (12/ 359).

{لَا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا} فَرِيَّتَهَا الَّتِي قَبْلَهَا⁽¹⁾.

يَرْجِعُونَ معناه: يتوبون ويقلعون عن الذنوب والمعاصي⁽²⁾.

خامساً: البلاغة:

- وَالضَّحِكُ: كِنَايَةٌ عَنِ الْإِسْتِخْفَافِ بِالْآيَاتِ وَالتَّكْذِيبِ فَلَا يَتَّعَيْنُ أَنْ يَكُونَ كُلُّ الْحَاضِرِينَ صَدَرَ مِنْهُمْ الضَّحِكُ، وَلَا أَنَّ ذَلِكَ وَقَعَ عِنْدَ رُؤْيَةِ آيَةٍ إِذْ لَعَلَّ بَعْضَهَا لَا يَفْتَضِي الضَّحِكُ.
- إيجاز بالحذف: وَمَعْنَى هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا يَحْتَمِلُ أَنْ يُرَادَ بِهِ أَنَّ كُلَّ آيَةٍ تَأْتِي تَكُونُ أَعْظَمَ مِنَ الَّتِي قَبْلَهَا، فَيَكُونُ هُنَالِكَ صِفَةً مَحْدُوفَةً لِذِلَالَةِ الْمَقَامِ، أَيْ مِنْ أُخْتِهَا السَّابِقَةِ.
- ضَمَائِرُ الْعَيْبَةِ فِي نُرَيْهِمْ وَأَخَذْنَاهُمْ، وَلَعَلَّهُمْ عَائِدَةٌ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمِثْلِهِ⁽³⁾.
- (ثُرَيْهِمْ) التعبير عن الماضي بلفظ المضارع لِاسْتِحْضَارِ الصُّورَةِ الْمَاضِيَةِ فِي الذَّهْنِ.
- لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ: لعل تفيد معنى الترجي، وترقب حصول توبة الكفار إلى الله.

سادساً: اللطائف البيانية:

عُطِفَ (وَأَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ) عَلَى جُمْلَةٍ (وَمَا نُرَيْهِمْ مِنْ آيَةٍ)، لِأَنَّ الْعَذَابَ كَانَ مِنَ الْآيَاتِ⁽⁴⁾.

سابعاً: ما يستفاد من الآيات:

- 1- الآيات دليل على صدق من جاء بها، ولكن لا تستلزم الإيمان ممن شاهدها.
- 2- قد يؤاخذ الله الأفراد أو الجماعات بالذنوب المرة بعد المرة لعلمهم يتوبون إليه⁽⁵⁾، فان إمهال الله للمذنبين دليل على رحمة الله تعالى لمنحهم الفرصة للتوبة والإقلاع عن الذنوب والمعاصي.
- 3- تشابه حال الكافرين والمنافقين في كل زمان ، فان الكافرين على عهد رسول الله (ﷺ) كانوا يسخرون ويضحكون من دعوة الأنبياء والمرسلين، وكذلك فان منافقي هذا العصر يسخرون ويستهزئون بالعلماء والصالحين، وقد غفلوا عن أمر مهم، أن العلماء هم ورثة الأنبياء.
- 4- انتقام الله تعالى من المكذبين لحكمة أرادها الله تعالى لعلمهم يرجعون إلى الحق فيؤمنون ويوحدون. تسلية الرسول (ﷺ) عما يلقاه من صدود قومه عن دعوته ورسالته⁽⁶⁾.
- 5- حمله (ﷺ) على الصبر كما صبر موسى عليه السلام، وهو أحد أولي العزم الخمسة، فقال تعالى: {وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا} أي بحججنا الدالة على صدق موسى في دعوته ورسالته إلى فرعون وقومه⁽⁷⁾.

¹- تفسير الجلالين، جلال الدين السيوطي، جلال الدين المحلي (ص: 652).

²-انظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لابن عطية (5/ 58).

³- التحرير والتنوير، لابن عاشور (25/ 225-226).

⁴- التحرير والتنوير، لابن عاشور (25/ 226).

⁵- أيسر التفاسير، للجزائري (4/ 646).

⁶- التفسير المنير، للزحيلي (25/ 165).

⁷- أيسر التفاسير، للجزائري (4/ 645).

المطلب الثاني: السحر وبطلان إتهام موسى عليه السلام به.

قال الله تعالى: ﴿ وَقَالُوا يَا أَيُّهَ السَّاحِرِ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ إِنَّا لَمُهْتَدُونَ ﴾ (الزخرف: 49)

أولاً: المعنى العام:

"وقالوا يا أيها الساحر ادع لنا ربك" ظاهر كلامهم هذا التناقض، فإن قولهم: يا أيها الساحر، يقتضي تكذيبهم له، وقولهم: ادع لنا ربك يقتضي تصديقه، والجواب من وجهين: أحدهما أن القائلين لذلك كانوا مكذابين، وقولهم ادع لنا ربك يريدون على قولك وزعمك، وقولهم: إننا لمهتدون وعد نووا خلافه، والآخر: أنهم كانوا مصدقين⁽¹⁾.

وقوله: "وقالوا يا أيه الساحر ادع لنا ربك بما عهد عندك إننا لمهتدون" (49).

فإن قال قائل: كيف يقولون لموسى عليه السلام يا أيها الساحر وهم يزعمون أنهم مهتدون؟

فالجواب أنهم خاطبوه بما تقدم له عندهم من التسمية بالسحر، ومعنى بما عهد عندك أي بما عهد عندك فيمن آمن به من كشف العذاب عنه...، فما كانت تسميتهم إياه بالساحر بمنافية لقولهم: إِنَّا لَمُهْتَدُونَ⁽²⁾.

وينضح من خلال المعنى السابق زيف بطلانهم، وفساد قولهم وادعائهم بان النبي (ﷺ) ساحر، لان الساحر له علامات تميزه عن غيره، يمكن أن يدركها كل ذي عقل، وكل من أوتي شيئاً من الفراسة؛ من ذلك أنك إذا نظرت إلى وجهه استشفيت فيه قبلاً ظاهراً، وظلمة بادية، وذلك من أثر كفره والعياذ بالله، ثم إنك إذا سمعت صوته فستدرك حالاً من نبرته ولحن قوله، أنه يوهم سامعه بصلاح فعله⁽³⁾. فالسحر له تأثير ولكنه بإذن الله لا يصيب الإنسان بشيء إلا بقضاء الله وقدره سبحانه وتعالى، ولكن هذا السحر له علاج وله دواء، وقد وقع على النبي (ﷺ) فخلصه الله منه⁽⁴⁾.

¹ - التسهيل لعلوم التنزيل، لابن جزي (2/ 260).

² - انظر باختصار: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، للزمخشري (4/ 257).

³ - انظر: الحذر من السحر (ص: 187)، د خالد بن عبد الرحمن بن علي الجريسي، مؤسسة الجريسي للتوزيع والإعلان، الرياض.

⁴ - انظر: حكم السحر والكهانة وما يتعلق بها (ص: 32) عبد العزيز بن عبد الله بن باز (المتوفى: 1420هـ)، الكتاب منشور على موقع وزارة الأوقاف السعودية بدون بيانات.

التحصينات الشرعية من السحر:

- 1- تحقيق التوحيد الخالص لله تعالى: وذلك بأقسامه الثلاثة، توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية وتوحيد الأسماء والصفات⁽¹⁾.
- 2- الإكثار من ذكر الله تعالى، ومن أعظم أنواع الذكر المُحصِّنة لقلب المؤمن، والتي ينبغي له الاشتغال بها: تلاوة القرآن الكريم، مع الاجتهاد في تدبره وحفظه، فهو يبطل أي سلطان للشياطين أو لمن تقرب إليهم من سحر أو شعوذة، لان قارئ القرآن يستعذ بالله من الشيطان الرجيم⁽²⁾.

ثانياً: معاني المفردات:

يَا أَيُّهَا السَّاحِرُ: يَا أَيُّهَا الْعَالِمُ الْكَامِلُ الْحَاقِقُ، وَإِنَّمَا قَالُوا هَذَا تَوَقِيرًا وَتَعْظِيمًا لَهُ، لِأَنَّ السِّحْرَ عِنْدَهُمْ كَانَ عِلْمًا عَظِيمًا وَصِفَةً مَمْدُوحَةً⁽³⁾.

بما عهد عندك: أي بما أخبرتنا من عهده إليك⁽⁴⁾.

إننا لمهتدون: أي إن كشفت عنا العذاب سنهتدي ونكون من المؤمنين⁽⁵⁾.

ثالثاً: البلاغة:

- يَا أَيُّهَا السَّاحِرُ: أسلوب نداء غرضه الاستغاثة.
- ادع: فعل أمر غرضه الدعاء.
- إِنَّا لَمُهْتَدُونَ: أسلوب خبري ضربه طلبي، لأنه مؤكد بأداتين للتوكيد (إن) و (لام التوكيد).

رابعاً: اللطائف البيانية:

جُمْلَةُ إِنَّا لَمُهْتَدُونَ: جَوَابٌ لِكَلَامِ مُقَدِّرٍ دَلَّ عَلَيْهِ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ، أَي فَإِن دَعَوْتَ لَنَا وَكَشَفْتَ عَنَّا الْعَذَابَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ.

(مُهْتَدُونَ) اسْمٌ فَاعِلٍ مُسْتَعْمَلٌ فِي مَعْنَى الْوَعْدِ، وَهُوَ مُنْصَرَفٌ لِّلْمُسْتَقْبَلِ بِالْقَرِينَةِ، كَمَا دَلَّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ: يَنْكُثُونَ⁽⁶⁾.

¹- كيف تتخلص من السحر (ص: 42) ، لعبد الله بن محمد بن أحمد الطيار، دار المتعلم، الزلفي، المملكة العربية السعودية ، الطبعة: الأولى 1424هـ، 2003 م.

²- انظر: الحذر من السحر، للجريسي (ص: 238).

³- معالم التنزيل في تفسير القرآن ، للبغوي، (7/ 216).

⁴- تفسير المراعي (95/ 25).

⁵-انظر: أيسر التفاسير، للجزائري (4/ 645).

⁶- التحرير والتنوير، لابن عاشور (25/ 228).

خامساً: القراءات:

قَرَأَ ابْنُ عَامِرٍ (يَا أَيُّهَا السَّاحِرُ) بِضَمِّ الْهَاءِ إِتِّبَاعاً لِلْمَصْحَفِ.
وَقَرَأَ الْبَاقُونَ (يَا أَيُّهَا) بِالْهَاءِ الْمَفْتُوحَةِ بَعْدَهَا أَلْفَ مَدِيَّةٍ، وَقَدْ ذَكَرْتُ فِي سُورَةِ النُّورِ (1).

سادساً: ما يستفاد من الآيات:

- 1- خطورة السحر وتأثيره على النفس البشرية، فإن المرء يُخَيَّلُ إليه أنه صنع شيئاً ولم يصنعه» كما جاء في حديث عائشة رضي الله عنها، «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ (ﷺ) سُحِرَ، حَتَّى كَانَ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ أَنَّهُ صَنَعَ شَيْئاً وَلَمْ يَصْنَعْهُ» (2).
- 2- كذب وافتراء السحرة وادعاءهم بأن موسى عليه السلام ساحر، مع علمهم المطلق بأنه نبي مرسل من عند الله تعالى.
- 3- حرمة استعمال السحر، فإن الساحر يقوم بأعمال قبيحة، كالتفريق بين المرء وزوجه ، كما قال تعالى: {فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ ...} {البقرة: 102}.
- 4- جواز قتل الساحر، ومن ذلك ما صح عن " حفصة رضي الله عنها؛ أنها أمرت بقتل جارية لها سحرتها، فقتلت " « (3).
- 5- كذب السحرة وفشل أعمالهم، ومما يؤكد ذلك قوله تعالى: (وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى) (طه: 69).
- 6- الساحر لا يعلم الغيب، فالنفع والضرر بيد الله ، لقوله تعالى: (وَمَا هُمْ بِضَارِينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ، وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ، وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَقٍ) (البقرة: 102).

¹- انظر: حجة القراءات، لابن زنجلة (ص: 650).

²- صحيح البخاري، باب: هل يعفى عن الذمي إذا سحر، (4/ 101)، حديث رقم (3175).

³- القول المفيد على كتاب التوحيد (1/ 509) محمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى: 1421هـ)، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، أخرجه البيهقي (8/ 136) صححه الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله بقوله: وصح عن حفصة.

المطلب الثالث: حرمة خلف الوعد ونكث العهد.

قال الله تعالى: ﴿ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمْ الْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ ﴾ (الزخرف:50).
أولاً: المعنى العام:

يخبر الله تعالى عن حال الكافرين، ويكشف عن زيفهم وكذبهم بقوله تعالى: (فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمْ الْعَذَابَ) بعد دعاء الأنبياء والرسل وتضرعهم نحونا راجين منا مناجين إذا هُمْ يَنْكُثُونَ: أي هم قد تفاجئوا على نقض ما عاهدوا بغيته، مبادرين على الإنكار والعناد بلا تراخ وتأخير⁽¹⁾. يقول صاحب الكشاف: "فإن قلت: كيف سموه بالساحر مع قولهم إِنَّا لَمُهْتَدُونَ؟ قلت: قولهم إِنَّا لَمُهْتَدُونَ: وعد منوي إخلافه، وعهد معزوم على نكثه، معلق بشرط أن يدعو لهم وينكشف عنهم العذاب"⁽²⁾.

ثانياً: معاني المفردات:

كشفتنا: الكَشَفُ: رفعك شيئاً عما يواريه ويغطيه، كرفع الغطاء عن الشيء⁽³⁾.
إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ: النكث: هو نقض العهد: أي إذا هم يَنْقُضُونَ عَهْدَهُمْ⁽⁴⁾، وقيل {ينكثون} يغدرون⁽⁵⁾.

ثالثاً: البلاغة:

- هُمْ يَنْكُثُونَ: تقديم الضمير على الجملة الفعلية لتقوية الحكم وتقريره في نفس السامع.
- فلما كشفنا: دلالة على أن الله تعالى ستر عليهم الذنوب، فقد شبه الله تعالى العذاب بالشيء المغطى.

رابعاً: ما يستفاد من الآيات:

- 1- ضرورة الوفاء بالعهود لقوله تعالى: "وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا"، (الإسراء: 34) وقد كان رسول الله (ﷺ) أعظم خلق الله وفاءً بالعهد، كما جاء في سنن أبي داود، أن معاوية (رضي الله عنه) قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ (ﷺ) يَقُولُ: «مَنْ كَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ قَوْمٍ عَهْدٌ فَلَا يَشُدُّ عُقْدَةً وَلَا يَحُلُّهَا حَتَّى يَنْقُضِي أَمْدَهَا أَوْ يَنْبِذَ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ»⁽⁶⁾.
- 2- جواز قتال من نقض العهد، كما جاء في صحيح مسلم، أن أبا سعيد الخدري، قال: نَزَلَ أَهْلُ قُرَيْظَةَ عَلَى حُكْمِ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ، فَأَرْسَلَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) إِلَى سَعْدٍ، فَأَتَاهُ عَلَى حِمَارٍ، فَلَمَّا دَنَا قَرِيبًا

¹- نظر: الفواتح الإلهية والمفاتيح الغيبية، للنجواني (2/ 302).

²- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، للزمخشري (4/ 257).

³- العين، للفراهيدي (5/ 297).

⁴- انظر: معاني القرآن وإعرابه، للزجاج (4/ 414).

⁵- تفسير العز بن عبد السلام (3/ 157).

⁶- سنن أبي داود، باب: في الإمام يكون بينه وبين العدو عهد، (3/ 83)، حديث رقم (2759)، حكم الألباني: صحيح.

مِنَ الْمَسْجِدِ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) لِلْأَنْصَارِ: «فُومُوا إِلَيَّ سَيِّدِكُمْ» أَوْ «خَيْرِكُمْ»، ثُمَّ قَالَ: «إِنَّ هَؤُلَاءِ نَزَلُوا عَلَيَّ حُكْمِكِ»، قَالَ: تَقْتُلُ مُقَاتِلَتَهُمْ وَتَسْبِي ذُرِّيَّتَهُمْ، قَالَ: فَقَالَ النَّبِيُّ (ﷺ): «فَصَيِّتَ بِحُكْمِ اللَّهِ...»⁽¹⁾.

¹ - صحيح مسلم، باب: جَوَازِ قِتَالِ مَنْ تَقَضَّ الْعَهْدَ، (3/ 1388)، حديث رقم (1768).

المطلب الرابع: الفخر والمباهاة من صفات المتكبرين:

قال الله تعالى: ﴿ وَنَادَى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾ (الزخرف: 51).

أولاً: المناسبة:

"بَيَّنَّ تَعَالَى أَنَّهُ لَمَّا كَشَفَ عَنْهُمْ الْعَذَابَ نَكَثُوا ذَلِكَ الْعَهْدَ، وَلَمَّا حَكَى اللَّهُ تَعَالَى مُعَامَلَةَ فِرْعَوْنَ مَعَ مُوسَى، حَكَى أَيْضًا مُعَامَلَةَ فِرْعَوْنَ مَعَهُ فَقَالَ: وَنَادَى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ وَالْمَعْنَى أَنَّهُ أَظْهَرَ هَذَا الْقَوْلَ فَقَالَ: قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي" (1).

ثانياً: المعنى العام:

{وَنَادَى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ} مستعلياً بباطله، قد غره ملكه، وأطغاه ماله وجنوده: {يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ} أي: ألسنت المالك لذلك، المتصرف فيه، {وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي} أي: الأنهار المنسحبة من النيل، في وسط القصور والبساتين. {أَفَلَا تُبْصِرُونَ} هذا الملك الطويل العريض، وهذا من جهله البليغ، حيث افتخر بأمر خارج عن ذاته، ولم يفخر بأوصاف حميدة، ولا أفعال سديدة، فحَسْبِيَ فِرْعَوْنُ أَنْ يَتَّبِعَ قَوْمُهُ دَعْوَةَ مُوسَى وَيُؤْمِنُوا بِرِسَالَتِهِ فَنَادَى فِي قَوْمِهِ يَذْكُرُهُمْ بِعِظَمَةِ نَفْسِهِ لِيُنَبِّئَهُمْ عَلَى طَاعَتِهِ (2).

ثالثاً: معاني المفردات:

ناداه: جالسه، أو فاخره، (3).

النِّدَاءُ: رَفْعُ الصَّوْتِ، والنداء يكون للبعيد، فلا ينادي أحد على من بحضرته وقربه.
ملك: ملكت الشيء أملكه ملكاً، ومَلَّكُ الطريق أيضاً: وسطه (4).

رابعاً: البلاغة:

أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ الاستفهام للتقرير، لا للإنكار، أي أقروا بما تعلمون من أني ملك مصر (5).
الاستفهام في أَفَلَا تُبْصِرُونَ تَقْرِيرِيَّ غرضه النَّفْيُ، تَحْقِيقًا لِإِفْرَارِهِمْ حَتَّى أَنْ الْمَقْرَّرَ يَفْرِضُ لَهُمُ الْإِنْكَارَ فَلَا يُنْكِرُونَ (6).

1- مفاتيح الغيب، للفخر الرازي (637 / 27).

2- انظر: تيسير الكريم الرحمن، للسعدي (ص: 767)، التحرير والتنوير، لابن عاشور (229 / 25).

3- انظر: القاموس المحيط، لمجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (ص: 1338).

4- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري، (4 / 1609).

5- التفسير المنير، للزحيلي (163 / 25).

6- انظر: التحرير والتنوير، لابن عاشور (230 / 25).

خامساً: اللطائف البيانية:

أَفَلَا تُبْصِرُونَ أم لا تبصرون، ثم اقتصر على أم لدلالة ظاهر الكلام على المحذوف منه، وابتدأ قوله: أَنَا خَيْرٌ، إخباراً منه، فقوله: (أَفَلَا) ... بمنزلة هلا ولولا على معنى التخصيص⁽¹⁾.

سادساً: ما يستفاد من الآيات:

- 1- ذم الله تعالى الفخر والمباهاة فهما من صفات المتكبرين والظالمين، إذ المقام هنا ينبغي أن يكون مقام شكر وتواضع لله تعالى على نعمته⁽²⁾.
- 2- استعباد فرعون لقومه وتسخيرهم لطاعته، إذ نادى فيهم مغزوراً بنفسه وماله، فأجابوه ولم يعترضوا على أفعاله، مع أنهم يعلمون انه ليس على حق وانه كاذب.
- 3- غرور فرعون عليه اللعنة بأمواله، وتباهيه بما له من ملك ومن سلطان، وتساؤله في فخر وخيلاء: «أَلَيْسَ لِي مَلِكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي؟ أَفَلَا تُبْصِرُونَ؟» .. وانتفاخه على موسى عبد الله ورسوله، وهو مجرد من الجاه الأرضي والعرض الدنيوي⁽³⁾.
- 4- أن الأتباع والمتبعين مصيرهم واحدٌ عند الله تعالى، فليس فرعونٌ وحدَه من سيدخل النار، وإنما سيلحق به من زبانيته من أطاعوه في كفره وطغيانه.

¹- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لابن عطية (5/ 59).

²- انظر: أيسر التفاسير، للجزائري (4/ 648).

³- في ظلال القرآن، لسيد قطب (5/ 3192).

المبحث السادس

المقاصد والأهداف لسورة الزخرف الآيات (52-56)

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: حرمة احتقار الفقراء.

المطلب الثاني: الفسق أداة للظالم .

المطلب الثالث: التحذير من غضب الرب تبارك وتعالى.

المطلب الرابع: قَوْمَ فِرْعَوْنَ عبرة لمن بعدهم

المطلب الأول: حرمة احتقار الفقراء

قال الله تعالى: ﴿ أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ * فَلَوْلَا أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِنْ ذَهَبٍ أَوْ جَاءَ مَعَهُ الْمَلَائِكَةُ مُقْتَرِنِينَ ﴾ (الزخرف:52:53).

أولاً: مقدمة:

بعد بيان طعن قريش بنبوة محمد (ﷺ) لكونه فقيراً عديم المال والجاه، ذكر الله -تعالى- شبيهاً لذلك في قصة فرعون حيث تكبر بقوله: إني غني كثير المال والجاه، ليشير إلى أن منطق العناد والطغيان واحد، فقد سبقهم فرعون إلى التجبر بماله وسلطانه، وفرض قبول دعوة الحق بحجة أنه أكثر مالاً وجاهاً من موسى⁽¹⁾.

ثانياً: المناسبة:

يقول تعالى ذكره مخبراً عن قول فرعون لقومه بعد احتجاجه عليهم بملكه وسلطانه، وبيان لسانه وتمايم خلقه، وفضل ما بينه وبين موسى بالصفات التي وصف بها نفسه ووصف بها موسى عليه السلام، أنا خير أيها القوم، وصفتي هذه الصفة التي وصفت لكم (أم هذا الذي هو مهين) لا شيء له من الملك والأموال مع العلة التي في جسده، والآفة التي بلسانه، فلا يكاد من أجلها يبين كلامه؟⁽²⁾.

ثالثاً: المعنى العام:

تباهى فرعون بماله ونفسه أمام قومه قائلاً: بل أنا مع هذا الملك والسعة أفضل من موسى، و خير من هذا الذي هو مهين ضعيف حقير ليس أهلاً للرياسة، وغفل عن أمر مهم ألا وهو أن الخيرية تكون بالتقوى والصلاح، وليس بالمال والجاه والمنصب،⁽³⁾، فان الله عز وجل قال: {إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ} [الحجرات: 13].

فان للعلماء في قوله تعالى: {مهين} عدة آراء نذكر ما يلي:

1- قال سفيان⁽⁴⁾، يعني بقوله: {مهين} أي: حقير.

2- قال قتادة والسدي⁽⁵⁾: يعني: ضعيف،

¹ - انظر: التفسير المنير، للزحيلي (164 /25)، صفوة التفاسير، للصابوني (148 /3).

² - انظر: جامع البيان، للطبري (617 /21).

³ - انظر باختصار: التفسير المنير، للزحيلي (164 /25).

⁴ - سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري، من بني ثور بن عبد مناة، من مضر، أبو عبد الله: أمير المؤمنين في الحديث. كان سيد أهل زمانه في علوم الدين والتقوى. ولد ونشأ في الكوفة، الأعلام للزركلي (104 /3).

⁵ - إسماعيل بن عبد الرحمن السدي: تابعي، حجازي الأصل، سكن الكوفة. قال فيه ابن تغري بردي: (صاحب التفسير والمغازي والسير، وكان إماماً عارفاً بالوقائع وأيام الناس، الأعلام للزركلي (1 /317).

3- قال ابن جرير: يعني: لا ملك له ولا سلطان ولا مال، {ولا يكاد يبين} يعني: لا يكاد يفصح عن كلامه⁽¹⁾، وهذا الأمر كان مؤقتاً لعلّة أرادها الله عز وجل، ثم زالت عنه، فإن موسى عليه السلام حينما دعا الله عز وجل أن يحلل عقدة من لسانه، كما في قوله تعالى: "وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي" [طه:27]، فاستجاب الله تعالى له بقوله: "قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى" [طه: 36]⁽²⁾.

والذي يترجح عندنا من خلال الأقوال السابقة أن فرعون عليه لعنة الله، أراد تحقير موسى عليه السلام والحط من قدره وذلك بوصفه بأنه حقير، وفي المقابل أراد رفع مكانته أمام قومه وملئه، ولكن الله عز وجل رفع من قدر موسى وشانه واذل فرعون وملئه.

وأراد بإلقاء الأسورة عليه: إلقاء مقاليد الملك إليه، فقد جرت العادة عندهم أنهم كانوا إذا أرادوا تسويد الرجل سوره بسوار وطوقه بطوق من ذهب⁽³⁾.

رابعاً: معاني المفردات:

الذي هو مهين، يعني: ضعيف ذليل، يكاد يُبينُ يعني: لا يكاد يعبر حجة⁽⁴⁾.

خامساً: اللطائف البيانية:

قوله: "أَمْ أَنَا خَيْرٌ" أم هذه متصلة، لأنّ المعنى: أفلا تبصرون أم تبصرون، إلا أنه وضع قوله أَنَا خَيْرٌ موضع: تبصرون، لأنهم إذا قالوا له: أنت خير، فهم عنده بصراء، وهذا من إنزال السبب منزلة المسبب. ويجوز أن تكون منقطعة على: بل أنا خير، والهزمة للتقرير⁽⁵⁾.

سادساً: القراءات:

{قلولاً أَلْقِي عَلَيْهِ أُسُورَةٌ مِنْ ذَهَبٍ}.

قَرَأَ حَفْصٌ {أُسُورَةٌ مِنْ ذَهَبٍ} بِغَيْرِ أَلْفٍ ، فَهِيَ جَمْعُ سُورٍ وَأُسُورَةٌ كَمَا تَقُولُ سَقَاءٌ وَأَسْقِيَةٌ وَرَدَاءٌ وَأُرْدِيَةٌ وَقَرَأَ الْبَاقُونَ (أَسَاوِرَةً) جَمْعُ إِسْوَارٍ ، وَيُصَلِّحُ أَنْ يَكُونَ جَمْعُ أَلْجَمِ نَقُولُ أُسُورَةٌ وَأَسَاوِرَةٌ ، كَمَا تَقُولُ أَقْوَالٌ وَأَقَاوِيلٌ

فمن قرأ أسورة فهو جمع السوار، ومن قرأ أساوره، فهو جمع الجمع. ويقال: أساور جمع سوار⁽⁶⁾.

¹ تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (7 / 231).

² زاد المسير في علم التفسير، لابن الجوزي (4 / 80).

³ انظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، للزمخشري (4 / 258).

⁴ بحر العلوم ، للسمرقندي (3 / 260).

⁵ الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، للزمخشري (4 / 258).

⁶ انظر: حجة القراءات، لابن زنجلة (ص: 651)، بحر العلوم ، للسمرقندي (3 / 260).

سابعاً: ما يستفاد من الآيات:

- 1- الاحتقار للفقراء والازدراء بهم من صفات الجبارين الظلمة المتكبرين⁽¹⁾.
- 2- أن المكانة والخيرية عند الله - عز وجل - لا تكون بالمال والسلطان كما ادعى فرعون عليه اللعنة، وإنما تكون بالتقوى، لقوله تعالى: " {إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ} ،(الحجرات: 13).
- 3- ينبغي للإنسان التواضع وعدم الغرور، فمهما أوتى الإنسان من مال وسلطان، فهو في ملك الله زائل، وأن العاقبة للمتقين، فان الله عز وجل أغرق فرعون وملئه، ونجا موسى عليه السلام من كيدهم.
- 4- استعلاء فرعون على موسى بمظاهر الترف والملوك، ظناً منه أن الرئاسة تلازم النبوة، كما قال الحق -تبارك و تعالى-: (فَلَوْلَا أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِنْ ذَهَبٍ، أَوْ جَاءَ مَعَهُ الْمَلَائِكَةُ مُقْتَرِنِينَ)، ونظر إلى الشكل الظاهر، ولم يدرك الجوهر المعنوي لحقيقة الرسل⁽²⁾.

¹ - أيسر التفاسير، للجزائري (4 / 648).

² - انظر باختصار، التفسير المنير، للزحيلي (25 / 167-168).

المطلب الثاني: الفسق أداة للظالم

قال الله تعالى: ﴿ فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَاطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴾ (الزخرف: 54).

أولاً: المعنى العام:

"فاستخفَّ فرعون خلقاً من قومه من القبط ، بقوله الذي أخبر الله تبارك وتعالى عنه أنه قال لهم، فقبلوا ذلك منه فأطاعوه، وكذبوا موسى، قال الله: وإنما أطاعوا فاستجابوا لما دعاهم إليه عدو الله من تصديقه، وتكذيب موسى، لأنهم كانوا قوماً عن طاعة الله خارجين بخذلانه إياهم، وطبعه على قلوبهم" (1).

ثانياً: معاني المفردات:

{فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَاطَاعُوهُ} أَي اسْتَخَفَّ عُقُولَهُمْ فَدَعَاهُمْ إِلَى الضَّلَالَةِ فَاسْتَجَابُوا لَهُ (2).

ثالثاً: البلاغة:

قوله فاستخف : الْحَقَّةُ مُسْتَعَارَةٌ لِلْإِنْتِقَالِ مِنْ حَالَةِ التَّمَلُّ فِي خَلْعِ طَاعَةِ فِرْعَوْنَ وَالتَّثَاؤُلِ فِي اتِّبَاعِهِ إِلَى التَّعْجِيلِ بِالْإِمْتِنَالِ لَهُ كَمَا يَخْفُ الشَّيْءُ بَعْدَ التَّثَاؤُلِ (3).
{فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَاطَاعُوهُ}: فيها مجاز حيث أطلق لفظ القوم وأراد به عقول القوم لان العقل هو مناط التكليف.

رابعاً: اللطائف البيانية:

جُمْلَةٌ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ تعليل لِحُجْمَةِ فَاطَاعُوهُ كَمَا هُوَ شَأْنُ (إِنَّ) فَإِنَّهَا جَاءَتْ فِي غَيْرِ مَقَامِ التَّكْيِيدِ فَإِنَّ كَوْنَهُمْ قَدْ كَانُوا فَاسِقِينَ أَمْرٌ بَيِّنٌ ضَرُورَةٌ أَنَّ مُوسَى جَاءَهُمْ فَدَعَاهُمْ إِلَى تَرْكِ مَا كَانُوا عَلَيْهِ مِنْ عِبَادَةِ الْأَصْنَامِ فَلَا يَفْتَضِي فِي الْمَقَامِ تَأْكِيدَ كَوْنِهِمْ فَاسِقِينَ، أَي كَافِرِينَ (4)

خامساً: ما يستفاد من الآيات:

- 1- الفسق يجعل صاحبه مطية لكل ظالم أداة يسخره كما يشاء (5).
- 2- الطاعة يجب ان تكون لله وحده، فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، فان من أطاع مخلوقاً من دون الله فقد أشرك مع الله تعالى ،فمصيره الى جهنم ويئس المصير.

¹ - جامع البيان، للطبري (21 / 621).

² - مختصر تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (2 / 292).

³ - التحرير والتنوير، لابن عاشور (25 / 233).

⁴ - انظر: المرجع نفسه، لابن عاشور (25 / 233).

⁵ - أيسر التفاسير، للجزائري (4 / 648).

3- استجابة الجماهير المستخفة المخدوعة لفرعون على الرغم من الخوارق التي عرضها عليهم موسى عليه السّلام، وعلى الرغم مما أصابهم من ابتلاءات، واستغاثتهم بموسى ليدعو ربه فيكشف عنهم البلاء⁽¹⁾.

¹-انظر: في ظلال القرآن، لسيد قطب (5/ 3192).

المطلب الثالث: التحذير من غضب الرب (تبارك وتعالى)

قال الله تعالى: ﴿ فَلَمَّا آسَفُونَا انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ (الزخرف:55).

أولاً: المعنى العام:

يحذر رب العزة من غضبه وعصيان أمره واصفاً حال فرعون وقومه، بقوله تعالى : (فَلَمَّا آسَفُونَا انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ، فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ) : أي فلما أسخطونا وأغضبونا، انتقمنا منهم أشد الانتقام، فأغرقناهم جميعاً في البحر، وإنما أهلكوا بالغرق ليناسب ما تفاخروا وتباهوا به، فالجزء من جنس العمل، كما في قوله تعالى: (وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي)⁽¹⁾.

ثانياً: معاني المفردات:

آسَفُونَا: أغضبونا⁽²⁾.

ثالثاً: البلاغة:

فِي قَوْلِهِ: (فَلَمَّا آسَفُونَا)، إيجازٌ بالحذف لِأَنَّ كَوْنَهُمْ مُؤْسِفِينَ لَمْ يَتَقَدَّمَ لَهُ ذِكْرٌ حَتَّى يُبَيَّنَّ أَنَّهُ كَانَ سَبَبًا لِلانْتِقَامِ مِنْهُمْ فَدَلَّ إِطَاطَةُ أَدَاةِ التَّوْقِيَةِ بِهِ عَلَى أَنَّهُ قَدْ حَصَلَ⁽³⁾.

رابعاً: ما يستفاد من الآيات:

- 1- التحذير من غضب الرب تبارك وتعالى فإنه متى غضب انتقم فبطش⁽⁴⁾.
- 2- أن العقاب لم يقتصر على فرعون وحده وإنما لحق بملئه وجنده الذين اتبعوه ، بسب طاعتهم له ، فلم يدفع عنهم فرعون شيئاً من عقاب الله، لقوله تعالى: " فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ".
- 3- أن قوم فرعون أهلكوا بالغرق ليكون هلاكهم بما تعززوا به وهو الماء في قوله: «وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي» ، وفي هذا إشارة إلى أن من تعزز بشيء دون الله أهلكه الله به،⁽⁵⁾. فالجزء من جنس العمل.

¹ - انظر: التفسير المنير، للزحيلي (168 / 25).

² - صفوة التفاسير، للصابوني (148 / 3).

³ - انظر: التحرير والتوير، لابن عاشور (234 / 25).

⁴ - أيسر التفاسير، للجزائري (648 / 4).

⁵ - انظر: تفسير المراغي (100 / 25).

المطلب الرابع: قَوْمَ فِرْعَوْنَ عِبْرَةٌ لِمَن بَعْدَهُمْ:

قال الله تعالى: ﴿فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِلْآخِرِينَ﴾ (الزخرف:56).

أولاً: المعنى العام:

قوله تعالى: ﴿فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا﴾ قال مجاهد: "يعني: كفار قوم فرعون، سلفاً لكفار مكة أمة محمد (ﷺ) وقال قتادة: جعلناهم سلفاً إلى النار" (1).
(وَمَثَلًا لِلْآخِرِينَ) أي وعبرة وموعظة لمن يأتي بعدهم من الكافرين (2).

ثانياً: معاني المفردات:

{سَلَفًا} فُدُوَّةٌ (3).

{وَمَثَلًا} أَي عِبْرَةٌ لِمَنْ بَعْدَهُمْ (4).

ثالثاً : ما يستفاد من الآيات:

1- جعل الله فرعون وقومه فُدُوَّةً لمن بعدهم من الكفار في استحقاق العذاب والدمار، ومثلاً يعتبرون به (5).

2- تلتقي هذه الحلقة من قصة موسى -عليه السلام- بالحلقة المشابهة لها من قصة العرب في مواجهة رسولهم الكريم. فثبت الرسول (ﷺ) والمؤمنين معه وتحذّر المشركين المعترضين، وتذرهم مصيراً كمصير الأولين (6).

¹- بحر العلوم ، للسمرقندي(3/ 261).

²- تفسير المراغي، أحمد بن مصطفى المراغي (25/ 100).

³- صفوة التفاسير ، للصابوني (3/ 148).

⁴- مختصر تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (2/ 292).

⁵- انظر: صفوة التفاسير، للصابوني (3/ 150).

⁶- في ظلال القرآن، لسيد قطب (5/ 3194).

الفصل الثاني

الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف الربع الثاني من الحزب الخمسين

(سورة الزخرف الآيات 57-89 سورة الدخان الآيات 1-16)

ويشتمل على ستة مباحث:

المبحث الأول: المقاصد والأهداف لسورة الزخرف الآيات (57-64).

المبحث الثاني: المقاصد والأهداف لسورة الزخرف الآيات (65-72).

المبحث الثالث: المقاصد والأهداف لسورة الزخرف الآيات (73-80).

المبحث الرابع: المقاصد والأهداف لسورة الزخرف الآيات (81-89)

المبحث الخامس: المقاصد والأهداف لسورة الدخان الآيات (1-8)

المبحث السادس: المقاصد والأهداف لسورة الدخان الآيات (9-16)

المبحث الأول

المقاصد والأهداف لسورة الزخرف الآيات (57-64)

وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول : بيان رسالة عيسى إلى بني إسرائيل.

المطلب الثاني: بيان أن قريشاً أوتيت الجدل والقوة في الخصومة.

المطلب الثالث: ذم القران الجدل الباطل .

المطلب الرابع: شرف عيسى وعلو مكانته.

المطلب الخامس : حرمة إتباع الشيطان.

المطلب الأول : بيان رسالة عيسى إلى بني إسرائيل

قال الله تعالى: ﴿ وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ﴾ (الزخرف:57).

أولاً: سبب النزول:

اختلف أهل التفسير في سبب نزول هذه الآية على عدة أقوال، نذكر منها ما يلي:

1- روي عن ابن عباس وغيره في تفسير هذه الآية، أنه لما نزلت: (إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ، خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ، فَيَكُونُ) [آل عمران: 59] ونزل مع ذلك ذكر عيسى وحاله وكيف خلق من غير فحل، قالت فرقة: ما يريد محمد من ذكر عيسى إلا أن نعبده نحن كما عبدت النصارى عيسى، فهذا كان صدورهم من ضربه مثلاً.⁽¹⁾

2- أَنَّ الْمُشْرِكِينَ لَمَّا سَمِعُوا مِنَ النَّبِيِّ (ﷺ) قَوْلَ اللَّهِ تَعَالَى: (إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ ... [آل عمران: 59]، وَلَيْسَ خُلُقُهُ مِنْ دُونِ أَبِي بِأَعْجَبَ مِنْ خُلُقِ آدَمَ مِنْ دُونِ أَبِي وَلَا أُمَّ، وَ ذَلِكَ قَبْلَ أَنْ تَنْزَلَ سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ ، لِأَنَّ تِلْكَ السُّورَةَ مَدَنِيَّةٌ وَسُورَةُ الزُّخْرُفِ مَكِّيَّةٌ ، قَالُوا: نَحْنُ أَهْدَى مِنَ النَّصَارَى لِأَنَّهُمْ عَبَدُوا آدَمِيًّا، وَنَحْنُ عَبَدْنَا الْمَلَائِكَةَ ، فَأَرَادُوا أَنْ يَدْفَعُوا عَنْ أَنْفُسِهِمْ مَا سَفَّهَهُمْ بِهِ النَّبِيُّ (ﷺ) فَتَنَزَلَ قَوْلُهُ تَعَالَى: (وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا)⁽²⁾.

ثانياً: المعنى العام:

أخبر الله تعالى نبيه محمد (ﷺ) عن رسالة عيسى -عليه السلام- فقال تعالى: {وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ} أي ولما ذكر عيسى بن مريم في القرآن الكريم، وضرب المثل بالآلهة التي عُبِدت من دون الله، إذا مشركو قريش يضحجون وترتفع أصواتهم بالصياح والعيول معترضين على رسالة النبي محمد (ﷺ) وهذا حال الكافرين في كل وقت وحين، فهم يقفون من الدعاة والعلماء موقف العداء، لا حجة لهم بذلك إلا الكبر والعناد.⁽³⁾

ثالثاً: معاني المفردات:

"مثلاً: أي حجة وبرهاناً، يصدون (بكسر الصاد) أي يصيحون ويرتفع لهم ضجيج وفرح"⁽⁴⁾.

رابعاً: القراءات:

قَرَأَ نَافِعٌ وَابْنُ عَامِرٍ وَالْكَسَائِيُّ {إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُونَ} بِضَمِّ الصَّادِ.

¹ - المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لابن عطية (60 / 5).

² - انظر: التحرير والتنوير، لابن عاشور (236 / 25).

³ - انظر: صفوة التفسير، للصابوني (150 / 3).

⁴ - تفسير المراغي (101 / 25).

وَقَرَأَ الْبَاقُونَ {يصدون} بِالْكَسْرِ أَي يَضْجُونَ ، وَخَجَّتْهُم بِصِحَّةِ الْكُسْرِ أَنَّهُ بِمَعْنَى الضَّجِيجِ ، وَلَوْ كَانَ بِمَعْنَى الصَّدُودِ كَانَ الْأَفْصَحُ أَنْ يَصْحَبَ الْفِعْلُ عَنْهُ لَا مِنْهُ⁽¹⁾.

خامساً: البلاغة:

- "التَّعْبِيرُ عَنْ فُرَيْشٍ بِعُنْوَانِ "قَوْمِكَ" لِلتَّعْجِيبِ مِنْهُمْ، كَيْفَ فَرِحُوا مِنْ تَعَلُّبِ ابْنِ الزَّبَعْرِى⁽²⁾ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ بِرَعْمِهِمْ فِي أَمْرِ عِيسَى (عَلَيْهِ السَّلَامُ)⁽³⁾.

سادساً: ما يستفاد من الآيات:

- 1- يتمسك المشركون عادةً بشبه واهية، فتراهم يسلكون مسلك الغوغائية والفوضى، فيضجون ويصيحون إذا وجدوا شبهة يمكن التعلق بها في الظاهر؛ ليطعنوا في الأنبياء ورسالتهم، وَلَوْ تَأَمَّلَ الْكُفَّارَ الْآيَةَ وَتَمَعَّنُوا فِيهَا مَا اعْتَرَضُوا عَلَيْهَا، لِأَنَّهُ قَالَ " وَمَا تَعْبُدُونَ " وَلَمْ يَقُلْ وَمَنْ تَعْبُدُونَ، وَإِنَّمَا أَرَادَ الْأَصْنَافَ وَنَحْوَهَا مِمَّا لَا يَعْقِلُ، وَلَمْ يُرِدِ الْمَسِيحَ وَلَا الْمَلَائِكَةَ وَإِنْ كَانُوا مَعْبُودِينَ⁽⁴⁾.
- 2- تشابه حال المشركين مع غيرهم من مشركي مكة ، فكلهم وقف من دعوة الأنبياء موقف العداء والشرك .

¹- انظر: حجة القراءات، لابن زنجلة (ص: 652).

²- هو (عبد الله بن الزبيري بن قيس السهمي القرشي، أبو سعد: شاعر قريش في الجاهلية. كان شديداً على المسلمين إلى أن فتحت مكة، فهرب إلى نجران، فقال فيه " حسان بن ثابت " أبياتا، فلما بلغته عاد إلى مكة فأسلم واعتذر، ومدح النبي ﷺ فأمر له بحلة، انظر: الأعلام للزركلي (4 / 87).

³- التحرير والتنوير، لابن عاشور (25 / 238).

⁴- انظر: التفسير المنير، للزحيلي (25 / 178)، تفسير الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (16 / 103).

المطلب الثاني: بيان أن قريشاً أوتيت الجدل والقوة في الخصومة

قال الله تعالى: ﴿ وَقَالُوا آلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴾ (الزخرف:58).

أولاً: المعنى العام:

بين الله عز وجل زعم الكفار وحقيقة قولهم، فقال تعالى: "وقالوا آلِهتنا خير أم هو" : أي آلِهتنا التي نعبدُها خير أم عيسى ابن مريم، فرضى أن تكون آلِهتنا معه، فرد تعالى عليهم بقوله: (ما ضربه لك إلا جدلاً) أي ما ضربوا لك هذا المثل في عيسى إلا ليجادلوك، لا لطلب الحق حتى يرجعوا له عند ظهوره وبيانه⁽¹⁾.

ثانياً: معاني المفردات:

(مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا)، أي طلباً للمجادلة⁽²⁾.

ثالثاً: البلاغة:

- الإِسْتِفْهَامُ فِي قَوْلِهِ: آلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ: تَفْرِيرِيٌّ لِلْعَلْمِ بِأَنَّ النَّبِيَّ يُفَضِّلُ عِيسَى عَلَى آلِهَتِهِمْ.
- فَصِرَ عِيسَى عَلَى الْعُبُودِيَّةِ عَلَى طَرِيقَةٍ قَصَرَ الْقَلْبَ لِلرَّدِّ عَلَى الَّذِينَ رَعَمُوهُ إِلَهًا، أَي مَا هُوَ إِلَّا عَبْدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا لِأَنَّ الْإِلَهِيَّةَ تُنَافِي الْعُبُودِيَّةَ⁽³⁾.

رابعاً: ما يستفاد من الآيات:

- 1- يعتمد المشركون على الجدل المذموم الذي يفقد الموضوعية والهدف في الحوار، فهو جدل بالباطل، لذلك كان ادعائهم بالباطل، أن آلِهتهم خير من عيسى، وما ضربوا هذا المثل للنبي ﷺ إلا بقصد إرادة الجدل غير الهادف، الذي أريد به الغلبة في الكلام، ليس طلباً للتفريق بين الحق والباطل⁽⁴⁾.
- 2- الغالب على أن الجدل في القرآن الكريم جاء مذموماً باستثناء مواضع قليلة معينة ، وهي ما كانت للإقناع والحوار الهادف.
- 3- مِنْ عَقَائِدِ الْإِسْلَامِ: تَرْكُ الْمِرَاءِ وَالْجِدَالِ الْمَذْمُومِ فِي الدِّينِ، وَهُوَ الْكَلَامُ الَّذِي لَا فَائِدَةَ مِنْ وِرَاءِهِ ؛ كَالْكَلَامِ فِي الْمُتَشَابِهَاتِ مِنَ الصِّفَاتِ وَالْأَفْعَالِ وَغَيْرِهِمَا، وَكَمُتَشَابِهَاتِ الْقُرْآنِ⁽⁵⁾.

¹ - انظر: أيسر التفاسير، للجزائري (4/ 649)، فتح البيان في مقاصد القرآن، لابن لطف الله الحسيني (12/ 366).

² - معاني القرآن وإعرابه ، للزجاج (4/ 416).

³ - التحرير والتنوير، لابن عاشور (25/ 240).

⁴ - انظر:التفسير المنير للزحيلي (25/ 178).

⁵ - انظر: الاعتصام للشاطبي (2/ 458)، إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي (المتوفى:

790هـ)، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، 1429 هـ ، 2008 م.

المطلب الثالث: ذم القرآن الجدل الباطل :

قال الله تعالى: (وَقَالُوا آلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ) (الزخرف:58).
ذكر الله سبحانه وتعالى لفظ الجدل في كتابه العزيز في تسعة وعشرين موضعاً، والجدل مذمومٌ في كل موضعٍ ذكر إلا في ثلاثة مواضع⁽¹⁾: "أحدها " : في النحل: (ادعُ إلى سبيلِ ربِّكَ بالحكمةِ والموعظةِ الحسنةِ وجادلهمِ بالتي هي أحسن) وأما الموضعُ الثاني: في العنكبوتِ: (ولا تُجادلوا أهلَ الكتابِ إلا بالتي هي أحسنُ) وأما الموضعُ الثالث: في المجادلةِ: (قدَّ سمِعَ اللهُ قولَ التي تجادلُكَ في رَوْجِهَا)⁽²⁾.
أولاً: المعنى العام:

يبين الله تعالى حال الكفار ويكشف عن حقيقتهم بقوله تعالى: (ما ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ) أي ما ضربوا لك هذا المثل إلا لأجل الجدل والغلبة في القول لا لإظهار الحق⁽³⁾.

ثانياً: معاني المفردات:

- (جدلاً): "خُصُومَةٌ بِالْبَاطِلِ"⁽⁴⁾.

- (بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ) يعني: "يجادلونك شديد المجادلة بالباطل"⁽⁵⁾.

ثالثاً: البلاغة:

- (بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ): إِضْرَابٌ انْتِقَالِيٌّ إِلَى وَصْفِهِمْ بِحُبِّ الْخِصَامِ وَإِظْهَارِهِمْ مِنَ الْحُجَجِ مَا لَا يَعْتَقِدُونَهُ تَمْوِيهَاً عَلَى عَامَّتِهِمْ"⁽⁶⁾.

¹ - هذا الموضوع تابع لأنواع علوم القرآن وهو (الوجوه والنظائر)، ومن قبل ما أورده ابن فارس في (الأفراد)، مثل كل كلمة (وراء) وردت في القرآن بمعنى وراء، إلا في سورة الكهف، فقد جاءت كلمة وراءهم بمعنى أمامهم، وهنا كل جدل في القرآن مذموم، إلا في سورة النحل، والعنكبوت، والمجادلة.

² - انظر: استخراج الجدل من القرآن الكريم (ص: 52)، عبد الرحمن بن نجم بن عبد الوهاب الجزري السعدي العبادي، أبو الفرج، ناصح الدين ابن الحنبلي (المتوفى: 634هـ)، تحقيق: الدكتور زاهر بن عواض الألمعي، مطابع الفرزدق التجارية، الطبعة: الثانية، 1401 هـ.

³ - تفسير المراغي (25 / 103).

⁴ - تفسير الجلالين، جلال الدين السيوطي، جلال الدين المحلي (ص: 653).

⁵ - بحر العلوم، للسمرقندي (3 / 261).

⁶ - التحرير والتنوير، لابن عاشور (25 / 239، 240).

رابعاً: ما يستفاد من الآيات:

- 1- ذم القرآن الكريم الجدل لغير إحقاق حق أو إبطال باطل، (1)، فعَنْ أَبِي إِمَامَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ): «مَا ضَلَّ قَوْمٌ بَعْدَ هُدًى كَانُوا عَلَيْهِ إِلَّا أُوْتُوا الْجَدَلَ»... (2).
- 2- لجوء بعض الناس إلى الجدل الباطل بعيداً عن الحق ، للهروب من الحقيقة التي لا تتفق مع أهواءهم.
- 3- "تمسك القائلون بزم الجدل بهذه الآية:بقولهم: ما ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا والحق التفرقة بين نوعين من الجدل: الجدل لتقرير الحق، وهذا محمود، والجدل لتقرير الباطل، وهذا مذموم"، (3). قال تعالى: "ما يُجَادِلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا"، [غافر: 4].
- 4- اضطرار بعض الناس إلى الجدل والمناظرة الشفوية أو التحريرية للدفاع عن الدين، بعد نيل الأعداء منه، كما حصل لكثير من علماء الإسلام، مع النصارى وغيرهم، خاصة إذا أصبح خطر العدو يهدد كيان الأمة الإسلامية، وأصبح في المجتمع بعض الجهال الذين قد يخدعون بما يأتي من شبهات عبر ما يكتب أو ينشر في أوساط المجتمع (4).
- 5- يستحسن أن يقوم بالجدل مجموعة مؤهلة في المناظرات من أهل العلم والعلماء المتخصصين، للقدرة على الإقناع، وإبصال الحقائق للغير بصورة واضحة ، لا لبس فيها ولا غموض، كما كان يفعل الشيخ العالم احمد ديدان -رحمه الله- فقد كان صاحب حجة بالغة وقدرة فائقة في إقناع النصارى وغيرهم للدخول في الإسلام.
- 6- التزام أدب الجدل والمناظرة إلى حد كبير جداً، آخذاً بما أمر الله به في مجادلة أهل الكتاب، والقدرة على الإقناع، باستحضار الأدلة من القرآن والسنة ، وإيراد وجه الاستدلال منهما، ثم يرد عليهم (5).

1- انظر: أيسر التفاسير، للجزائري (4/ 650).

2- سنن ابن ماجه، باب:اجتناب البدع والجدل (1/ 19)، حديث رقم(48)، حكم الألباني:حسن.

3- التفسير المنير، للزحيلي (25/ 178).

4- انظر: الانتصارات الإسلامية في كشف شبه النصرانية (1/ 166)، سليمان بن عبد القوي بن الكريم الطوفي الصرصري، أبو الربيع، نجم الدين (المتوفى: 716هـ)، تحقيق: سالم بن محمد القرني، مكتبة العبيكان ، الرياض، الطبعة: الأولى، 1419هـ.

5- انظر: الانتصارات الإسلامية في كشف شبه النصرانية ، سليمان بن عبد القوي بن الكريم الطوفي (1/ 169).

المطلب الرابع: شرف عيسى وعلو مكانته

قال الله تعالى: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ * وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنْكُمْ مَلَائِكَةً فِي الْأَرْضِ يَخْلُقُونَ * وَإِنَّهُ لَعَلَّمَ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَاتَّبِعُونَ هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾ (الزخرف 59-61).

أولاً: المناسبة:

يذكر الله -تعالى- في هذا السياق طرفاً من قصة عيسى ابن مريم؛ ليكشف عن حقيقته وحقيقة دعوته، واختلاف قومه من قبله ومن بعده، ثم يهدد المنحرفين عن منهج العقيدة جميعاً بمجيء الساعة بغتة، وهنا يعرض مشهداً مطولاً من مشاهد القيامة، يتضمن صفحة من النعيم للمتقين، وفي المقابل صفحة من العذاب الأليم للمجرمين، وينفي أساطيرهم عن الملائكة⁽¹⁾.

ثانياً: المعنى العام:

مدح الله تعالى عيسى -عليه السلام- بقوله تعالى: (إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ * أَيُّ مَا عِيسَى إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ بِالنُّبُوَّةِ، وَجَعَلَهُ مَثَلًا لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ)، وليس كما ادعى النصارى إلهيته، فهو آيةٌ وَعِبْرَةٌ يُسْتَدَلُّ بِهَا عَلَى قُدْرَةِ اللَّهِ -تعالى- فَإِنَّ عِيسَى وَلَدٌ مِنْ غَيْرِ أَبِي، ثُمَّ جُعِلَ إِلَيْهِ مِنْ إِحْيَاءِ الْمَوْتَى وَإِبْرَاءِ الْأَكْمَةِ وَالْأَبْرَصِ وَالْأَسْقَامِ كُلِّهَا مَا لَمْ يُجْعَلْ لِغَيْرِهِ فِي زَمَانِهِ، مَعَ أَنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَانُوا يَوْمئِذٍ حَيْرَ الْخَلْقِ وَأَحْبَهُ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، ثُمَّ خَاطَبَ اللَّهُ -تعالى- عقولهم القاصرة وقلوبهم الجاحدة بقوله: (وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنْكُمْ) أَي: لَوْلَدْنَا مِنْكُمْ يَا رِجَالُ مَلَائِكَةً يَخْلُقُونَ فِي الْأَرْضِ كَمَا يَخْلُقُكُمْ أَوْلَادَكُمْ كَمَا وَلَدْنَا عِيسَى مِنْ أَنْثَى مِنْ غَيْرِ أَبِي لَتَعْرِفُوا تَمَيِّزَنَا بِالْقُدْرَةِ الْبَاهِرَةِ، {وَإِنَّهُ لَعَلَّمَ لِّلسَّاعَةِ} أَي: وَإِنْ عِيسَى -عليه السلام- لدليل على الساعة، وأن الله القادر على إيجاد عيسى من أم بلا أب، قادر على بعث الموتى من قبورهم، ونزول عيسى -عليه السلام- في آخر الزمان، فسيكون نزوله علامة من علامات الساعة {فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا} أَي: لا تشكن في قيام الساعة، فإن الشك فيها كفر. {وَاتَّبِعُونَ} بامتنال ما أمرتكم، واجتناب ما نهيتكم، {هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ} موصل إلى الله عز وجل⁽²⁾.

¹-انظر "في ظلال القرآن، لسيد قطب (5/ 3196).

²- انظر: تفسير الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (16/ 104)، مفاتيح الغيب، للفخر الرازي (27/ 640)، تيسير الكريم الرحمن، للسعدي (ص: 768).

الرد على ادعاء النصارى بالوهية عيسى: من القرآن الكريم:

أبطل القرآن الكريم زعم النصارى إلهية عيسى -عليه السلام- فقال تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾، [آل عمران: 59].

من السنة:

ما جاء في صحيح مسلم : أن أبا هُرَيْرَةَ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ (ﷺ) يَقُولُ: «أَنَا أَوْلَى النَّاسِ بِابْنِ مَرْيَمَ، الْأَنْبِيَاءِ أَوْلَادُ عَلَاتٍ⁽¹⁾، وَلَيْسَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ نَبِيٌّ»⁽²⁾، فمن كان هكذا حاله ، فهل يعبد من دون الله تعالى.

من المعقول:

1- النصارى يدعون أن عيسى ابن الله مع أنهم يثبتون له الجهل وعدم الحكمة في بعض التصرفات، وقد ثبت ان عيسى -عليه السلام- كان يبكي عندما سمع بقتل برىء ، وطلب من أتباعه أن يدلوه على قبره، كما ورد في الإنجيل، فهل يعقل أن يكون إليها؟!...فإنه كان محتاجا لغيره وكان يأكل الطعام، وَهَذَا مِنْ أَظْهَرِ الصِّفَاتِ النَّافِيَةِ لِلْإِلَهِيَّةِ لِحَاجَةِ الْأَكْلِ إِلَى مَا يَدْخُلُ فِي جَوْفِهِ وَلَمَّا يَخْرُجُ مِنْهُ مَعَ ذَلِكَ مِنَ الْفَضَلَاتِ، وَالرَّبُّ تَعَالَى أَحَدٌ صَمَدٌ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفْوًا أَحَدٌ، وكان يجهل بعض ما حوله، ولم يكن يعرف من علم الغد شيئا، وكان يخاف من اليهود، و العجيب أن النصارى تدعى ألوهيته أو أنه ابن الإله ، ومع ذلك تقول بأنه صلب وقتل، وابن الإله الذي خلق هذا الكون ، لا بد أن يكون كأبيه في هذا، وعيسى بإقراره لم يكن كذلك⁽³⁾.

2- إن كان عيسى هو الإله كما تزعم النصارى، وادعاءهم بأنه صلب وقتل، فهل يعقل لهذا الكون أن يبقى بدون خالق يدبر شؤونه وأمره، فالناظر إلى هذا الكون البديع في حسن تركيبه، وحسن صنيعه يدرك يقيناً، انه لا يعقل أن يبقى هذا الكون بدون اله يعبد، فكل شيء في الوجود يدل على عظمته وقدرته، وبديع خلقه.

¹ - (أولاد العلات) هم الإخوة من أب واحد وأمهات شتى، لإبن كثير (3/ 383).

² - صحيح مسلم ،كتاب: الفضائل ، باب: فضائل عيسى عليه السلام (4/ 1837) ،حديث رقم(2365).

³ - انظر باختصار: التفسير الواضح (3/ 409,408)، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (2/ 171)، لتقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: 728هـ)،تحقيق: علي بن حسن ،عبد العزيز بن إبراهيم ، حمدان بن محمد، دار العاصمة ، السعودية،الطبعة: الثانية، 1419هـ، 1999م.

3- إذا كانت النصارى تعبد عيسى لأنه خلق من غير أب، فمن باب أولى أن يعبدوا آدم عليه السلام، لأنه خلق من غير أب ولا أم، فان الذي خلق من غير أب ولا أم يكون اقوي حجة و برهاناً على قدرة الله في الخلق.

ثالثاً: معاني المفردات:

{إِنَّ هُوَ} أي عيسى، {وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا} آية يستدل بها على وجود الخالق تعالى وقدرته⁽¹⁾.
{وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنْكُمْ} بَدَلَكُمْ، {مَلَائِكَةً فِي الْأَرْضِ يَخْلُقُونَ} بِأَنَّ تُهْلِكُكُمْ⁽²⁾.
{لَعَلَّمْ لِلسَّاعَةِ} المعنى أن ظهورَ عيسى ابن مريم عليه السلام، من علامات السَّاعَةِ، أي إذا ظهر دَلٌّ على مجيء الساعة⁽³⁾.
فلا تمترن بها: أي لا تشكن فيها أي في إثباتها، ولا في قريباها⁽⁴⁾.

رابعاً: البلاغة:

"وَإِسْنَادُ "لَعَلَّمْ لِلسَّاعَةِ" إِلَى ضَمِيرِ الْقُرْآنِ إِسْنَادٌ مَجَازِيٌّ لِأَنَّ الْقُرْآنَ سَبَبُ الْعِلْمِ بِوُقُوعِ السَّاعَةِ إِذْ فِيهِ الدَّلَائِلُ الْمُتَنَوِّعَةُ عَلَى إِمْكَانِ الْبَعْثِ وَوُقُوعِهِ"⁽⁵⁾.

خامساً: ما يستفاد من الآيات:

1- إن جميع الأنبياء والرسل صرحوا لأقوامهم أنهم بشر عبيد لله تعالى، فلا يصح رفع أحد عن المنزلة البشرية كسائر الناس، وعلى هذا فإن عيسى عليه السلام ذو طبيعة بشرية، وليست إلهية كما يزعم النصارى، وما هو إلا عبد كسائر عبيد الله، أنعم الله عليه بالنبوة، وجعل خلقه من غير أب آية وعبرة لبني إسرائيل والنصارى، يستدل بها على قدرة الله تعالى، وان ما كان يقوم به من إحياء للموتى وإبراء الأسقام كلها بإذن الله، ولم يجعل هذا لغيره في زمانه⁽⁶⁾.
2- تقرير البعث والجزاء، وضرورة إتباع منهج الأنبياء والصالحين، لأنهم يسيرن على طريق مستقيم، يوصل إلى الجنة.

1- انظر: أوضح التفاسير، لابن الخطيب (1/ 606).

2- تفسير الجلالين، جلال الدين السيوطي، جلال الدين المحلي (ص: 653).

3- انظر: معاني القرآن وإعرابه، للزجاج (4/ 417).

4- أيسر التفاسير، للجزائري (4/ 649).

5- التحرير والتنوير، لابن عاشور (25/ 243).

6- انظر: التفسير المنير، للزحيلي (25/ 179، 178).

3- "الله تعالى قادر على كل شيء، فهو قادر على أن يجعل بدل الإنس ملائكة يكونون خلفاء عنهم في الأرض، يعمرونها ويشيدون حضارتها، ويتعاقبون بعضهم إثر بعض في تولي شؤونها كلها"⁽¹⁾.

4- شرف عيسى وعلو مكانته ⁽²⁾ وإنَّ خروجَ عيسى -عليه السلام- ونزوله من السماء آخرَ الزمانِ من أعلام الساعة، كما أنَّ خروجَ الدجال من أعلام الساعة، كما جاء في الحديث: أن أبا هُرَيْرَةَ رضي الله عنه سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَنْزَلَ فِيكُمْ ابْنُ مَرْيَمَ حَكَمًا مُقْسِطًا، فَيَكْسِرَ الصَّلِيبَ، وَيَقْتُلَ الْخَنزِيرَ، وَيَضَعَ الْجَزِيَّةَ، وَيَفِيضَ الْمَالَ، حَتَّى لَا يَقْبَلَهُ أَحَدٌ»⁽³⁾.

¹- التفسير المنير، للزحيلي (179 / 25).

²- انظر: أيسر التفاسير، للجزائري (4 / 650)، التفسير المنير، للزحيلي (179 / 25).

³- صحيح البخاري، باب: كسر الصليب وقتل الخنزير (3 / 136)، حديث رقم (2476).

المطلب الخامس: حرمة إتباع الشيطان

قال الله تعالى: ﴿وَلَا يَصُدَّنَّكُمُ الشَّيْطَانُ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ *وَلَمَّا جَاءَ عِيسَى بِالْبَيِّنَاتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُمْ بِالْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَارْتَبِعُوا رَبِّي وَرَبَّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾، (الزخرف62-64).

أولاً: المعنى العام:

ينبأ الله تعالى عن حقيقة الشيطان وإغواءه للإنسان، فيقول تعالى: ولا يصرفنكم الشيطان عن إتباع الحق، بوساوسه التي يلقيها في نفوسكم أيها البشر، إن الشيطان لكم عدو ظاهر العداوة، من عهد أبيكم آدم عليه السلام، ﴿وَلَمَّا جَاءَ عِيسَى بِالْبَيِّنَاتِ﴾، أي ولما جاء عيسى بالمعجزات وبالشرائع البيّنات الواضحات، قال قد جئتكم بما تقتضيه الحكمة الإلهية من الشرائع ﴿وَلِأُبَيِّنَ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ﴾ أي وجئتكم لأبين لكم ما اختلفتم فيه من أمور الدين، ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾ فيه الإقرار بتوحيد الربوبية، والإقرار بتوحيد العبودية، بالأمر بعبادة الله وحده لا شريك له، وإخبار عيسى عليه السلام أنه عبد من عباد الله، ليس كما قال فيه النصارى: "إنه ابنُ الله أو ثالثُ ثلاثة"، والإخبار بأن هذا المذكور صراطٌ مستقيمٌ موصلٌ إلى الله وإلى جنته⁽¹⁾.

ثانياً: معاني المفردات:

﴿وَلَا يَصُدَّنَّكُمُ﴾ يَصْرِفُنْكُمْ عَنْ دِينِ اللَّهِ⁽²⁾.
﴿وَلَمَّا جَاءَ عِيسَى بِالْبَيِّنَاتِ﴾ بالمعجزات الظاهرات، ﴿قَالَ قَدْ جِئْتُكُمْ بِالْحِكْمَةِ﴾ بالنبوة، والمعرفة، والشرائع⁽³⁾.
﴿وَلِأُبَيِّنَ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ﴾ مِنْ أَحْكَامِ التَّوْرَةِ⁽⁴⁾.
﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ﴾، أي: إن الذي يستوجب الإفراد بالعبادة هو الله.
﴿هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾، أي: هذا الذي أمرتكم به هو الطريق القويم الذي لا يصل الإنسان إلى رضى الله إلا باتباعه⁽⁵⁾.

¹ - انظر باختصار: التفسير الوسيط ، للزحيلي (3 / 2371)، صفوة التفاسير، للصابوني (3 / 151)، تيسير الكريم الرحمن، للسعدي، (ص: 769).

² - تفسير الجلالين، جلال الدين السيوطي ، جلال الدين المحلي (ص: 653).

³ - انظر: أوضح التفاسير، لابن الخطيب (1 / 606).

⁴ - تفسير معالم التنزيل في تفسير القرآن ، للبخاري (7 / 220).

⁵ - انظر: الهداية الى بلوغ النهاية، أبو محمد مكي بن أبي طالب (10 / 6693).

ثالثاً: البلاغة:

- "صِيَغُ النَّهْيِ عَنِ اتِّبَاعِ الشَّيْطَانِ فِي صَدِّهِ إِيَّاهُمْ بِصِيغَةِ نَهْيِ الشَّيْطَانِ عَنِ أَنْ يَصُدَّهُمْ، ... فَكُنِّي بِنَهْيِ الشَّيْطَانِ عَنِ صَدِّهِمْ عَنِ نَهْيِهِمْ عَنِ الطَّاعَةِ لَهُ بِأَبْلَغٍ مِنْ تَوْجِيهِ النَّبِيِّ (ﷺ) إِلَيْهِمْ... وَجُمْلَةُ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ تَعْلِيلٌ لِلنَّهْيِ عَنِ أَنْ يَصُدَّهُمْ الشَّيْطَانُ فَإِنَّ شَأْنَ الْعَاقِلِ أَنْ يُحَدِّثَ مِنْ مَكَائِدِ عَدُوِّهِ"⁽¹⁾.
- قَوْلُهُ: «وَلَأُبَيِّنَ لَكُمْ: اللام لتعليل والتبيين.

رابعاً: اللطائف البيانية:

وَفِي قَوْلِهِ: بَعْضُ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ: فِيهِ تَهْيِئَةٌ لَهُمْ لِقَبُولِ مَا سَيُبَيِّنُ اللهُ لَهُمْ حِينَئِذٍ، أَوْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ⁽²⁾.

خامساً: ما يستفاد من الآيات:

- 1- لما جاء عيسى -عليه السلام- بالحكمة وهي أصول الدين كعرفة ذات الله -تعالى- وصفاته وأفعاله، وبعض الذي يختلفون فيه؛ وهو فروع الدين، أمر قومه -بنو إسرائيل- أن يتقوا الشرك ولا يعبدوا إلا الله وحده، وأن يطيعوه فيما يدعوهم إليه من التوحيد، وأعلن أن الله ربهم وأمرهم بإخلاص العبادة لله، والتوحيد والعبادة صراطاً مستقيماً، وما سواه معوج لا يؤدي إلى الحق⁽³⁾.
- 2- "حرمة اتباع الشيطان؛ لأنه يضل ولا يهدي"⁽⁴⁾، فان الشيطان لا يتوانى لحظة واحدة في إغواء ابن آدم، كما قال تعالى: { قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ } [سورة ص: 82]، وكما حذر النبي (ﷺ) منه كما جاء في سنن أبي داود، فعن أنس بن مالك، قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ): «إِنَّ الشَّيْطَانَ يَجْرِي مِنَ ابْنِ آدَمَ مَجْرَى الدَّمِ»⁽⁵⁾.
- 3- بيان رسالة عيسى إلى بني إسرائيل، وإقراره بأنه عبد الله، فيه إبطال لشبهة النصارى بادعائهم لإلهية عيسى -عليه السلام- ومما يؤكد ذلك قول عيسى على لسان الحق، ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾ (الزخرف: 64).
- 4- لزوم تقوى الله وطاعة الرسول، وتوحيد الله في عبادته، والإيمان المطلق أن الله عز وجل هو خالق هذا الكون ومدبر شؤونه.

¹- التحرير والتنوير، لابن عاشور (25 / 245).

²- انظر: التحرير والتنوير، لابن عاشور (25 / 247).

³- التفسير المنير، للزحيلي (25 / 179، 180).

⁴- أيسر التفاسير، للجزائري (4 / 650).

⁵- سنن أبي داود، باب: في زرارى المشركين (4 / 230)، حديث رقم (4719)، حكم الألباني: صحيح.

المبحث الثاني

المقاصد والأهداف لسورة الزخرف الآيات (65-73)

وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: بيان شؤم الخلاف، وآثاره.

المطلب الثاني: تقرير البعث والجزاء.

المطلب الثالث: الصحبة في الله.

المطلب الرابع: الجمع بين الزوجين المؤمنين في الجنة.

المطلب الخامس: بيان نعيم أهل الجنة .

المطلب الأول: بيان شؤم الخلاف، وآثاره

قال الله تعالى: ﴿فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ عَذَابٍ يَوْمَ الْيَوْمِ﴾ (الزخرف:65).
أولاً: المناسبة:

لما ذكر - تعالى - أمر عيسى ودعوته إلى الدين الحق، أتبعه بذكر ضلال أهل الكتاب ؛ حيث تفرقوا شيعاً وأحزاباً في شأنه، فقال بعضهم إنه إله، وقال بعضهم إنه ابن الإله، وقال آخرون إنه ثالث ثلاثة، فبين الله - عز وجل - في هذه الآيات سبب اختلافهم⁽¹⁾، "حيث كانوا يختلفون في الديانات وما يتعلق بالتكليف وفيما سوى ذلك مما لم يتعبدوا بمعرفته والسؤال عنه، وإنما بعث ليبين لهم ما اختلفوا فيه مما يعينهم من أمر دينهم".⁽²⁾

ثانياً: المعنى العام:

{فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ} أي اختلف النصارى وصاروا شيعاء، من ملكانية إلى نسطورية إلى يعقوبية، فمنهم من يقر بأن عيسى عبد الله ورسوله وهو الحق، ومنهم من يدعى أنه ابن الله، ومنهم من يقول : إنه الله، تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً، فبعد هذا الاختلاف توعدهم الله تعالى بقوله: {فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ عَذَابٍ يَوْمَ الْيَوْمِ} أي: ما أشدَّ حزنَ الظالمين، وما أعظمَ خسارتهم في ذلك اليوم⁽³⁾.

ثالثاً: معاني المفردات:

{فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ}: أي الفِرْقُ الْمُتَحَرِّزَةُ بَعْدَ عِيسَى وَهُمْ الْمَلَكَانِيَّةُ وَالْيَعْقُوبِيَّةُ وَالنَّسْطُورِيَّةُ، وَقِيلَ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى⁽⁴⁾، {فَوَيْلٌ}: كَلِمَةٌ عَذَابٌ تُوَعَّدُهُمُ اللَّهُ بِهَا، {لِلَّذِينَ ظَلَمُوا}: كَفَرُوا بِمَا قَالُوهُ فِي عِيسَى⁽⁵⁾.

رابعاً: ما يستفاد من الآيات:

1- أن أحزاب أهل الكتاب من اليهود والنصارى و الملكانية واليعقوبية والنسطورية، جميعهم اختلفوا في عيسى، مما يدل على أنهم على منهج واحد في الكفر والضلال، ومما يؤكد ذلك قوله (تعالى): "وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ وَهُمْ

¹ - صفوة التفاسير ، للصابوني (152 /3).

² - الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، للزمخشري (262 /4).

³ - انظر: تفسير المراغي (105 /25)، تيسير الكريم الرحمن، للسعدي (ص: 769).

⁴ - مفاتيح الغيب ، للفخر الرازي (641 /27).

⁵ - تفسير الجلالين، جلال الدين السيوطي، جلال الدين المحلي (ص: 654).

يَتْلُونَ الْكِتَابَ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ
يَخْتَلِفُونَ }، [البقرة: 113].

- 2- وعيد الله لليهود والنصارى الذين لم يدخلوا في الإسلام بالويل وهو وادٍ في قعر جهنم ، يهوي به سبعين خريفاً في نار جهنم، فلا ينجو من عذاب ذلك اليوم الأليم⁽¹⁾.
- 3- أن عاقبة الظلم وخيمة، فان الظلم يورد فاعله المهالك وسوء العاقبة والمصير.

¹ - انظر: أيسر التفاسير، للجزائري (4/ 653)

المطلب الثاني: تقرير البعث والجزاء

قال الله تعالى: ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ (الزخرف:66).

أولاً: المعنى العام:

{هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً} فهل ينتظر المشركون المكذبون للرسل إلا مجيء القيامة فجأة (1) {وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ} أي وهم غافلون عنها مشتغلون بأمر الدنيا، وحينئذ يندمون حيث لا ينفعهم الندم (2).

ثانياً: معاني المفردات:

{هَلْ يَنْظُرُونَ} أي كَفَّار مَكَّة أَي مَا يَنْتَظِرُونَ، {بَغْتَةً} فجأة (3).

إِلَّا السَّاعَةَ: يُرِيدُ الْقِيَامَةَ ، وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ: يَفْطِنُونَ (4).

ثالثاً: البلاغة:

- هَلْ يَنْظُرُونَ: استفهام يفيد الإنكار.

- هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ/ أَنْ تَأْتِيَهُمْ: بدل من الساعة، والمعنى: هل ينظرون إلا إتيان الساعة (5).

رابعاً: اللطائف البيانية:

- عَبَّرَ عَنِ الْيَوْمِ بِالسَّاعَةِ تَلْمِيحًا لِسُرْعَةِ مَا يَحْصُلُ فِيهِ (6).

- وفائدة قوله: {وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ} بعد قوله تعالى: {بَغْتَةً}: بيان أنهم لا يعرفون وجودها بسبب من الأسباب التي يشاهدونها (7).

خامساً: ما يستفاد من الآيات:

- 1- غفلة الأحزاب عن مجيء يوم القيامة فجأة، وهم لا يتوقعون مجيئها، ولا يشعرون بحدوثها.
- 2- أن قيام الساعة من الغيبات التي لا يعلم وقتها إلا الله عز وجل، كما قال تعالى: "يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ نَقُلْتُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ"، [الأعراف: 187].

1- التفسير الوسيط، للزحيلي (3/ 2372).

2- صفوة التفاسير، للصابوني (3/ 152).

3- تفسير الجلالين، جلال الدين السيوطي، جلال الدين المحلي (ص: 654).

4- تفسير الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (16/ 109).

5- التفسير المنير، للزحيلي (25/ 172).

6- التحرير والتنوير، لابن عاشور (25/ 251).

7- التفسير المنير، للزحيلي (25/ 180).

المطلب الثالث: الصحبة في الله

قال الله تعالى: ﴿الْأَخْلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ* يَا عِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ﴾ (الزخرف: 67-68).

أولاً: أسباب النزول:

"هذه الآية نزلت في أمية بن خلف الجُمحي وعُقبه بن أبي معيط، كانا خليلين، وكان عُقبه يجالس النبي (ﷺ)، فقالت قريش: قد صبا عُقبه بن أبي معيط، فقال له أمية: وجهي من وجهك حرام إن لقيت محمداً ولم تنقل في وجهه، ففعل عُقبه ذلك، فنذر النبي ﷺ قتله فقتله يوم بدر صبراً، وقُتل أمية في المعركة، وفيهم نزلت هذه الآية"⁽¹⁾.

ثانياً: المناسبة:

بعد التهديد بمجيء القيامة بغتة، ذكر الله تعالى بعض أحوال القيامة، ووصف هنا ألوان نعيم أهل الجنة، ثم أتبعه ببيان أوصاف عذاب أهل النار، فذكر هنا تعادي الأخلاء، واستثنى الله تعالى منهم عباده المتقين...⁽²⁾.

ثالثاً: المعنى العام:

بين الله - تعالى - حال الأخلاء والأصدقاء يوم القيامة، فقال (جل ذكره): (الْأَخْلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ): أي كل صداقة وخلة فإنها تتقلب في ذلك اليوم إلى عداوة، إلا ما كانت من أجل الله، فإنها تبقى في الدنيا والآخرة⁽³⁾، فان الكافر يوم القيامة يندم أشد الندم بسبب عصيانه وكفره.

{يا عبادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ} يخاطب الله عباده بأشرف خطاب (خطاب العبودية) بعدم الخوف والحزن في هذا اليوم العصيب.

"ف قوله: (يا عبادِ)، فكان الحقُّ يخاطبهم بنفسه ويقول لهم يا عبادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ، ففيه أنواعٌ كثيرةٌ مما يُوجب الفرح:

أولها: أن الحقَّ سبحانه وتعالى خاطبهم بنفسه من غير واسطة.

ثانيها: أنه تعالى وصفهم بالعبودية، وهذا تشريفٌ عظيم، بدليل أنه لما أراد أن يُشرف محمداً ﷺ لنبوة المعراج، قال: سبحان الذي أسرى بعبده" (الإسراء: 1).

¹ - تفسير الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (16 / 109).

² - انظر: التفسير المنير، للزحيلي (25 / 182).

³ - انظر: تفسير المراعي (25 / 107).

ثَالِثُهَا: قَوْلُهُ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ فَأَزَالَ عَنْهُمْ الْخَوْفَ فِي يَوْمِ الْقِيَامَةِ بِالْكَلْبَةِ، وَهَذَا مِنْ أَعْظَمِ النَّعَمِ .
رَابِعُهَا: قَوْلُهُ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ فَتَقَى عَنْهُمْ الْحُزْنَ بِسَبَبِ قُوَّةِ الدُّنْيَا الْمَاضِيَةِ⁽¹⁾.

رابعاً: معاني المفردات:

الأخلاء: جمع خليل وهو الصديق أو الصاحب، يَوْمئِذٍ: أي في يوم القيامة⁽²⁾.
قال الطبري: بعضهم لبعض عدوٌ " يتبرأ بعضهم من بعض، إلا الذين كانوا تخالوا فيها على تقوى الله."⁽³⁾.

{يَا عِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ} أي: أي: لا خوف يلحقكم فيما تستقبلونه من الأمور، {وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ} أي: ولا حزن يصيبكم فيما مضى منها⁽⁴⁾.

خامساً: البلاغة:

- التَّعْرِيفُ فِي الْأَخْلَاءِ هُوَ تَعْرِيفُ الْجِنْسِ وَيُفِيدُ الْاسْتِعْرَاقَ الْعَرَفِيَّ، أَيِ كُلِّ الْأَخْلَاءِ مِنْ فَرِيقِي الْمُشْرِكِينَ وَالْمُؤْمِنِينَ أَوْ الْأَخْلَاءِ مِنْ فُرَيْشِ الْمُتَحَدِّثِ عَنْهُمْ⁽⁵⁾.
- وقوله: {يَا عِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ} : إيجاز بالحذف حيث استغنى بدلالة ما ذكر عليه. ومعنى الكلام فإنهم يقال لهم: يا عبادي ، لا خوف عليكم اليوم من عقابي، فإني قد أمنتكم منه برضاي عنكم، ولا أنتم تحزنون على فراق الدنيا فإن الذي قدمتم عليه خير لكم مما فارقتموه منها⁽⁶⁾.

سادساً: ما يستفاد من الآيات:

- 1- أن كل صداقة وصحابة لغير الله تتقلب يوم القيامة عداوة إلا ما كان لله- عز وجل- لذا ينبغي أن تكون المودة في الدنيا لله لا لغيره تعالى⁽⁷⁾.
- 2- "الأصحاب والأصدقاء في الدنيا يكونون يوم القيامة أعداء، يعادي بعضهم بعضا ويلعن بعضهم بعضا إلا المنقين، فإنهم أصدقاء متحابون في الدنيا والآخرة ، وهذا دليل على أن الخلّة أو الصحبة إذا كانت على المعصية والكفر، صارت عداوة يوم القيامة، أما الموحدون الذين يخاللون بعضهم بعضا على الإيمان والتقوى، فإن خلتهم لا تصير عداوة"⁽⁸⁾، فينبغي أن يحرص المرء

¹- مفاتيح الغيب ، للفخر الرازي (642 /27).

²- انظر: التسهيل لعلوم التنزيل، لابن جزي (2/ 263)، زاد المسير في علم التفسير (4 /82).

³- تفسير جامع البيان، الطبري (21 /637).

⁴- انظر: تيسير الكريم الرحمن، للسعدي (ص: 769).

⁵- انظر: التحرير والتوير، لابن عاشور (25 /253).

⁶- انظر: جامع البيان، للطبري (21 /638).

⁷- انظر: التفسير المنير، للزحيلي (25 /182)، أيسر التفاسير، للجزائري (4 /655).

⁸- التفسير المنير، للزحيلي (25 /185).

على أن يصاحب تقياً ورعاً، كما جاء في سنن أبي داود ، فعن أبي سعيدٍ، عَنِ النَّبِيِّ (ﷺ) قَالَ: «لَا تُصَاحِبُ إِلَّا مُؤْمِنًا، وَلَا يَأْكُلُ طَعَامَكَ إِلَّا تَقِيٌّ»⁽¹⁾.

3- عباد الله المؤمنون المطيعون المتقون آمنون في الآخرة من الخوف، متخلصون من الحزن، قد

أزال الله عنهم الخوف والحزن كما وعدهم، وأشعرهم بالفرح من نوح أربع هي:

أ- خاطبهم تعالى بنفسه من غير واسطة، بقوله: يا عباد.

ب- وصفهم تعالى بالعبودية، وهذا تشريف عظيم لهم، كما شرف محمد (ﷺ) ليلة الإسراء و المعراج.

ت- أزال عنهم الخوف وأمنهم يوم القيامة ، وهذا من أعظم النعم على عباده.

ث- نفى عنهم الحزن وعوضهم عما فاتهم من نعيم الدنيا الماضية⁽²⁾.

¹- سنن أبي داود، باب: من يؤمر أن يجالس (4 / 259)، حديث رقم(4832)، حكم الألباني: حسن.

²-انظر: التفسير المنير، للزحيلي (25 / 185).

المطلب الرابع: الجمع بين الزوجين المؤمنين في الجنة

قال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ﴾ (الزخرف: 69-70).

أولاً: المعنى العام:

ذكر تعالى بعضاً من صفات المؤمنين في قوله تعالى: (الَّذِينَ آمَنُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ) أي: هم الذين صدقوا بالقرآن، واستسلموا لحكم الله وأمره، وانقادوا لطاعته والتزموا بأوامره، يقال لهم يوم القيامة، (ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ)، أي ادخلوا الجنة أيها المؤمنون، أنتم وأزواجكم في الدنيا مغبوطين بكرامة الله مسرورين بما أعطاكم منه⁽¹⁾.

ثانياً: معاني المفردات:

الَّذِينَ آمَنُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ يعني: مخلصين بالتوحيد⁽²⁾، {بِآيَاتِنَا}: القرآن⁽³⁾.
"أَنْتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ: المراد بالأزواج نساءهم المؤمنات، وقيل: فُرْتَاؤُهُمْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، وقيل: زَوْجَاتُهُمْ مِنَ الْحُورِ الْعِينِ"⁽⁴⁾.
تُحْبَرُونَ معناه: تتعمون وتسرون، والحبرة: من السرور والنعيم⁽⁵⁾.

ثالثاً: ما يستفاد من الآيات:

- 1- يكرم الله المؤمنين إكراماً على سبيل المبالغة، فيدخلهم الجنة هم وأزواجهم المؤمنات المسلمات في الدنيا، بعد أن آمنهم من الخوف والحزن، وهذا يعني أن حسابهم يمر على أسهل الوجوه وأحسنها⁽⁶⁾.
- 2- "أن الله تعالى يجمع بين الرجل المسلم وبين زوجته المسلمة في الجنة"⁷، فيكونوا سعداء متنعمين بما من الله عليهم من الخير والبركة وحسن العاقبة، فيجب الحرص على اختيار الزوجة الصالحة التي تعين زوجها على الطاعات وفعل الخيرات، والابتعاد عن ارتكاب المعاصي.
- 3- ينعم الله تعالى على عباده المؤمنين بعد دخولهم الجنة بالنعيم والأمن الدائم، فيجمعهم بزوجاتهم من الحور العين، فهن طاهرات عفيفات مطهرات.

¹-انظر: صفوة التفاسير، للصابوني(3/ 153). تفسير المراغي (25/ 108).

²- بحر العلوم، للسمرقندي (3/ 264).

³- تفسير الجلالين، جلال الدين السيوطي، جلال الدين المحلي (ص: 654).

⁴- فتح القدير، للشوكاني (4/ 645).

⁵-انظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لابن عطية (5/ 63).

⁶- التفسير المنير، للزحيلي (25/ 185,186).

⁷- أيسر التفاسير، للجزائري (4/ 655).

المطلب الخامس: بيان نعيم أهل الجنة

قال الله تعالى: ﴿ يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ مِنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ * وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ * لَكُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴾ (الزخرف: 71-73).

أولاً: المعنى العام:

يصف الله -تعالى- حال أهل الجنة وما أعده لهم من نعيم فيها بقوله: ﴿يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ مِنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ﴾، أي: تدور عليهم خدامهم، من الولدان المخلدين بطعامهم، بأحسن الأواني وأفخرها، وهي صحاف الذهب وشرابهم، بالطف الأواني، وهي الأكواب التي لا عرى لها، وهي من أصفى الأواني، من فضة أعظم من صفاء القوارير⁽¹⁾.

(وفيها ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين وأنتم فيها خالدون) أي وفي الجنة ما تشتهيه أنفس أهلها من صنوف الأطعمة والأشربة والأشياء المعقولة والمسموعة ونحوها مما تطلبه النفوس وتهواه كأننا ما كان، جزاء لهم على ما منعوا أنفسهم من الشهوات، وفيها ما تقر أعينهم بمشاهدته، وأعلاه النظر إلى وجهه الكريم، وأنتم لا تخرجون منها ولا تبغون عنها حولاً⁽²⁾.

{وتلك الجنة التي أورثتموها بما كنتم تعملون} أي: جزاء "لأعمالكم الصالحة التي كانت سبباً لشمول رحمة الله إياكم، فإنه لا يدخل أحداً الجنة بعمله، ولكن بفضل من الله ورحمته"⁽³⁾.

ثم يعدد الله -تعالى- نعمه على عباده بخطاب التشويق قائلاً: كُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ بحسب الأنواع والأصناف، لا بحسب الأفراد فقط، مِنْهَا تَأْكُلُونَ أي: لا تأكلون إلا بعضها، فإنها لا تقنى، وأعقابها باقية في أشجارها على الدوام، لا ترى فيها شجرة خلت عن ثمرها لحظة، فهي مزينة بالثمار أبداً، موقورة بها⁽⁴⁾.

ثانياً: معاني المفردات:

"الصحاف" واحدها صَحْفَةٌ وهي القصعة.

والأكواب واحدها كوب وهو إناء مستدير لا عروة له⁽⁵⁾.

¹- تيسير الكريم الرحمن، للسعدي (ص: 769).

²- تفسير المراغي (108 / 25).

³- تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (7 / 239).

⁴- انظر: البحر المديد في تفسير القرآن المجيد (5 / 265)، أبو العباس أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني الحسني الأنجري الفاسي الصوفي (المتوفى: 1224هـ)، تحقيق: أحمد عبد الله القرشي رسلان، الدكتور حسن عباس زكي، القاهرة، الطبعة: 1419 هـ.

⁵- معاني القرآن وإعرابه، للزجاج (4 / 419).

{وَفِيهَا} الضمير إما عائد على الجنة، أو على الصحاف والأكواب⁽¹⁾.

ثالثاً: البلاغة:

- "بِصِحَافٍ مِنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ" بعد الكلمة الأخيرة ما يسمى بحذف الإيجاز، أي أكواب من ذهب، وحذف لدلالة ما قبله عليه، وفيها ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين عام بعد خاص هو قوله: يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ"⁽²⁾.

(مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ) فيها إيجاز بالقصر، حيث عم قوله تعالى: كُلُّ مَا تَتَّعَلَقُ الشَّهَوَاتُ النَّفْسِيَّةُ بِنَوَالِهِ وَتَحْصِيلِهِ، وَاللَّهُ يَخْلُقُ فِي أَهْلِ الْجَنَّةِ الشَّهَوَاتِ اللَّائِقَةَ بِعَالَمِ الْخُلُودِ وَالسُّمُورِ. (وفيها ما تشتهيه): تَقْدِيمُ الْمَجْرُورِ لِلْأَهْتِمَامِ وَالْعِنَايَةِ.

(وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا): استعاره حيث شبه إعطاء الله الْمُؤْمِنِينَ دُونَ غَيْرِهِمْ نَعِيمَ الْجَنَّةِ بِإِعْطَاءِ الْحَاكِمِ مَالِ الْمَيِّتِ لِوَارِثِهِ دُونَ غَيْرِهِ مِنَ الْقَرَابَةِ لِأَنَّهُ أَوْلَى بِهِ وَأَثَرُ بِنْيَالِهِ⁽³⁾.

رابعاً: اللطائف البيانية:

(تِلْكَ الْجَنَّةُ) : اسم إشارة للبعيد، فهي ليست بعيدة ، وإنما أُشِيرَ إِلَى الْجَنَّةِ تَعْظِيمًا لِشَأْنِهَا، وَإِلَّا فَانْتَهَا حَاضِرَةٌ نُصِبَ أَعْيُنُهُمْ⁽⁴⁾.

خامساً: القراءات:

{وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ}

"قَرَأَ نَافِعٌ وَأَبْنُ عَامِرٍ وَخَفْصٌ {وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ} بِإِثْبَاتِ الْهَاءِ بَعْدَ الْيَاءِ مَا بِمَعْنَى الَّذِي وَهُوَ رَفَعٌ بِالْإِبْتِدَاءِ وَتَشْتَهِي صِلَةٌ مَا وَالْهَاءُ عَائِدَةٌ إِلَى مَا، وَهُوَ مَفْعُولٌ تَشْتَهَى وَحُجَّتْهُمُ قَوْلُهُ تَعَالَى: (كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ) [البقرة:275]، وَلَمْ يَقُلْ يَتَخَبَّطُ ، وَقَرَأَ الْبَاقُونَ بِحَدْفِ الْهَاءِ عَلَى الْإِخْتِصَارِ وَالْأَصْلِ فِي هَذَا إِثْبَاتُ الْهَاءِ وَالْحَدْفُ لِلتَّخْفِيفِ"⁽⁵⁾.

سادساً: ما يستفاد من الآيات:

1- أَنَّ الظفر بنعيم الجنة يكون بسبب العمل الصالح في الدنيا، والإقبال على الطاعات، وترك المعاصي.

¹- انظر: أوضح التفاسير، لابن الخطيب (1/ 607).

²- التفسير المنير، للزحيلي (25/ 181).

³- التحرير والتنوير، لابن عاشور (25/ 256,255).

⁴- انظر: التحرير والتنوير، لابن عاشور (25/ 256).

⁵- حجة القراءات، لابن زنجلة (ص: 654).

- 2- تتعم أهل الجنة بألوان كثيرة من الفواكه المختلفة والثمار الطيبة ، يأكل أهلها منها، دون انقطاع ولا فناء، وهذا تعويض لمن حرم منها في الدنيا، وتكميل للرغبة، وتقوية لدواعي العمل المؤدي إليها⁽¹⁾.
- 3- نعيم الدنيا قليل وزائل ، أما نعيم الآخرة فهو عظيم ودائم.
- 4- الإيمان والعمل الصالح سبب في دخول الجنة كما أن الشرك والمعاصي سبب في دخول النار⁽²⁾.
- 5- أن هذا النعيم يوجد ما هو أكبر منه وأفضل عند الله تعالى وهو تكريم المؤمنين بالخطاب من العلي الكريم في قوله تعالى: "وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ"⁽³⁾.
- 6- تقدّم الأطعمة والأشربة لأهل الجنة يوم القيامة بأنية الذهب، أمّا في الدنيا فيحرم استعمال أواني الذهب والفضة⁽⁴⁾، كما جاء في الصحيحين عن حذيفة أنه سمع رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول: « لَا تَلْبَسُوا الْحَرِيرَ وَلَا الدِّيْبَاجَ، وَلَا تَشْرَبُوا فِي آنِيَةِ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ، وَلَا تَأْكُلُوا فِي صِحَافِهَا، فَإِنَّهَا لَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَلَنَا فِي الآخِرَةِ»⁽⁵⁾.
- 7- تلذذ أعين المؤمنين في الجنة، بما اعد الله لهم من نعيم دائم، وخيرات عظيمة، ومساكن طيبة، جزاء لهم على ما فعلوه من خير في الدنيا.

¹- انظر: التفسير المنير، للزحيلي (25 / 187).

²- أيسر التفاسير، للجزائري (4 / 655).

³- انظر: في ظلال القرآن ، لسيد قطب (5 / 3202).

⁴- انظر: التفسير المنير، للزحيلي (25 / 186).

⁵- صحيح البخاري ،كتاب:الأطعمة، باب: الأكل في إناء مفضض (7 / 77) ، حديث رقم (5426).

المبحث الثالث

المقاصد والأهداف لسورة الزخرف الآيات (74-80)

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: بيان عقوبة الشرك.

المطلب الثاني: عذاب الآخرة أشد وأنكى.

المطلب الثالث: من عوامل كراهية الحق حب الدنيا.

المطلب الأول: بيان عقوبة الشرك

قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابٍ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ * لَا يُفْتَرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴾ * وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ ﴾ (الزخرف 74-76).

أولاً: المناسبة:

بعدما ذكر الله -تعالى- أحوال أهل الجنة وما أعد لهم من نعيم، ذكر أحوال أهل النار أيضاً وسوء مآلهم؛ ليبيّن فضل المطيع على العاصي، ولما ذكر -تعالى- الوعد، أردفه بالوعيد، على الترتيب المستمر في القرآن، فبعد أن ذكر ما أعد لأهل الجنة المتقين من ألوان النعيم، ذكر ما أعد لأهل النار من العذاب الأليم⁽¹⁾.

ثانياً: المعنى العام:

يصف الله حال الْمُجْرِمِينَ و المشركين فِي عَذَابٍ جَهَنَّمَ بأنهم خَالِدُونَ فيها أي: دائمون، لا يموتون ولا يخرجون لَا يُفْتَرُ عَنْهُمْ يعني: لا ينقطع عنهم العذاب طرفة عين وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ يعني: آيسين من رحمة الله -تعالى- كما يبين الله -عز وجل- كمال عدله في قوله تعالى: وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ يعني: لم نعذبهم بغير ذنب وَلَكِنْ كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ ؛ لأنهم كانوا يستكبرون عن الإيمان⁽²⁾.

ثالثاً: معاني المفردات:

الإجرام: هو الكسب في اللغة، والمجرم: الكاسب؛ يرجع ذلك إلى كل كاسب مما جل أو دق⁽³⁾.
الإجرام اصطلاحاً: هو "فعل ذنب عظيم يقع المرء عليه عن قصد، سواء أكان ذلك في حق المولى أو في حق العباد"⁴.

خَالِدُونَ} أي: مقيمون في جهنم لا يخرجون منها⁽⁵⁾.

"{لا يفتر عنهم} أي: لا يخفف عنهم العذاب"⁽⁶⁾،، والفتور هو ضعف الهمة، وخفة العزيمة.

مبلسون، المبلس: اليائس الساكت سكوت يأس من فرج⁽⁷⁾.

¹ - انظر: التفسير المنير للزحيلي (189 / 25).

² - انظر: بحر العلوم ، للسمرقندي (264 / 3).

³ - تأويلات أهل السنة ، للماتريدي (186 / 9).

⁴ - نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم (9 / 3780)، عدد من المختصين بإشراف الشيخ/ صالح بن عبد الله بن حميد إمام وخطيب الحرم المكي، دار الوسيلة للنشر والتوزيع، جدة، الطبعة: الرابعة.

⁵ - انظر: تفسير القرآن ، للسمعاني (116 / 5).

⁶ - الوجيز، للواحدى (ص: 978).

⁷ - الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، للزمخشري (264 / 4).

رابعاً: البلاغة:

- إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابٍ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ: أسلوب خبري: ضربه طلبي، لأنه مؤكد بأداة توكيد واحدة هي (إن)، والمعنى أن المخاطب متردد في الخبر، ولا يعرف مدى صحته، فنؤكد الخبر بمؤكد واحد لإزالة الشك والتردد.
- وافتتاحُ الخبرِ (بإِنَّ) لِّإِهْتِمَامٍ بِهِ، أَوْ لِتَنْزِيلِ السَّائِلِ الْمُتَلَهِّفِ لِلْخَبَرِ مَنْزِلَةً الْمُتَرَدِّدِ فِي مَضْمُونِهِ لِشِدَّةِ شَوْقِهِ إِلَيْهِ⁽¹⁾.

خامساً: ما يستفاد من الآيات:

- 1- إن جزاء الكفار الذين لم يؤمنوا بوجود الله ووحدانيته، ولم يصدقوا بالرسول والكتب الإلهية هو نار جهنم، وقد وصفهم الله تعالى بصفة المجرمين⁽²⁾.
- 2- عذاب الآخرة لا يطاق ولا يقدر عليه أحد، ومما يؤكد ذلك طلبهم للموت، ليستريحوا منه وما هم بميتين⁽³⁾، فهو تعبير عن الحيرة والقلق والاضطراب الذي يعبر عن الدوام في نار جهنم.
- 3- لا ظلم للكفار بالعذاب يوم القيامة، ولكنهم هم الظالمون لأنفسهم بالشرك، وإن أعظم جريمة في حق الله هي الشرك به.
- 4- إحباط كل مؤامرات الكفار ضد النبي محمد (ﷺ)؛ لأن الله عاصمه من كيد الكافرين ومؤامراتهم⁽⁴⁾.
- 5- إن سبب عقاب الكفار أن الله تعالى جاءهم بالحق وأرسل إليهم الرسل فلم يقبلوا، وكلهم من النبي محمد (ﷺ) ومن القرآن، شديد البغض والعداء لقبول الدين الحق.
- 6- يخطئ الناس وبخاصة الكفار حين يظنون أن الله لا يسمع سرهم ونجواهم، فإن الله تعالى يسمع ما يحدث به الرجل نفسه أو غيره في مكان خال، وما تكلموا به فيما بينهم⁽⁵⁾.

¹- انظر: التحرير والتنوير، لابن عاشور (257 / 25).

²- التفسير المنير، للزحيلي (191 / 25).

³- انظر: أيسر التفاسير، للجزائري (4 / 657).

⁴- انظر: التفسير المنير، للزحيلي (25 / 192).

⁵- انظر: المرجع نفسه (25 / 193).

المطلب الثاني: عذاب الآخرة أشد وأنكى

قال الله تعالى: ﴿ وَنَادُوا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَاكِتُونَ ﴾ (الزخرف: 77).

يظهر الله تعالى صورة حية من مشاهد يوم القيامة بحال الكفار فإنهم يصيحون صيحة متواحة من بعد سحيق، من هناك من وراء الأبواب الموصدة في الجحيم، إنها صيحة أولئك المجرمين الظالمين، إنهم لا يصيحون في طلب النجاة ولا في طلب الغوث، فهم مبلسون يائسون، إنما يصيحون في طلب الهلاك، الهلاك السريع الذي يريح⁽¹⁾.

أولاً: المعنى العام:

(وَإِنَّا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ) المعنى أنهم طلبوا الموت ليستريحوا من العذاب، وروي أن مالكاً يبقى بعد ذلك ألف سنة، وحينئذ يقول لهم: إنكم ماكتون أي دائمون في النار⁽²⁾.

ثانياً: معاني المفردات:

{لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ} أي ليمتنا لنستريح، وهو من قضى عليه: إذا أماته⁽³⁾.
مَاكِتُونَ: أي: منغمرون فيه، محيط بهم العذاب من كل جانب، {خَالِدُونَ} فيه، لا يخرجون منه أبداً⁽⁴⁾.

ثالثاً: البلاغة:

- هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ: عبر عن المستقبل بلفظ الماضي، حيث حُكِيَ نِدَاؤُهُمْ بِصِيغَةِ الْمَاضِي مَعَ أَنَّهُ مِمَّا سَيَقَعُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، إِمَّا لِأَنَّ إِبْلَاسَهُمْ فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ وَهُوَ الْيَأْسُ يَكُونُ بَعْدَ أَنْ نَادَوْا يَا مَالِكُ فَأَجَابَهُمْ بِمَا أَجَابَ بِهِ، وَإِمَّا لِتَنْزِيلِ الْفِعْلِ الْمُسْتَقْبَلِ مَنْزِلَةَ الْمَاضِي فِي تَحْقِيقِ وُقُوعِهِ⁽⁵⁾.
- لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ: أسلوب إنشائي نوعه أمر غرضه البلاغي الدعاء.
- يا مالك: أسلوب إنشائي نوعه نداء .
- تَوْجِيهُ الْأَمْرِ إِلَى الْغَائِبِ فِي قَوْلِهِ: (لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ) لَا يَكُونُ إِلَّا عَلَى مَعْنَى التَّبْلِيغِ ، أَوْ تَنْزِيلِ الْحَاضِرِ مَنْزِلَةَ الْغَائِبِ⁽⁶⁾.

¹- انظر: في ظلال القرآن ، لسيد قطب (5 / 3202).

²- التسهيل لعلوم التنزيل، لابن جزي (2 / 263).

³- أوضح التفاسير، لابن الخطيب (1 / 607).

⁴- تيسير الكريم الرحمن، للسعدي (ص: 770).

⁵- انظر: التحرير والتنوير، لابن عاشور (25 / 259).

⁶- انظر: المرجع نفسه (25 / 260).

رابعاً: ما يستفاد من الآيات:

- 1- أن الكفار يطلبون تخفيف العذاب عنهم ليس بدخولهم الجنة ، وإنما بهلاكهم والقضاء عليهم.
- 2- خلود الكافرين في النار وعدم خروجهم منها لقوله تعالى: "إِنَّكُمْ مَّا كُنْتُمْ" قلا هم بخارجين منها ولا يقضى عليهم فيستريحوا من عذاب النار، كما قال الحق تبارك وتعالى: (وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَافِرٍ) [فاطر: 36].
- 3- توبيخ الكفار بالاستجابة لهم حيث يرد عليهم خازن النار "مالك" بعد ألف سنة على سبيل الاحتقار والتهكم ، وذلك بتشبيه حالهم في الدنيا بإعراضهم عن دعوة الحق وسخريتهم من الأنبياء والرسل.

المطلب الثالث: من عوامل كراهية الحق حب الدنيا

قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ جِئْنَاكُمْ بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ * أَمْ أَبْرَمُوا أَمْرًا فَإِنَّا مُبْرِمُونَ * أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَىٰ وَرُسُلْنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ﴾ (الزخرف: 78-80).

أولاً: أسباب النزول:

"نزلت في تدبيرهم بالمكر بالنبي (ﷺ) في دار الندوة، حين استقر أمرهم على ما أشار به أبو جهل عليهم أن يبرز من كل قبيلة رجل ليشتركوا في قتله فتضعف المطالبة بدمه، فنزلت هذه الآية، وقتل الله جميعهم بيدٍ" (1).

ثانياً: المعنى العام:

وبخ الله الكفار بما فعلوا فقال: ﴿لَقَدْ جِئْنَاكُمْ بِالْحَقِّ﴾ الذي يوجب عليكم أن تتبعوه فلو تبعتموه، لفزتم وسعدتم، ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ﴾ فلذلك شقيتم شقاوة لا سعادة بعدها، وقوله سبحانه: لَقَدْ جِئْنَاكُمْ يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ مِنْ تَمَامِ قَوْلِ مَالِكٍ لَهُمْ، وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ مِنْ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى لِقْرِيشٍ، فَيَكُونَ فِيهِ تَخْوِيفٌ فَصِيحٌ بِمَعْنَى: انظروا كيف يكون حالكم؟! (2).

{أَمْ أَبْرَمُوا} أحكموا {أمرًا} وخططوا لكيد محمد {فإِنَّا مُبْرِمُونَ} محكمون أمرًا في كيدهم وإهلاكهم (3).
{أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ} يقول: أم يظن هؤلاء المشركون بالله أنا لا نسمع ما أخفوا عن الناس من منطقتهم، وتشاوروا بينهم وتاجوا به دون غيرهم، فلا نعاقبهم عليه لخفائه علينا (4).

ثالثاً: سبب نزول الآية:

﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَىٰ وَرُسُلْنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ﴾ (الزخرف: 80).
"نزلت في ثلاثة نفر كانوا بين الكعبة وأسنارها، فقال أحدهم: أنزروا أن الله يسمع كلامنا؟ وقال الثاني: إذا جهرتهم سمع، وإذا أسررتهم لم يسمع. وقال الثالث: إن كان يسمع إذا أعلنتم، فهو يسمع إذا أسررتهم" (5).

1- الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (16 / 118).

2- تيسير الكريم الرحمن، للسعدي (ص: 770)، الجواهر الحسان في تفسير القرآن (5 / 191)، أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي (المتوفى: 875هـ)، تحقيق: الشيخ محمد علي معوض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود، دار إحياء التراث العربي، بيروت الطبعة: الأولى، 1418 هـ.

3- انظر: أوضح التفاسير، لابن الخطيب (1 / 607).

4- جامع البيان، للطبري (21 / 647).

5- الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (16 / 119).

رابعاً: معاني المفردات:

{أم أبرموا أمراً} أحكموا الأمر في المكر بمحمد عليه السلام {فإننا مبرمون} مُحكمون أمراً في مجازاتهم⁽¹⁾،

والإبرام: أن تجمع خيطين ثم تفتلها فتلا متقنا⁽²⁾.

فان الكفار عقدوا العزم على الكيد بمحمد (ﷺ) ، وخططوا لقتله والقضاء عليه.

"أَمْ يَحْسَبُونَ يَعْنِي: بل يظنون. ويقال: أَيْظنون"⁽³⁾.

{أَنَا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ} فيما يدور بينهم {وَنَجْوَاهُمْ} خلوتهم حول الكعبة⁽⁴⁾.

خامساً: البلاغة:

الطباق {أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ} لأن المراد سرهم وعلانيتهم⁽⁵⁾.

سادساً: اللطائف البيانية:

- "لَقَدْ جِئْنَاكُمْ بِالْحَقِّ" في الدنيا بإرسال الرسل وإنزال الكتب، وهو خطابٌ توبيخٍ وتقريعٍ من جهة الله تعالى مقررٌ لجواب مالكٍ ومبينٌ لسبب مكثهم⁽⁶⁾.

سابعاً: ما يستفاد من الآيات:

- 1- إن سبب عقاب الكفار أن الله تعالى جاءهم بالحق فلم يقبلوا به، وكلهم صد عن دعوة محمد (ﷺ) ومن القرآن، شديد البغض لقبول الدين الحق، وهو الإسلام ودين الله تعالى⁽⁷⁾.
- 2- الذين يحاربون الحق لا يجهلون في الغالب أنه الحق، ولكنهم يكرهونه، لأنه يصادم أهواءهم، ويقف في طريق شهواتهم، وهم أضعف من أن يغالبوا أهواءهم وشهواتهم ولكنهم أجراً على الحق وعلى دعائه⁽⁸⁾.

- 3- أحبط الله كل مؤامرات الكفار ومكرهم على النبي محمد (ﷺ) لأن المكر السيئ لا يحيق إلا بأهله، ولأن الله عاصم نبيه من الناس⁽⁹⁾.

¹- الوجيز، للواحي (ص: 979).

²- انظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (5/ 65).

³- بحر العلوم ، للسمرقندي(3/ 265).

⁴- انظر: تنوير المقباس من تفسير ابن عباس (ص: 416) ، لعبد الله بن عباس - رضي الله عنهما ، (المتوفى: 68هـ) جمعه: الفيروز آبادي (المتوفى: 817هـ) ، دار الكتب العلمية ، لبنان.

⁵- صفوة التفسير، للصابوني (3/ 156).

⁶- إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، لأبي السعود (8/ 55).

⁷- انظر: التفسير المنير، للزحيلي (25/ 192).

⁸- في ظلال القرآن، لسيد قطب (5/ 3203,3202).

⁹- انظر: التفسير المنير، للزحيلي (25/ 192).

4- أن إصرار الكفار على الباطل في وجه الحق، ينبغي أن يقابل بالأمر الجازم من أهل الحق وإرادته، بتمكين هذا الحق وتثبيتته، وتدبيرهم ومكرهم في الظلام ، يقابله علم الله بالسر والنجوى، والعاقبة معروفة حين يقف الخلق الضعاف القاصرون، أمام الخالق العزيز العليم⁽¹⁾.

5- " يخطئ الناس وبخاصة الكفار حين يظنون، أو يشكون ولو لحظة واحدة ، أن الله تعالى لا يسمع سرهم ونجواهم " ⁽²⁾، ومما يؤكد ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾، [آل عمران: 5].

¹ - انظر: في ظلال القرآن، لسيد قطب (5/ 3203).

² - التفسير المنير، للزحيلي (25/ 193).

المبحث الرابع

المقاصد والأهداف لسورة الزخرف الآيات (81-89)

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: بطلان نسبة الولد لله تعالى.

المطلب الثاني: الشفاعة لله وحده.

المطلب الثالث: مشروعية التلطف في الخطاب مع المخاطب.

المطلب الرابع: مشروعية الصفح الجميل.

المطلب الأول: بطلان نسبة الولد لله تعالى

قال الله تعالى: ﴿ قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ * سُبْحَانَ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ * فَذَرَهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ * وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ * وَتَبَارَكَ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ (الزحرف: 81-85).

على الرغم من تهديد الكفار بعذاب النار، فإنهم بقوا على شركهم و نسبوا الولد لله تعالى، فنفى الله -تعالى- ذلك عن نفسه نفيًا باتًا، وأوضح أنه المعبود بحق، وأنه الحكيم في صنعه، العليم بكل شيء، ومالك السماوات والأرض، وهو إله السماء وإله الأرض⁽¹⁾.

أولاً: المناسبة:

"بعد بيان أحوال المجرمين الكفار في الآخرة، أردفه تعالى ببيان استحالة نسبة الولد والشريك له، وأنه المعبود بحق في السماء والأرض، وأنه الحكيم في صنعه العليم بكل شيء، وأن الله سبحانه مالك السموات والأرض ومالك كل شيء في الكون"⁽²⁾.

ثانياً: المعنى العام:

ذكر الإمام الطبري -رحمة الله - عدة آراء في معنى قوله تعالى: ﴿ قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ ﴾، فقال بعضهم: في معنى ذلك:

1- قل يا محمد، إن كان للرحمن ولد في قولكم وزعمكم أيها المشركون، فأنا أول المؤمنين بالله في تكذيبكم، و أول الجاحدين بما قلتم من أن له ولداً.

2- قال آخرون: بل معنى ذلك : قل ما كان للرحمن ولد، فأنا أول العابدين له بذلك.

3- قال آخرون: معنى ذلك النفي، ومعنى إن "الجحد"، وتأويل ذلك ما كان ذلك، ولا ينبغي أن يكون لله من ولد.

4- قال آخرون: معنى "إن" في هذا الموضع جاءت بالمعنى المجازي، قالوا: وتأويل الكلام: لو كان للرحمن ولد، كنت أول من عبده بذلك⁽³⁾.

ويرى الباحث: والذي تميل إليه النفس من خلال الآراء السابقة، أن الآراء الثلاثة الأولى: تحتل المعنى المراد منه، فجميعها تنفي نسبة الولد لله تعالى، وأما الرأي الرابع، فأرى أن أصحابه قد جانبوا

¹- انظر: التفسير الوسيط ، للزحيلي (3 / 2375).

²- التفسير المنير، للزحيلي (25 / 195).

³- انظر: باختصار، جامع البيان، للطبري (21 / 648-649).

الصواب، وذلك أن الله أراد بمعناه: قل يا محمد لمشركي قومك الزاعمين أن الملائكة بناتُ الله: إن كان للرحمن ولد فأنا أول عابديه بذلك منكم ، ولكنه لا ولد له، فأنا أعبده بأنه لا ولد له، ولا ينبغي أن يكون له، فإن الكلام لم يكن على وجه الشكِّ، ولكن على وجه الإلطاف من الكلام وحسن الخطاب، {سُبْحَانَ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ} من الشريك والظهير، والولد، وغير ذلك، مما نسبه إليه المشركون، فذر يا محمد هؤلاء المفتريين على الله، يخوضوا في باطلهم، في دنياهم (حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ) [الزخرف:83]، وذلك يوم يصليهم الله في جهنم بافترائهم على الله⁽¹⁾.

وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌ، وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ أَي هو الله المعبود بحق في السماء، والمعبود بحق في الأرض، فلا يستحق العبادة سواه، ويستحيل عليه المكان؛ لأنه يكون محدوداً محصوراً في جهة معينة، فتبارك الذي له سلطان السموات السبع والأرض، وما بينهما من الأشياء كلها، (وَعِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ) وعنده علم الساعة التي تقوم فيها القيامة، ويحشر فيها الخلق من قبورهم لموقف الحساب (وَالِيهِ تُرْجَعُونَ) وإليه أيها الناس، تردون من بعد مماتكم، فتصيرون إليه، فيجازي المحسن بإحسانه، والمسيء بإساءته⁽²⁾.

ثالثاً: معاني المفردات:

"سبحان رب السموات: أي تنزهه وتقدس.

عما يصفون: أي عما يصفون به الله تعالى من أن له ولداً وشركاء.

فذرهم يخوضوا ويلعبوا: أي اتركهم يا رسولنا يخوضوا في باطلهم ويلعبوا في دنياهم.

وهو الذي في السماء إله: أي معبود في السماء.

وفي الأرض إله: أي ومعبود في الأرض"⁽³⁾.

{وَتَبَارَكَ} تقدس وتعالى الله⁽⁴⁾.

يُؤْفَكُونَ أَفْكَ يَأْفَكُ بمعنى الكذب، أي: يكذبون⁽⁵⁾.

¹ - انظر: جامع البيان، للطبري (21 / 651)، التحرير والتنوير، لابن عاشور (25 / 264)، تيسير الكريم

الرحمن، للسعدي (ص: 770)، جامع البيان، للطبري (21 / 652).

² - انظر: التفسير المنير، للزحيلي (25 / 196)، جامع البيان، للطبري (21 / 653).

³ - أيسر التفاسير، للجزائري (4 / 658).

⁴ - أوضح التفاسير، لابن الخطيب (1 / 607).

⁵ - انظر: التفسير الواضح، للحجازي (3 / 407).

رابعاً: اللطائف البيانية:

إلهة : خبراً لمبتدأ محذوفٍ على أنّ الجملة بيانٌ للصلة وأنّ كونه في السماء على سبيلٍ إلهية، لا على سبيلٍ الاستقرارِ وفيه نفيُ الآلهة السماوية والأرضية وتخصيصٌ لاستحقاقِ الإلهية به تعالى وقوله تعالى : {وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ} كالدليلِ على ما قبله⁽¹⁾.

خامساً: ما يستفاد من الآيات:

- 1- أن خلق عيسى ابن مريم من غير أب ليس بأفضل من خلق الأنبياء: كمحمد ، وإبراهيم صلوات الله عليهم ، وإنما يدل ذلك على أنّ المسيح آيةٌ من آيات الله⁽²⁾، وقد قال تعالى: {رُوحَنَا هَا وَابْنَهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ}، [الأنبياء: 91].
- 2- نفي الألوهية عن عيسى عليه السلام، وأنه مخلوق كسائر المخلوقات، وإبطال زعم النصارى
- 3- الحكم بالكفر على من ادعى ألوهية عيسى -عليه السلام- كما جاء في قوله تعالى: {لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ ...}، {المائدة: 17}.
- 4- التهديد والوعيد للمشركين بالعذاب يوم القيامة، وذلك بسبب غفلتهم عن ذكر الله، وانشغالهم باللعب واللهو.
- 5- أن علم الساعة من الغيبات التي استأثر الله تعالى بها لنفسه، ولم يطلع أحداً من خلقه بمجيء وقتها.
- 6- إعطاء المهلة للكافرين بتأخير العقاب لهم هي لحكمة أرادها الله عز وجل.

¹- إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، لأبي السعود (8/ 57).

²- انظر: تحقيق القول في مسألة: عيسى كلمة الله والقرآن كلام الله (ص: 38)، لتقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: 72هـ)، تحقيق: قسم التحقيق بدار النشر، دار الصحابة للتراث، طنطا، مصر.

المطلب الثاني: الشفاعة لله وحده

قال الله تعالى: ﴿ وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ (الزخرف:86).

أولاً: سبب النزول:

رُوِيَ أَنَّ النَّضْرَ بْنَ الْحَرِثِ وَنَفَرًا مَعَهُ قَالُوا إِنَّ كَانَ مَا يَقُولُ مُحَمَّدٌ حَقًّا فَنَحْنُ نَتَوَلَّى الْمَلَائِكَةَ فَهُمْ أَحَقُّ بِالشَّفَاعَةِ مِنْ مُحَمَّدٍ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ هَذِهِ الْآيَةَ⁽¹⁾.

ثانياً: المناسبة:

لَمَّا أَنْبَأَهُمْ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَنْ لِيهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ أَعْلَمَهُمْ أَنَّ مَا يَعْبُدُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَقْدِرُ عَلَى أَنْ يَشْفَعَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا إِنْطِلَاقًا لِزَعْمِهِمْ أَنَّهُمْ شَفَعَاؤُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ ، إِلَّا مِنْ أَقْرَبِ الْحَقِّ وَاعْتَرَفَ بِتَوْحِيدِهِ وَهُمْ مَعَ إِقْرَارِهِمْ وَاعْتِرَافِهِمْ يَعْلَمُونَ وَيُنْكَشِفُونَ بوحدة ذاته وكمالات أسمائه وصفاته⁽²⁾.

ثالثاً: المعنى العام:

يكشف الله تعالى عظيم قدرته، فاضحاً بذلك عبدة الأصنام بقوله: (وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ) أي: ليس بمقدور الأصنام والأوثان التي يعبدونها الشفاعة لهم كما زعموا أنهم شفعاء عند ربهم، (إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ) أي: نطق بلسانه، مقرا بقلبه، عالما بما شهد به، ويشترط أن تكون شهادته بالحق، هي الشهادة لله تعالى بالوحدانية، ولرسله بالنبوة والرسالة، وصحة ما جاءوا به، من أصول الدين وفروعه، وحقائقه وشرائعه، فهؤلاء الذين تنفع فيهم شفاعة الشافعين، وهؤلاء الناجون من عذاب الله، الحائزون لثوابه⁽³⁾.

رابعاً: معاني المفردات:

"الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ" أي: الملائكة وعيسى وعُزَيْر، أو الملائكة⁽⁴⁾.
{وَلَا يَمْلِكُ الشَّفَاعَةَ} أي: لا يقدر على الشفاعة لهم⁽⁵⁾، فان المالك هو الذي يملك حق التصرف في الشيء، وليس غيره.

¹ - مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (27 / 648).

² - انظر: التحرير والتنوير، لابن عاشور (25 / 270)، الفواتح الإلهية والمفاتيح الغيبية، نعمة الله النخجواني، (2 / 306).

³ - انظر: تفسير المراغي (25 / 115)، تيسير الكريم الرحمن، للسعدي (ص: 771).

⁴ - تفسير القرآن، للعز بن عبد السلام (3 / 163).

⁵ - تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (7 / 243).

{إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ} أي: شهد شهادة التوحيد، فقال: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ⁽¹⁾.
{وَهُمْ يَعْلَمُونَ} أي: بقلوبهم صدق ما قالوه بالسنتهم⁽²⁾.

خامساً: البلاغة:

قصر في هذه الآية الشفاعة على الشاهدين بالحق، وهي: من باب قصر الصفة على الموصوف.

سادساً: ما يستفاد من الآيات:

1- لا يملك الشفاعة يوم القيامة أحدٌ إلا الله تعالى فمن أذن له شفع، ومن لم يأذن له لا يشفع، ولا يشفع إلا لأهل التوحيد خاصة، أما أهل الشرك والكفر فلا شفاعة لهم⁽³⁾.

2- من آمن وشهد بالحق على بصيرة ويقين بأن الله واحد أحد لا شريك له، فإن شفاعته مقبولة بإذن الله⁽⁴⁾.

3- "دلّ قوله تعالى: {إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ} على أمرين:

الأول- أن الشفاعة بالحق غير نافعة إلا مع العلم، وأن التقليد لا يغني مع عدم العلم بصحة المقالة.
الثاني- أن شرط سائر الشهادات في الحقوق وغيرها أن يكون الشاهد عالماً بها⁽⁵⁾.

¹- انظر: تفسير الجلالين، جلال الدين السيوطي، جلال الدين المحلي (ص: 656).

²- أوضح التفاسير، لابن الخطيب (1/ 607).

³- أيسر التفاسير، للجزائري (4/ 661).

⁴- انظر: التفسير المنير، للزحيلي (25/ 197).

⁵- التفسير المنير، للزحيلي (25/ 200).

المطلب الثالث: مشروعية التلطف في الخطاب مع المخاطب:

قال الله تعالى: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ * وَقِيلَ يَا رَبِّ إِنَّ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ (الزخرف: 87-88).
أولاً: المناسبة:

بعد أن بين - سبحانه وتعالى - أنَّ الآلهة المعبودة من دونه ليس لها أيُّ نفعٍ كالشفاعة في الآخرة، ذكر في هذه الآيات بأن المشركين متناقضون حين يقرون بأن الخالق للكون هو الله، ثم يعبدون معه غيره، وأن حسابهم آت يوم القيامة الذي لا يعلم بميقاته أحد غير الله تعالى⁽¹⁾.

ثانياً: المعنى العام:

بين الله تعالى طبيعة النفس البشرية الكافرة، وهو سبحانه أعلم بحالهم، بقوله: لئن سألت هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ الْعَابِدِينَ لِأَصْنَامٍ مَنْ خَلَقَهُمْ أَقْرُوا وَاعْتَرَفُوا بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ خَالِقُهُمْ، وَلَا يَقْدِرُونَ عَلَى الْإِنْكَارِ، وَلَا يَسْتَطِيعُونَ الْجُحُودَ، (فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ) فكيف ينقلون عن عبادة الله إلى عبادة غيره، وينصرفون عنها مع هذا الإعتزاف⁽²⁾.

(وقيله يا رب إن هَؤُلَاءِ قَوْمٌ لَا يُؤْمِنُونَ) قوله لربه شاكياً قومه الذين كذبوه ولقى منهم شديد الأذى: يا رب إن هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَمَرْتَنِي بِإِنْذَارِهِمْ وَأَرْسَلْتَنِي إِلَيْهِمْ لِتَبْلِيغِهِمْ دِينَكَ الْحَقَّ - قوم لا يؤمنون⁽³⁾.

ثالثاً: معاني المفردات:

"لَيُؤْفَكُونَ" { يُؤْفَكُونَ وَيُصْرَفُونَ، أَفْكَهُ أَفْكَاً أَي قَلْبَهُ وَصَرْفَهُ عَنِ الشَّيْءِ " (4).
"وقيله أي قول محمد - صلوات الله عليه - شاكياً إلى ربه - تبارك وتعالى - قومه الذين كذبوه وما يلقي منهم" (5).

رابعاً: البلاغة:

- يَا رَبِّ إِنَّ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ لَا يُؤْمِنُونَ: التَّجَاؤُ إِلَى اللَّهِ فِيهِمْ وَتَفْوِيضًا إِلَيْهِ لِيَجْرِيَ حُكْمُهُ عَلَيْهِمْ، وَهَذَا مِنْ اسْتِعْمَالِ الْخَبَرِ فِي التَّحْسُرِ (6).

¹ - انظر باختصار: التفسير المنير، للزحيلي (195 / 25).

² - انظر: فتح القدير، للشوكاني (4 / 650,649).

³ - تفسير المراعي (116 / 25).

⁴ - صفوة التفاسير، للصابوني (152 / 3).

⁵ - انظر: محاسن التأويل، للقاسمي (8 / 404).

⁶ - التحرير والتنوير، لابن عاشور (272 / 25).

- وَلَيْنُ سَأَلْتَهُمْ: أسلوب استفهام غرضه البلاغي: التقرير والإقرار.
- فَأَنْتَى يُؤْفَكُونَ: أسلوب استفهام غرضه البلاغي الإنكار والتعجيب.

خامساً: القراءات:

قَرَأَ عَاصِمٌ وَحَمْرَةَ {وقيله يا رب} بِكَسْرِ اللَّامِ عَلَى مَعْنَى {وَعِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ} وَعَلِمَ قَبِيلَهُ، أَيْ مِضَافَةً.
وَقَرَأَ الْبَاقُونَ بِالنَّصْبِ، مَعْطُوفَةٌ عَلَى قَوْلِهِ {أَمْ يَحْسِبُونَ أَنَا لَا نَسْمَعُ سُرَهُمْ} وَقَبِيلَهُ أَيْ وَنَسْمَعُ قَبِيلَهُ، قَالَ
الرَّجَاجُ الَّذِي اخْتَارَهُ أَنَا أَنْ يَكُونَ نَصَبًا عَلَى مَعْنَى {وَعِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ} وَيَعْلَمُ قَبِيلَهُ فَيَكُونُ الْمَعْنَى أَنَّهُ
يَعْلَمُ الْغَيْبَ وَيَعْلَمُ قَبِيلَهُ (1).

سادساً: ما يستفاد من الآيات:

1- المشركون قوم متناقضون كما ثبت في أول السورة وآخرها، فلما اعتقدوا وعلموا أن خالق العالم
وخالق الحيوانات هو الله تعالى، فكيف أقدموا مع هذا الاعتقاد على عبادة أجسام خسيصة وأصنام
جامدة لا تضر ولا تنفع؟ والواقع أنهم يكذبون على الله حين يقولون: إن الله أمرنا بعبادة الأصنام،
فقوله تعالى: (فَأَنْتَى يُؤْفَكُونَ) دلّ على أن إفكهم ليس منهم، بل من غيرهم لأن الفعل مبني
للمجهول وليس للمعلوم (2).

2- مشركو العرب على عهد النبوة موحدون في الربوبية مشركون في العبادة (3)، فحينما كانوا يسألون
عن خلقهم، كان يعترفون بالله عز وجل، ولكنهم كانوا يصرفون عن عبادة الله الواحد القهار.

1- انظر: حجة القراءات، لابن زنجلة (ص: 655-656).

2- انظر: التفسير المنير، للزحيلي (25 / 200).

3- أيسر التفاسير، للجزائري (4 / 661).

المطلب الرابع: مشروعية الصفح الجميل

قال الله تعالى: ﴿فَاصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَامٌ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ (الزخرف: 89).

أولاً: المناسبة:

عندما تضجر النبي (ﷺ) من قومه لإصرارهم على الكفر ولجا إلى ربه يشكو إليه فأجاب الله دعوة نبيه - في رعاية- بتوجيهه (ﷺ) إلى الصفح والإعراض، وعدم الاحتفال والمبالاة، والشعور بالطمأنينة، ومواجهة الأمر بالسلام في القلب والسماحة والرضاء، وذلك مع التحذير الملفوف للمعرضين المعاندين، مما ينتظرهم يوم ينكشف المستور، قال تعالى: «فَاصْفَحْ عَنْهُمْ، وَقُلْ سَلَامٌ. فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ».. (1).

ثانياً: المعنى العام:

{فَاصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَامٌ} أي: لا تجاوب المشركين وتركن اليهم بمثل ما يخاطبونك به من الكلام السيئ، ولكن تألفهم واصفح عنهم فعلا وقولاً، {فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ} أي: فسوف يعلمون عاقبة إجرامهم وتكذيبهم على الله، وهو وعدٌ وتهديد للمشركين، وتسليية لرسول الله (ﷺ) (2).

ثالثاً: معاني المفردات:

"{فَاصْفَحْ عَنْهُمْ}: فأعرض عن دعوتهم" (3).

{سَلَامٌ}: أي سلام متاركة لكم بسلامتكم مني وسلامتي منكم، والبراءة من أقوالكم (4).

رابعاً: البلاغة:

- التفات من الخطاب إلى الغيبة: والخطاب في قوله: وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ، أمّا الغيبة في قوله: فَاصْفَحْ عَنْهُمْ، فجعل الرسول بمنزلة الغائب لإظهار أن الله لا يهمل نداءه وشكواه (5).

خامساً: القراءات:

قَرَأَ نَافِعٌ وَابْنُ عَامِرٍ {فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ} بِالتَّاءِ عَلَى الْخَطَابِ، وَقَرَأَ الْبَاقُونَ بِالْيَاءِ إِخْبَارًا عَنِ غَائِبِينَ وَحَجَّتَهُمْ قَوْلُهُ: {فَاصْفَحْ عَنْهُمْ} (6).

1- انظر: في ظلال القرآن، لسيد قطب (5/ 3204).

2- انظر: تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (7/ 244)، صفوة التفاسير، للصابوني (3/ 155).

3- أوضح التفاسير (1/ 608).

4- انظر: تفسير المراغي (25/ 113).

5- انظر: التحرير والتنوير، لابن عاشور (25/ 272).

6- حجة القراءات، لابن زنجلة (ص: 656).

سادساً: ما يستفاد من الآيات:

- 1- مشروعية الصفح والتجاوز عند العجز عن إقامة الحدود وإعلاء كلمة الله تعالى⁽¹⁾.
- 2- الصفح والتجاوز عند العجز يجب أن يكون مشروطاً، بعدم التنازل عن العقيدة أو التفريط في الثوابت، وان يكون مؤقتاً غير مؤبداً حتى تقوى شوكة المسلمين.
- 3- أن شكوى النبي (ﷺ) قومه إلى ربه بأنهم لا يؤمنون بالله وحده لا شريك له، ولا برسالته ولا بالقرآن المنزل عليه، صدرت منه (ﷺ) بعد أن استخدم جميع الوسائل المشروعة لهدايتهم، فلم يستجيبوا له، فضجر منهم، وعرف إصرارهم على الكفر⁽²⁾.

¹- أيسر التفاسير، للجزائري (4/ 661).

²- انظر: التفسير المنير، للزحيلي (25/ 200).

المبحث الخامس

المقاصد والأهداف لسورة الدخان الآيات (1-8)

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: بيان فضل ليلة القدر.

المطلب الثاني: الإيمان بالقضاء والقدر وإثبات اللوح المحفوظ.

المطلب الثالث: إرسال الرسل رحمة للعباد.

المطلب الرابع: الموت والحياة بيد الله تعالى.

المطلب الأول: بيان فضل ليلة القدر

قال الله تعالى: ﴿حَم * وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ * إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ﴾ (الدخان: 1-3).

أقسم الله تعالى في بداية السورة بكتابه الكريم والذي وصفه بالمبين وذلك لما فيه من صلاح للبشر ونفع للإنسان في أمور حياتهم سواء في دنياهم أو في آخرتهم، وبين أن الهدف من إنزال القرآن في ليلة القدر هو إنذار العباد وتخويفهم من عقابه.

أولاً: المعنى العام:

اقسم الله - عز وجل - بالقران الكريم مبيناً انه نزل في ليلة القدر، فقال تعالى: (حم وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ)، يعني: الكتاب أنزلناه في ليلة القدر، وسميت مباركة لما فيها من البركة، والمغفرة للمؤمنين، وذلك أن القرآن نزل على مراحل متعددة، فأُنزل جملة واحدة من اللوح المحفوظ، إلى السماء الدنيا في ليلة القدر إلى السفارة، ثم أنزله جبريل متفرقاً إلى رسول الله (ﷺ) حسب الحوادث والتشريعات، ويقال: كان ينزل من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا في ليلة القدر، مقدار ما ينزل به جبريل - عليه السلام -، متفرقاً إلى السنة الثانية، (إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ) أي: إنا كنا معلمين الناس ما ينفعهم فيعملون به، وما يضرهم فيجتنبوه، لتقوم حجة الله على عباده⁽¹⁾.

ثانياً: معاني المفردات:

"حم: الحروف المقطعة للدلالة على إعجاز القرآن، والتنبية على خطورة ما يلقي من أحكام في هذه السورة"⁽²⁾. وقيل فواتح السور: من المتشابهات التي استأثر الله تعالى بعلمه. والذي تميل إليه النفس: أن فواتح السور هي من الحروف التي لا يعلم تأويلها وتفسيرها إلا الله سبحانه وتعالى.

المُبين: صاحب البيان الواضح، وهو كل ما يحتاج إليه الإنسان في أمور دينه ودنياه⁽³⁾.
فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ: وصفت بالمباركة لكثرة الخير والبركة، وهي ليلة القدر: التي هي خير من ألف شهر⁽⁴⁾.

"إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ: مَخَوِّفِينَ بِهِ"⁽⁵⁾.

¹ - انظر: بحر العلوم، للسمرقندي (267 / 3)، تفسير المراغي (120 / 25).

² - التفسير المنير، للزحيلي (205 / 25).

³ - انظر: التفسير الواضح، للحجازي (411 / 3).

⁴ - انظر: تيسير الكريم الرحمن، للسعدي (ص: 771).

⁵ - تفسير الجلالين، جلال الدين السيوطي، جلال الدين المحلي (ص: 656).

ثالثاً: البلاغة:

- تَعْرِيفُ الْكِتَابِ تَعْرِيفُ الْعَهْدِ، وَتَنْكِيرُ لَيْلَةِ اللَّعْظِيمِ، وَوَصْفُهَا بِالْمُبَارَكَةِ تَنْوِيهٌ بِهَا وَتَشْوِيقٌ لِمَعْرِفَتِهَا، وَجُمْلَةُ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ مُعْتَرِضَةً، (1). والاعتراض نوع من أنواع الإطناب: ويعني الزيادة باللفظ لفائدة، وفيها إيجاز بالحذف والمقصود: إنا منذرين المخاطبين به.
- القسم بالقرآن: تنويه بشأنه وتعظيم له .
- انزُلْنَاهُ : كناية عن القرآن الكريم.
- لَيْلَةَ مُبَارَكَةٍ: كناية عن ليلة القدر.

رابعاً: ما يستفاد من الآيات:

عَظَّمَ اللهُ تَعَالَى الْقُرْآنَ فِي هَذِهِ الْآيَاتِ بِأُمُورٍ هِيَ:

- 1- أَقْسَمَ بِهِ، وَاللَّهُ لَا يَقْسَمُ إِلَّا بِشَيْءٍ عَظِيمٍ، وَاللَّهُ أَنْ يَقْسَمَ بِمَا يَشَاءُ عَلَى مَا يَشَاءُ، كَيْفَمَا يَشَاءُ، فِي أَيِّ وَقْتٍ شَاءَ.
- 2- وَصَفَ اللهُ الْقُرْآنَ بِكَوْنِهِ كِتَابًا مُبِينًا، فَلَا تَكَادُ تَخْلُو سُورَةَ مِنْ سُورِ الْقُرْآنِ إِلَّا وَفِيهَا مِنَ الْبَيَانِ.
- 3- الْغَايَةُ مِنَ الْقُرْآنِ إِذْ بَارَأَ الْبَشَرَ وَتَخَوَّفَهُمْ بِالْعَذَابِ، لِصَلَاحِ حَالِهِمْ فِي الدُّنْيَا، وَسَعَادَتِهِمْ فِي الْآخِرَةِ (2).
- 4- بَيَانَ فَضْلِ لَيْلَةِ الْقَدْرِ وَعَظَمِ شَأْنِهَا عِنْدَ اللهِ، وَأَنَّهَا خَيْرٌ مِنْ عِبَادَةِ أَلْفِ شَهْرٍ حَيْثُ أُنْزِلَ فِيهَا الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لَوْ مَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ (2) لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ (3)﴾ [القدر: 2، 3].

¹- انظر باختصار: التحرير والتنوير، لابن عاشور (25/ 277-279).

²- انظر: التفسير المنير، للزحيلي (25/ 209).

المطلب الثاني: الإيمان بالقضاء والقدر وإثبات اللوح المحفوظ

قال الله تعالى: ﴿ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴾ (الدخان:4).

أولاً: المناسبة:

بعد أن أقسم الله- سبحانه وتعالى- بكتابه الكريم المبين، وأنه أنزل القرآن في ليلة القدر لإنذار العباد وتخويفهم من عقابه، بين أن هذه الليلة يفرق فيها كل أمر حكيم، فيتنزل فيها التشريع النافع للعباد في دنياهم وآخرتهم، وبين سبحانه أن ما يقضيه من أمور محكمة لا تغيير فيها ولا تبديل، وأن هذا التشريع إنما هو من لدن حكيم عليم، بما يصلح شؤون عباده في معاشهم ومعادهم.

ثانياً: المعنى العام:

صور الله عز وجل مشهداً عظيماً في هذه الليلة المباركة بقوله تعالى: ﴿ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴾ أي: في ليلة القدر يفصل ويبيّن كل أمر محكم من أرزاق العباد وآجالهم وسائر أحوالهم فلا يُبدّل ولا يُغيّر...

"قال المفسرون: إن الله تعالى ينسخ من اللوح المحفوظ في ليلة القدر، ما يكون في تلك السنة من أرزاق العباد وآجالهم وجميع أمورهم من خير وشر، وصالح وطالح، حتى إن الرجل ليمشي في الأسواق وينكح ويولد له وقد وقع اسمه في الموتى"⁽¹⁾.

ثالثاً: معاني المفردات:

"يُفْرَقُ" يُفَصِّلُ"⁽²⁾.

"كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ" الأرزاق والآجال والسعادة والشقاوة من السنة إلى السنة"⁽³⁾.

رابعاً: البلاغة:

- كَلِمَةُ (كُلُّ) يَجُوزُ أَنْ تَكُونَ مُسْتَعْمَلَةً فِي حَقِيقَةٍ مَعْنَاهَا مِنَ الشُّمُولِ وَقَدْ عَلِمَ اللَّهُ مَا هِيَ الْأُمُورُ الْحَكِيمَةُ فَجَمَعَهَا لِلْقَضَاءِ بِهَا فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ ، وَيَجُوزُ أَنْ تَكُونَ كُلُّ مُسْتَعْمَلَةً فِي مَعْنَى الْكَثْرَةِ، وَهُوَ اسْتِعْمَالٌ فِي كَلَامِ اللَّهِ تَعَالَى وَكَلَامِ الْعَرَبِ.
- " يُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ اسْتِعْمَالُ الْمُضَارِعِ فِي يُفْرَقُ لِاسْتِحْضَارِ تِلْكَ الْحَالَةِ الْعَظِيمَةِ"⁽⁴⁾.
- حكيم : صيغة مبالغة على وزن فعيل .

¹- انظر: صفوة التفاسير، للصابوني (3/ 159).

²- تفسير البغوي (7/ 227).

³- تفسير القرآن، للعز بن عبد السلام (3/ 165).

⁴- انظر: التحرير والتتوير، لابن عاشور (25/ 280).

خامساً: ما يستفاد من الآيات:

- 1- وصف الله ليلة إنزال القرآن بليلة القدر، لان الله تعالى يقدر فيها الآجال والأرزاق والسعادة والشقاوة للإنسان.
- 2- تقرير عقيدة القضاء والقدر، وإثبات اللوح المحفوظ، فهما من اصول العقيدة الراسخة يجب الإيمان بهما إيماناً وتسليماً مطلقاً، ليس فيه شك أو ريب⁽¹⁾.
- 3- أن الله حكيم عليم بما يصلح شئون عباده في معاشهم ومعادهم.
- 4- أن ما يقضيه الله تعالى في هذه الليلة من أمور، لا تغيير فيها ولا تبديل.
- 5- فضل ليلة القدر عند الله تعالى، فهي تعدل عبادة ثلاث وثمانين عاماً ، ففيها زيادة أجر وثواب، وهي طمأنينة وسلام لمن شهدها ونال أجرها.

¹ - أيسر التفاسير، للجزائري (8 / 5).

المطلب الثالث: إرسال الرسل رحمة للعباد

قال الله تعالى: ﴿ أَمْرًا مِّنْ عِنْدِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ * رَحْمَةً مِّنْ رَبِّكَ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ (الدخان:5-6).

أولاً: المناسبة:

بعد أن بين الله الغاية من إنزال القرآن الكريم وبعد تقرير عقيدة القضاء والقدر، بين - سبحانه - السر في نزول القرآن على لسان رسوله فقال: (إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ * رَحْمَةً مِّنْ رَبِّكَ) وأنه إنما فعل ذلك رحمة بعباده المؤمنين، ثم أكد ربوبيته بقوله: (إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ).

ثانياً: المعنى العام:

وضح تعالى أن جميع ما يصدر من أعمال في ليلة القدر، هو بعلم الله - تعالى - فلا يخفى عليه شيء، ولا يحدث إلا بعلمه فقال - جل شأنه - : (أَمْرًا مِّنْ عِنْدِنَا) أي : جميع ما نقدره في تلك الليلة وما نوحى به إلى الملائكة من شئون العباد، هو أمرٌ بعلمنا وتدبيرنا ، {إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ} أي نرسل الأنبياء إلى البشر بالشرائع الإلهية لهدايتهم وإرشادهم إلى الحق، وما نرسل بهم الا (رَحْمَةً مِّنْ رَبِّكَ) أي: إنا أرسلنا الرسل رحمة منا لعبادنا حتى يستبين لهم ما يضرهم وما ينفعهم وحتى لا يكون لهم حجة بعد إرسال الرسول إليهم، (إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ) أي: أنه فعل تلك الرحمة، لأنه هو العليم بما يصلح أحوالهم، فلا عجب أن أرسله إليهم لحاجتهم إليه⁽¹⁾.

ثالثاً: معاني المفردات:

{أَمْرًا}: فَرْقًا ، {مُرْسِلِينَ}: الرُّسُلُ مُحَمَّدًا وَمَنْ قَبْلَهُ⁽²⁾.

"رَحْمَةً مِّنْ رَبِّكَ": رَأْفَةٌ بِالْمُرْسَلِ إِلَيْهِمْ⁽³⁾.

{إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ}: سَمِيعٌ لِأَقْوَالِهِمْ ، {الْعَلِيمُ}: عَلِيمٌ بِأَفْعَالِهِمْ⁽⁴⁾.

رابعاً: البلاغة:

- السميع العليم : صيغة مبالغة على وزن فعيل.

- "إِعَادَةُ كَلِمَةِ أَمْرًا لِنَفْخِيمِ شَأْنِهِ"⁽⁵⁾.

¹ - انظر: صفوة التفاسير، للصابوني (3/ 159)، تفسير المراعي (25/ 120).

² - تفسير الجلالين، جلال الدين السيوطي، جلال الدين المحلي (ص: 657).

³ - التفسير المنير، للزحيلي (25/ 206).

⁴ - انظر: أوضح التفاسير، لابن الخطيب (1/ 608).

⁵ - التحرير والتنوير، لابن عاشور (25/ 280).

- "قَدَّمَ السَّمِيعُ لِإِلْهِتِمَامِ بِالْمَسْمُوعَاتِ لِأَنَّ أَصْلَ الْكُفْرِ هُوَ دُعَاءُ الْمُشْرِكِينَ أَصْنَامَهُمْ.
- فِي وَصْفِ السَّمِيعِ الْعَلِيمِ : تَعْرِيزُ بِالْتَهْدِيدِ"⁽¹⁾.
- مرسلين: فيها إيجاز بالحذف والمقصود إنا مرسلين الأنبياء والرسل .

خامساً: القراءات:

قَرَأَ الْجُمُهُورُ «يُفْرَقُ» بِضَمِّ الْيَاءِ وَفَتْحِ الرَّاءِ مُحَقَّقًا، وَقَرَأَ الْحَسَنُ وَالْأَعْمَشُ وَالْأَعْرَجُ بِفَتْحِ الْيَاءِ وَضَمِّ الرَّاءِ وَنَصَبِ كُلِّ أَمْرٍ وَرَفَعِ حَكِيمٍ عَلَى أَنَّهُ الْفَاعِلُ⁽²⁾.

سادساً: ما يستفاد من الآيات:

- 1- إن إنزال القرآن كان بأمر الله ومن عنده، و رحمة من الله بعباده، فيتعين الواجب عليهم أن يؤمنوا به إيماناً راسخاً، وان يتأسوا بآياته عملاً وتطبيقاً.
- 2- كان إنزال القرآن محققاً لمصالح الناس وحاجاتهم رحمة بهم، وذلك لأن الله هو السميع العليم⁽³⁾.
- 3- قدم الله تعالى السمع على العلم، ليدلل دلالة واضحة على أن علمه سبحانه وتعالى: يقتضى السمع ، فلا ينطق المرء بكلمة أو يهمس بحرف ، إلا وقد أحاط به علمه، فهو يعلم سرهم ونجواهم لقوله تعالى: (أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ وَأَنَّ اللَّهَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ)، [التوبة: 78].

¹- التحرير والتنوير، لابن عاشور (25 / 282).

²- فتح القدير، للشوكاني (4 / 653).

³- انظر: التفسير المنير، للزحيلي (25 / 209).

المطلب الرابع: الموت والحياة بيد الله تعالى

قال الله تعالى: ﴿رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنَّ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ * لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأُولِينَ﴾ (الدخان: 7-8).

أولاً: المناسبة:

بعد أن بيّن الله-تعالى- السرّ في نزول القرآن وأكد ربوبيته بقوله: (إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ) أكد العلة في سمعه للأشياء وعلمه بها فقال: (رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنَّ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ) وبعد أن أثبت ربوبيته ووحدانيته ذكر ذلك فقال: (لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ) أي هو الإله الذي لا تصلح العبادة إلا له ، ثم بيّن أنهم ليسوا بموقنين بالجواب بعد أن تبين لهم الرشد من الغي؟⁽¹⁾.

ثانياً: المعنى العام:

الله - عز وجل - يُثني على نفسه بأنه {رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا} ، أي: الذي أنزل الكتاب على محمد (ﷺ) وهو رب السماوات والأرض وما بينهما، أي: هو مالك ذلك كله ومبتدعه ومدبره، فهذه مسألة فطرية بديهية ينبغي التسليم بها {إِنَّ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ} ، أي: إن كنتم توقنون بحقيقة ما أخبرتكم به من أن ربكم رب السماوات والأرض⁽²⁾.

{لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ} أي لا ربَّ غيره، ولا معبود سواه، لأنه المتصف بصفات الجلال والكمال والعظمة والقدرة ، يُحيي الأموات، ويميت الأحياء {رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأُولِينَ} أي وهو خالقكم وخالق من سبقكم من الأمم الماضية⁽³⁾.

ثالثاً: معاني المفردات

مُوقِنِينَ أي: "عالمين بذلك علماً مفيداً لليقين"⁽⁴⁾.

رابعاً: البلاغة :

- تحريك الهمزة للإيمان والتبصر في قوله تعالى: {إِنَّ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ}⁽⁵⁾.
- طباق الإيجاب بين يحيي ويميت في قوله: {لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ}.

¹- انظر: تفسير المراغي (25/ 121).

²- الهداية إلى بلوغ النهاية ، لأبو محمد مكي بن أبي طالب (10/ 6724).

³- انظر: صفوة التفاسير ، للصابوني (3/ 159).

⁴- تيسير الكريم الرحمن ، للسعدي (ص: 772).

⁵- صفوة التفاسير ، للصابوني (3/ 166).

خامساً: ما يستفاد من الآيات:

- 1- أن الله ربّ السموات والأرض وخالقهما ومالكهما وما فيهما، وهو الواحد القهار، يحيي الأموات ويميت الأحياء، فلا يجوز أن يشرك به غيره ممن لا يقدر على خلق شيء، ومالك الناس عند نزول القرآن ... ومالك من سيوجد إلى يوم القيامة، فما على الناس إلا اتقاء تكذيب النبي محمد (ﷺ) لئلا ينزل بهم العذاب.
- 2- الحياة والموت أمران مشهودان للجميع، وأمرهما خارج عن طاقة كل مخلوق، ومشهد الموت كمشهد الحياة في كل صورة وفي كل شكل يلمس القلب البشري ويهزه ويستجيشه ويعدده للتأثر والانفعال ويهيئه للتقبل والاستجابة.
- 3- التلويح للمشركين باليقين في قوله تعالى: {إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ} إشارة إلى عقيدتهم المضطربة المزعجة المشوشة، إذ كانوا يعترفون بخلق الله للسموات والأرض، ثم يتخذون من دونه أرباباً، مما يشير بغموض هذه الحقيقة في نفوسهم وسطحياتها وبعدها عن الثبات واليقين (1).

¹ - انظر: في ظلال القرآن، لسيد قطب (5/ 3209)، مختصراً.

المبحث السادس

المقاصد والأهداف لسورة الدخان الآيات (9-16)

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: صدق الوعد واستجابة الدعاء.

المطلب الثاني: الإيمان عند معاينة العذاب لا يجدي ولا ينفع.

المطلب الثالث: كفر و جحود قريش بدعوة الإسلام.

المطلب الرابع: صدق إخبار القرآن بالغيب

المطلب الأول: صدق الوعد واستجابة الدعاء

قال الله تعالى: ﴿ بَلْ هُمْ فِي شَكِّ يَلْعَبُونَ * فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ * يَغْشى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (الدخان: 9-11).

أولاً: سبب النزول:

فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ: أخرج البخاري: عن ابن مسعود، قال: "إن قريشا لما استعصوا على النبي ﷺ، دعا عليهم بسنين كسني يوسف، فأصابهم قحط، حتى أكلوا العظام، فجعل الرجل ينظر إلى السماء، فيرى ما بينه وبينها كهيئة الدخان من الجهد، فأنزل الله: فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ فَأَتُوا رسول الله ﷺ، فقالوا: يا رسول الله، استسق الله لمضر، فإنها قد هلكت، فاستسقى، فسقوا، فنزلت" (1).

ثانياً: المناسبة:

بعد أن قرر تعالى ربوبيته وألوهيته بما يوجب العلم التام ويدفع الشك، أخبر صراحة أن الكافرين مع هذا البيان {فِي شَكِّ يَلْعَبُونَ} أي: منغمرون في الشكوك والشبهات، ثم ذكر تعالى أوصاف العذاب الذي سيحل بهم في الدنيا والآخرة، تهديداً لهم، وتسلياً لرسوله ﷺ (2).

ثالثاً: المعنى العام:

يكشف الله تعالى عن حال الكافرين وموقفهم من دعوة محمد ﷺ) والقران بقوله تعالى: (بَلْ هُمْ فِي شَكِّ يَلْعَبُونَ) أي بل هم في شك من التوحيد والبعث والإقرار بأن الله خالقهم، وما كان قولهم بذلك إلا تقليداً لأبائهم من غير علم، إذ هم قابلوه بالهزة والسخرية، {فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ} أي فانتظر يا محمد عذابهم يوم تأتي السماء بدخان كثيف، بين واضح يراه كل أحد (3).

اختلف أهل التأويل في قوله تعالى: (يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ) على عدة أقوال:

1- قال بعضهم: ذلك حين دعا رسول الله ﷺ) على قريش أن يأخذهم بسنين كسني يوسف، فأخذوا بالمجاعة.

2- "أَنَّهُ دُخَانٌ يَظْهَرُ فِي الْعَالَمِ وَهُوَ إِحْدَى عِلَامَاتِ الْقِيَامَةِ، قَالُوا فَإِذَا حَصَلَتْ هَذِهِ الْحَالَةُ حَصَلَ لِأَهْلِ الْإِيمَانِ مِنْهُ حَالَةٌ تُشْبِهُ الرُّكَامَ، وَحَصَلَ لِأَهْلِ الْكُفْرِ حَالَةٌ يَصِيرُ لِأَجْلِهَا رَأْسُهُ كَرَأْسِ الْحَنِيذِ" (4).

1- صحيح البخاري، باب: يَغْشى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ (6/ 131)، حديث رقم (4821).

2- انظر: تيسير الكريم الرحمن، للسعدي (ص: 772)، التفسير المنير، للزحيلي (25/ 212).

3- انظر: تفسير المراعي (25/ 121)، صفوة التفسير، للصابوني (3/ 159).

4 - مفاتيح الغيب، للرازي (27/ 656).

3- قالوا: "وعنى بالدخان ما كان يصيبهم حينئذ في أبصارهم من شدة الجوع من الظلمة كهيئة الدخان"⁽¹⁾.

وإما عن سبب تسميته دخاناً ففيه قولان: أحدهما أن الجائع كأنه يرى بينه وبين السماء دخاناً من شدة الجوع، والثاني: أنه سمي القحط دخاناً، ليبس الأرض، وانقطاع النبات، وارتفاع الغبار، فشبهه بالدخان⁽²⁾.

ويرى الباحث أن القول الأول هو الراجح بدليل، ما أخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما، أن قريشا لما استعصوا على النبي (ﷺ) دعا عليهم بسنين كسني يوسف، فأصابهم قحط، فجعل الرجل ينظر إلى السماء، فيرى ما بينه وبينها كهيئة الدخان من الجهد. (يَعْشَى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ) "أي: يحيط بهم من كل جانب، فيقولون: هذا عذاب مؤلم يقض المضاجع وينتهي إلى موت محقق إن دام"⁽³⁾.

رابعاً: معاني المفردات

يُعْبُونَ: الشغل والعبث بما لا يجدي، فَارْتَقِبْ: انتظر، بِدُخَانٍ: دخان النار معروف⁽⁴⁾.
"يَعْشَى معناه: يغطي"⁽⁵⁾.

خامساً: البلاغة :

- الخطاب في قوله تعالى: (فَارْتَقِبْ) للنبي (ﷺ) وَالْأَمْرُ مُسْتَعْمَلٌ فِي التَّنْبِيهِ⁽⁶⁾.
- فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ : أَطْلَقَ الْيَوْمَ عَلَى الزَّمَانِ ، فَإِنَّ ظُهُورَ الدُّخَانِ كَانَ فِي أَيَّامٍ وَشُهُورٍ كَثِيرَةٍ⁽⁷⁾.

سادساً: ما يستفاد من الآيات:

1- لم يكن أفراد المشركين بربوبية الله -تعالى- لخلقه عن علم يقيني بل هم مقلدون لإبائهم فيه، فلم يحملهم على توحيد الله في عبادته، وهذا شأن كل علم أو معتقد فاسد أو ضعيف⁽⁸⁾.

¹ - جامع البيان، للطبري (13 / 22).

² - انظر: بحر العلوم، للسمرقندي (3 / 268).

³ - تفسير المراغي (122 / 25).

⁴ - انظر: التفسير الواضح، للحجازي، محمد محمود (3 / 411).

⁵ - المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لابن عطية (5 / 70).

⁶ - انظر: التحرير والتنوير، لابن عاشور (285 / 25).

⁷ - التحرير والتنوير لابن عاشور، (286 / 25).

⁸ - انظر: أيسر التفاسير، للجزائري (8 / 5).

2- أظهر الله -تعالى- حقيقة اعتقاد المشركين مبيّنا أنهم ليسوا في الواقع على يقين فيما يظهرونه من الإيمان والإقرار في قولهم: إن الله خالقهم، وإنما يقولونه تقليداً لأبائهم من غير علم ولا حجة ولا برهان، فهم في شكّ بيّن، وإن توهموا أنهم مؤمنون، فهم يلعبون في دينهم على وفق أهوائهم من غير حجة⁽¹⁾.

3- هدد الله المشركين بالعذاب الأليم في الدنيا والآخرة، وطالب نبيّه بأن ينتظر وقوع العذاب بهؤلاء الكفار، أما في الدنيا فيتعرضون لظلمة في أبصارهم من شدة الجوع، لأن النبي (ﷺ) دعا عليهم بقوله: «اللهم اجعل سنيهم كسني يوسف» فاستجاب الله دعاءه ، فارتفع المطر وأصابت قريشا شدة المجاعة، حتى أكلوا العظام والكلاب والجيف، فكان الرجل من شدة الجوع يرى ما بينه وبين السماء كالدخان⁽²⁾.

¹- التفسير المنير، للزحيلي (210 / 25).

²- انظر: التفسير المنير، للزحيلي (215 / 25) ، مختصراً.

المطلب الثاني: الإيمان عند معاينة العذاب لا يجدي ولا ينفع

قال الله تعالى: ﴿ رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ * أَنَّى لَهُمُ الذِّكْرَى وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُّبِينٌ ﴾ (الدخان 12-13).

أولاً: المناسبة:

بعدما ذكر تعالى أوصاف العذاب الذي سيحل بالكافرين في الدنيا والآخرة ، ذكر أنه حينئذ يستغيث الناس بالله بقولهم : رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ، ثم نفى الله عنهم صدقهم في الوعد بالإيمان بالله تعالى قائلاً: أَنَّى لَهُمُ الذِّكْرَى، وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُّبِينٌ.

ثانياً: المعنى العام:

يكشف الله -تعالى- عن طبيعة النفس البشرية المكذبة بالرسول، ولجوئهم إلى الخالق تبارك وتعالى في حال الخوف بقولهم: (رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ) أي: ربنا إنا سنؤمن إن كشفت عنا العذاب، وهذه هي طبيعة البشر إذا هم وقعوا في شدة أيا كانت أن يعدوا بالتوبة والإقلاع عما هم فيه، ولكن النفوس الشريرة، لا تتجه إلى فعل الخير، ولا تفعل ما تقترب به إلى ربها، انتظارا لمثوبته، ورجاء في غفرانه ورحمته⁽¹⁾.

"أَنَّى لَهُمُ الذِّكْرَى أي: من أين يتأتى منهم التذكر والاتعاظ وَقَدْ جَاءَهُمْ لتكميلهم وإرشادهم رَسُولٌ مُّبِينٌ ظاهر الفضل والعظم أكمل من كل الرسل"⁽²⁾.

ثالثاً: معاني المفردات:

{الْعَذَابُ} : الدخان، أو الجوع، أو الثلج ولا وجه له⁽³⁾.

{أَنَّى لَهُمُ الذِّكْرَى} أي : كيف ينفعهم التذكر و الاتعاظ والإيمان عند نزول العذاب⁽⁴⁾.

رابعاً: البلاغة :

- جملة إِنَّا مُؤْمِنُونَ تَعْلِيلٌ لجملة اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ أي تَعْلِيلٌ لِطَلَبِ دَفْعِ الْعَذَابِ عَنْهُمْ⁽⁵⁾.
- أَنَّى لَهُمُ الذِّكْرَى : استنهام غرضه البلاغي الإنكار.

¹- انظر: تفسير المراغي (25 / 123).

²- الفواتح الإلهية والمفاتيح الغيبية، للنخجواني (2 / 308).

³- تفسير القرآن، للعز بن عبد السلام (3 / 167).

⁴- انظر: أوضح التفاسير، لابن الخطيب (1 / 608).

⁵- التحرير والتنوير، لابن عاشور (25 / 290).

خامساً: ما يستفاد من الآيات:

- 1- إن الله سبحانه عليم بما يحدث من الكفار، ولكن اقتضت رحمته أن يشمل عباده جميعاً باللطف المرة تلو المرة، لعلمهم يصلحوا أحوالهم، ثم يأخذهم أخذ عزيز مقتدر، لأنه يمهل ولا يهمل، وهذا معروف عن قريش، فمن أين لهم التذكر والاتعاظ والاعتبار عند حلول العذاب؟ وقد جاءهم رسول من أنفسهم يبين لهم الحق ويخرجهم من الظلمات إلى النور.
- 2- إن من شأن الكافر وطبيعته اللجوء إلى الله وقت الشدة والمحنة، ثم العودة إلى الكفر بعد الفرج وكشف الضرّ والمحنة، وهذا ما حدث لمشركي مكة.
- 3- تضمّنت الآيات تحليلاً دقيقاً لطبائع الكفار، ونبّهت إلى أنهم لا يوفون بعهدهم، وأنهم في حال العجز يتضرعون إلى الله -تعالى- بالدعاء؛ فإذا زال الخوف عادوا إلى الكفر والطغيان و تقليد الأسلاف⁽¹⁾.

¹ - انظر: التفسير المنير، للزحيلي (25/ 216).

المطلب الثالث: كفر و جحود قريش بدعوة الإسلام

قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلَّمٌ مَجْنُونٌ* إِنَّا كَاشِفُو الْعَذَابِ قَلِيلًا إِنَّكُمْ عَائِدُونَ﴾ (الدخان:14-15).

أولاً: سبب النزول:

"إن قريشا لما أبطأت عن الإسلام واستعصت على رسول الله (ﷺ)، دعا عليهم بسنين كسني يوسف، فأصابهم من الجهد والجوع حتى أكلوا العظام والميتة، وجعلوا يرفعون أبصارهم إلى السماء فلا يرون إلا الدخان ... فأتى رسول الله (ﷺ) فقيل: يا رسول الله استسق الله لمضر، فإنها قد هلكت. فاستسقى لهم فسقوا فأنزل الله: (إنا كاشفوا العذاب قليلا إنكم عائدون)"⁽¹⁾.

ثانياً: المناسبة:

بعد أن نفى الله عن المشركين تصديقهم في الوعد بالإيمان، ذكر وبين ما قالوه في شأن الرسول (ﷺ) ووصفهم له بالجنون بقولهم: {مُعَلَّمٌ مَجْنُونٌ}: أي أنه يعلمهم القرآن بشر مجنون أي مختلط عليه أمره غير مدرك لما يقول⁽²⁾.
{إِنَّا كَاشِفُو الْعَذَابِ}: أي الْجُوع عَنْكُمْ ، {إِنَّكُمْ عَائِدُونَ}: {إِلَى كُفْرِكُمْ فَعَادُوا إِلَيْهِ"⁽³⁾.
{قَلِيلًا}: "أَي زَمَانًا يَسِيرًا"⁽⁴⁾.

ثالثاً: المعنى العام:

أظهر الله -تعالى- كفر وجحود قريش بدعوة الإسلام ، وإعراضهم عن القرآن بقوله تعالى: ﴿ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ﴾، فان للعلماء في معنى التولي عدة آراء نذكر منها ما يلي:
1- يحتمل: أي: أعرضوا عما جاء به رسول الله (ﷺ) من القرآن.
2- ويحتمل تولوا عما دعاهم إليه رسول الله وأمرهم به للإيمان بالقرآن⁽⁵⁾.
3- "تولوا عن محمد عليه الصلاة والسلام، وقالوا: أي كفار قريش، معلم مجنون"⁽⁶⁾.

والذي تميل إليه النفس أن جميع الآراء السابقة تحتل المعنى المراد، فان كفار قريش اعرضوا عن القرآن منذ اللحظة التي نزل فيها، وهل من أعرض عن هذا القرآن سيقبل بما فيه من الآيات والدلائل والبراهين، و هل سيقبل ويؤمن بمن أنزل عليه هذا الكتاب.

¹- تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (7 / 247).

²- انظر: أيسر التفاسير، للجزائري (5 / 8).

³- تفسير الجلالين، جلال الدين السيوطي ، جلال الدين المحلي (ص: 657).

⁴- تفسير البغوي (7 / 230).

⁵- انظر: تأويلات أهل السنة، للماتريدي (9 / 200).

⁶- انظر: تفسير جامع البيان، للطبري (22 / 20).

وَقَالُوا مُعَلَّمٌ مَجْنُونٌ " أَيْ عَلَّمَهُ بَشَرٌ أَوْ عَلَّمَهُ الْكَهَنَةُ وَالشَّيَاطِينُ، ثُمَّ هُوَ مَجْنُونٌ وَليْس برسول (1).
ففي ظل هذا المشهد الذي يرجون فيه كشف العذاب فلا يجابون يقول لهم: إن أمامكم فرصة بعد لم
تضع، فهذا العذاب مؤخر عنكم قليلا وأنتم الآن في الدنيا، وهو مكتشف عنكم الآن فأمنوا كما تعدون
أن تؤمنوا في الآخرة فلا تجابون، وأنتم الآن في عافية لن تدوم، فإنكم عائدون إلينا (2).

رابعاً: معاني المفردات:

{ثُمَّ تَوَلَّوْا} أعرضوا، والتولي هو: الإعراض عن الشيء (3).
معلم مجنون: أي أنه يعلمهم القرآن بشر مجنون أي مختلط عليه أمره غير مدرك لما يقول (4).
{إِنَّا كَاشِفُو الْعَذَابِ} أي بالجُوع زَمَنًا قَلِيلًا {إِنَّكُمْ عَائِدُونَ} إِلَى كُفْرِكُمْ فَعَادُوا إِلَيْهِ (5).
{قَلِيلًا} أي زَمَانًا يَسِيرًا (6).

خامساً: البلاغة :

- ضَمِيرُ إِنَّكُمْ عَائِدُونَ النَّفَاتُ إِلَى خِطَابِ الْمُشْرِكِينَ (7).

سادساً: ما يستفاد من الآيات:

- 1- وعد الله أن يكشف عن قريش ذلك العذاب في زمان قليل، ليعلم أنهم لا يوفون بقولهم ووعودهم، بل يعودون إلى الكفر بعد كشفه (8).
- 2- بيان ما قابلت به قريش دعوة الإسلام من جحود وكفران، فان الله عز وجل أمهل عقابهم والانتقام منهم، فقابلوه بالكفر والصد عن دعوته، ومعاداة نبيه محمد (ﷺ) (9).
- 3- لم يقتصر المشركون على مجرد التولي والإعراض عن دعوة النبي وعن دينه بل قالوا في شأنه (ﷺ) كلاما لا يليق بعلو مكانه حيث قال بعضهم انه مُعَلَّمٌ يعلمه بعض الأعجمين مع أنه (ﷺ)

1- تفسير الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (16 / 133).

2- في ظلال القرآن، لسيد قطب (5 / 3212).

3- انظر: أوضح التفاسير، لابن الخطيب (1 / 608).

4- أيسر التفاسير، للجزائري (5 / 8).

5- انظر: تفسير الجلالين، جلال الدين السيوطي، جلال الدين المحلي (ص: 657).

6- تفسير معالم التنزيل في تفسير القرآن، للبغوي (7 / 230).

7- التحرير والتنوير، لابن عاشور (25 / 292).

8- انظر: التفسير المنير، للزحيلي (25 / 216).

9- أيسر التفاسير، للجزائري (5 / 10).

أمي وقال البعض الآخر: إنه مَجْنُونٌ مخبط مختل العقل يتكلم بكلام المجانين مع انه أعقل الناس وأرشدهم⁽¹⁾.

4- "إخباره تعالى بأنه يكشف عنهم العذاب قليلاً إخبار عن إقامة الحجة عليهم ومبالغة في الإملاء لهم"⁽²⁾.

¹- انظر: الفواتح الإلهية والمفاتيح الغيبية ، للنخجواني(2/ 308).

²- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لابن عطية (5/ 70).

المطلب الرابع: صدق إخبار القرآن بالغيب

قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَىٰ إِنَّا مُنْتَقِمُونَ﴾ (الدخان:16).
أولاً: سبب النزول:

لما وعد الله قريش أن يكشف عنها العذاب بقوله تعالى: (إِنَّا كَاشِفُو الْعَذَابِ قَلِيلًا إِنَّكُمْ عَائِدُونَ) قال: ابن مسعود: فيكشف العذاب عنهم يوم القيامة، فلما أصابهم الرفاهية عادوا إلى حالهم، فأنزل الله: {يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَىٰ إِنَّا مُنْتَقِمُونَ} ، قال: يعني يوم بدر (1).

ثانياً: المناسبة:

بعد أن أعلن الله تعالى عودتهم صراحة إلى الكفر، ذكر تأخير العذاب عنهم إلى يوم القيامة فقال: (يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَىٰ)، ثم أكد على الانتقام منهم بقوله تعالى: (إِنَّا مُنْتَقِمُونَ).

ثالثاً: المعنى العام:

(يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَىٰ إِنَّا مُنْتَقِمُونَ) أي: إننا يوم القيامة لنسلطنّ عليهم بأسنا، وننتقم منهم أشد الانتقام، ولا يجدنّ شفيعاً ولا ولياً ولا نصيراً يمنع عنهم عقابنا، فيندموا، وحينها لا ينفع الندم(2).
واختلف الناس في يوم الْبَطْشَةَ الْكُبْرَىٰ، فقال ابن عباس والحسن وعكرمة وقتادة: هو يوم القيامة وقال عبد الله بن مسعود وابن عباس أيضاً وأبي بن كعب ومجاهد: هو يوم بدر(3).

رابعاً: معاني المفردات:

- {نَبْطِشُ} البطش: الأخذ بقوة وشدة(4).
- {الْبَطْشَةَ الْكُبْرَىٰ}: يوم القيامة، أو يوم بدر(5).
- {مُنْتَقِمُونَ}: من أعدائنا(6).

خامساً: البلاغة :

قدم اليوم وذكره على {مُنْتَقِمُونَ} تهكماً به وتخويفاً منه .
إنا: توكيد: للتأكيد على استحقاق العذاب والانتقام.

1- انظر: تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (7/ 247).

2- انظر: تفسير المراعي (25/ 124).

3- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لابن عطية (5/ 70).

4- التفسير الواضح ، للحجازي(3/ 411).

5- أوضح التفاسير ، لابن الخطيب (1/ 608).

6- تفسير القرآن، للعز بن عبد السلام (3/ 167).

سادساً: ما يستفاد من الآيات:

- 1- إن يوم القيامة يوم رهيب، فهو يوم البطشة الإلهية الكبرى، ويوم الانتقام من الظالمين والمشركين والكافرين على كفرهم وعنادهم، وذلك بعذاب جهنم⁽¹⁾.
- 2- وصف الله تعالى عقاب الكافرين يوم القيامة بالبطشة الكبرى، لان الكافرين لا يكون لهم شفيع، ولا نصير ، ولا ولي يدفع عنهم العقاب، فيندموا أشد الندم، وحينها لا ينفع الندم.

¹- التفسير المنير، للزحيلي (25 / 216).

الفصل الثالث

الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف الربع الثالث من الحزب الخمسين

(سورة الدخان الآيات 17-59 سورة الجاثية الآيات 1-11).

ويشتمل على سبعة مباحث:

المبحث الأول: المقاصد والأهداف لسورة الدخان الآيات (17-24).

المبحث الثاني: المقاصد والأهداف لسورة الدخان الآيات (25-33).

المبحث الثالث: المقاصد والأهداف لسورة الدخان الآيات (34-42).

المبحث الرابع: المقاصد والأهداف لسورة الدخان الآيات (43-50).

المبحث الخامس: المقاصد والأهداف لسورة الدخان الآيات (51-59).

المبحث السادس: المقاصد والأهداف لسورة الجاثية الآيات (1-5).

المبحث السابع: المقاصد والأهداف لسورة الجاثية الآيات (6-11).

المبحث الأول

المقاصد والأهداف لسورة الدخان الآيات (17-24)

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: التشابه بين كفار قريش و فرعون.

المطلب الثاني: الاعتبار بالأمم المكذبة الهالكة.

المطلب الثالث: وجوب الاستعاذة بالله تعالى.

المطلب الرابع: مشروعية الدعاء على الظالمين.

المطلب الأول: التشابه بين كفار قريش وفرعون

قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ﴾ (الدخان:17).

أولاً: تمهيد:

يشبه الله - عز وجل - حال قريش بحال قوم فرعون في الكفر والإعراض عن دعوه الأنبياء والمرسلين، فإن إصرارهم على الكفر والضلال كان فتنة لهم تستوجب عقاب الله تعالى، بعد إرسال الرسل إليهم، فإن من رحمة الله تعالى على الناس ، أنه لا يقيم عليهم الحجة إلا بعد إرسال الرسل.

"فهذه الجولة تبدأ بلمسة قوية لإيقاظ قلوب المشركين بالله، فأرسال الرسول لهم قد يكون فتنة وابتلاء، والإملاء للمكذابين فترة من الزمان، وهم يستكبرون على الله، ويؤذون رسول الله والمؤمنين معه قد يكون كذلك فتنة وابتلاء، وأن إغضاب الرسول واستنفاذ حلمه على أذاهم ورجائه في هدايتهم قد يكون وراءه الأخذ الأليم والبطش الشديد".⁽¹⁾

ثانياً: المناسبة:

بعد أن ذكر الله تعالى أن مشركي مكة أصروا على كفرهم وعنادهم ولم يؤمنوا برسولهم ، بين أن كثيرا من السابقين كانوا أمثالهم في تكذيب الرسل ومخالفتهم، وفي مقدمتهم قوم فرعون، الذين كذبوا رسولهم موسى عليه السلام، بعد أن أتاهم بالبينات التي كانت تدعو إلى تصديقه، فنصره الله عليهم، وأغرقهم، وجعلهم عبرة لمن اعتبر، وجعلهم مثلا للآخرين.⁽²⁾

ثالثاً: المعنى العام:

يصف الله تعالى حال قوم فرعون ، ليكون ذلك تسلية لرسول الله (ﷺ) ورفعاً لمعنوياته، قائلاً لنبيه: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ﴾ يعني تعالى ذكره: ولقد اخترنا وابتلينا يا محمد قبل مشركي قومك قوم فرعون من القبط⁽³⁾، وابتليناهم بالنعمة والسلطان، والتمكين في الأرض، والإملاء في الرخاء، وأسباب الثراء والاستعلاء⁽⁴⁾، ﴿وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ﴾ فجاءهم رسولٌ شريف الحسب والنسب، من أكرم عباد الله وهو موسى كليم الله عليه السلام.⁽⁵⁾

¹ - في ظلال القرآن، لسيد قطب (5/ 3212).

² - انظر باختصار: تفسير المراغي (25/ 126).

³ - انظر: جامع البيان، للطبري (22/ 24).

⁴ - في ظلال القرآن ، لسيد قطب (5/ 3213).

⁵ - انظر: صفوة التفاسير، للصابوني (3/ 160).

رابعاً: معاني المفردات:

"وَلَقَدْ فَتَنَّا: بلونا واختبرنا"⁽¹⁾ .

"رَسُولٌ": موسى عليه السلام⁽²⁾.

{كَرِيمٌ}: جامع لخصال المحامد والمنافع.⁽³⁾

خامساً: القراءات:

قرئ: ولقد فتنا، بالتشديد للتأكيد ، أو لوقوعه على القوم.⁽⁴⁾

سادساً: ما يستفاد من الآيات:

- 1- عدم الغرور بالمال و الجاه و السلطان أو الحكم ، فذلك كله للاختبار والامتحان، فقد ابتلى الله قوم فرعون بالأمر بطاعة الله ورسوله موسى عليه السلام، فكذبوا وكفروا، فعاملهم معاملة المختبر ببعثة موسى إليهم، فكذبوا فأهلكوا، وهكذا يفعل بأعداء محمد (ﷺ) إن لم يؤمنوا.⁽⁵⁾
- 2- وجود تشابه كبير بين فرعون وكفار قريش في العلو والصلف والكفر والظلم،⁽⁶⁾ فقوم فرعون كفروا كفروا بموسى عليه السلام ، وكفار قريش كفروا بالنبي محمد (ﷺ).

¹- أوضح التفاسير، لابن الخطيب (1/ 608).

²- تفسير العز بن عبد السلام (3/ 168).

³- التفسير الواضح، للحجازي (3/ 414).

⁴- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، للزمخشري (4/ 274).

⁵- انظر: التفسير المنير، للزحيلي (25/ 224).

⁶- أيسر التفاسير، للجزائري (5/ 12).

المطلب الثاني: الاعتبار بالأمم المكذبة الهالكة

قال الله تعالى: ﴿ أَنْ أَدُّوا إِلَيَّ عِبَادَ اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ * وَأَنْ لَا تَعْلُوا عَلَى اللَّهِ إِنِّي آتِيكُمْ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ ﴾ (الدخان: 18-19).

أولاً: تمهيد:

إنها كلمات قصيرة تلك التي جاءهم بها رسولهم الكريم موسى - عليه السلام: إنه يطلب إليهم الاستجابة الكلية، والأداء الكامل، والاستسلام المطلق لله، الذي هم عباده، وما ينبغي للعباد أن يعلوا على الله، فهي دعوة الله يحملها إليهم الرسول، ومعه البرهان والحجة على أنه رسول الله إليهم، البرهان القوي والسلطان المبين.⁽¹⁾

ثانياً: المعنى العام:

طلب موسى - عليه السلام - من قومه أن يتبعوه إلى دين الله الحق فخطبهم بكتاب العبودية لله قائلاً لهم: (أَنْ أَدُّوا إِلَيَّ عِبَادَ اللَّهِ) أي: أرسلوا معي بني إسرائيل، واتبعوني على ديني إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ قد جئتم من عند الله تعالى... مأمون على ما أبلغكم غير منتهم فيه⁽²⁾، (وَأَنْ لَا تَعْلُوا عَلَى اللَّهِ) أي لا تتجبروا ولا تتكبروا على الله بترفكم عن طاعته واستكباركم ومتابعة رسله وإهانة وحيه⁽³⁾، (إِنِّي آتِيكُمْ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ) أي: بحجة ظاهرة واضحة، وهي ما أرسله الله به من الآيات البيّنات والأدلة القاطعة.⁽⁴⁾

ثالثاً: معاني المفردات:

{أَنْ أَدُّوا}: أرسلوا معي بني إسرائيل ولا تستعبدوهم، أو أجيئوا عبادَ الله خيراً.⁽⁵⁾
{وَأَنْ لَا تَعْلُوا عَلَى اللَّهِ}: لا تعصوه ولا تخالفوا أمره ، {إِنِّي آتِيكُمْ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ}: بحجة واضحة تدلُّ على أنّي نبيٌّ.⁽⁶⁾

رابعاً: البلاغة:

- (أَنْ أَدُّوا إِلَيَّ عِبَادَ اللَّهِ) : استِعَارَةٌ مَكْنِيَّةٌ حَيْثُ جَعَلَ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَالْأَمَانَةِ عِنْدَ فِرْعَوْنَ .⁽⁷⁾

¹ - انظر: في ظلال القرآن، لسيد قطب (5/ 3213).

² - تفسير المراغي (25/ 126).

³ - انظر: فتح البيان في مقاصد القرآن، لابن لطف الله الحسيني (12/ 397).

⁴ - تفسير القرآن العظيم: لابن كثير (7/ 251).

⁵ - تفسير العز بن عبد السلام (3/ 168).

⁶ - الوجيز للواحدى (ص: 983).

⁷ - انظر: التحرير والتنوير، لابن عاشور (25/ 295).

- تَقْدِيمُ (لَكُمْ) عَلَى (رَسُولٍ) لِإِلَهْتِمَامِ وَالْعِنَايَةِ وَالتَّشْوِيقِ بِالْمُرْسَلِ.

خامساً: القراءات:

قرأ الجمهور: «إني آتاكم» بكسر الألف على الإخبار المؤكد، وقرأت فرقة: «أني آتاكم» بفتح الألف. (1)

سادساً: ما يستفاد من الآيات:

- 1- مشروعية الاعتبار بما سلف من أحداث في الكون والتأسي بالصالحين. (2)
- 2- طلب موسى عليه السلام من فرعون وقومه أن يتبعوه في رسالته، أو أن يرسلوا معه بني إسرائيل وبطلقوهم من العذاب، وهو في الحالين أمين على الوحي، فما عليهم إلا أن يقبلوا نصحه.
- 3- اتبع موسى عليه السلام مع قومه أسلوباً لطيفاً، فنصحهم بألا يتكبروا على الله ولا يترفعوا عن طاعته، وخاطبهم بما يقنعهم عقلاً ومنطقاً، فجاء بحجة بيّنة وبرهان واضح على صدقه، وصحة دعوته، وإثبات ألوهية الله الواحد الأحد. (3)

¹-انظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لابن عطية (5 / 71).

²- أيسر التفاسير، للجزائري (5 / 12).

³-انظر: التفسير المنير، للزحيلي (25 / 224).

المطلب الثالث: وجوب الاستعاذة بالله تعالى

قال الله تعالى: ﴿وَإِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَنْ تَرْجُمُونِ* وَإِنْ لَمْ تُؤْمِنُوا لِي فَاعْتَرِلُونِ﴾ (الدخان: 20-21).
أولاً: تمهيد :

تظهر الآيات حالة موسى عليه السلام بعد دعاء قومه وعدم استجابتهم له، فيظهر هنا أن موسى غير مبالٍ بهم، فلقد التجأ إلى الله واعتصم به منهم، فيقول: ومع وضوح الحجة وسطوع البرهان إن تظهروا علي بالعناد والمكابرة اتكالاً على شوكتكم وكثرتكم فأنا لا أبالي بكم وبشوكتكم واستيلائكم بل إني عُذْتُ يعني: قد التجأت أنا وثقتي بربي وربكم من أن تَرْجُمُونِ وتضربوني بالحجارة أو تشتموني باللسان، وبالجملية إن لَمْ تُؤْمِنُوا لِي ولم تقبلوا مني قولي ودعوتي فَاعْتَرِلُونِ وابعدوا عني .⁽¹⁾

ثانياً: المعنى العام:

بعد أن شعر موسى سوء النوايا لدى قومه التجأ إلى الحصن الحصين و الركن المكين، بالرد على صدود قومه قائلاً لهم: (وَإِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَنْ تَرْجُمُونِ) أي: اعتصمت به من رجكم، يعني القتل، فعصمني، فلا ينالني منكم مكروه، مع أنه لا يعصم من افتري عليه، وإنما قصد بهذه الجملة: إظهار مزيد شجاعته وثباته في موقف تضطرب فيه الأفئدة، وتزل الأقدام، خوفا ورعباً، وما ذاك إلا لإيوائه إلى عصمة الله وتأييده⁽²⁾.

وقوله عز وجل: {وَإِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ} فيه وجهان: أحدهما: لجأت إلى ربي وربكم، الثاني: استغثت، والفرق بينهما أن الملتجئ يستعيز بالله ليدفع بها عن نفسه، والمستغث يستعيز بالله ليستتصر بها على عدوه.⁽³⁾

"(وَإِنْ لَمْ تُؤْمِنُوا لِي فَاعْتَرِلُونِ) أي: وإن لم تصدقوني فيما جئتمكم به من عند ربكم فخلوا سبيلي ولا ترجموني باللسان ولا باليد، ودعوا الأمر بيني وبينكم مسالمة إلى أن يقضى الله بيننا".⁽⁴⁾

ثالثاً: معاني المفردات:

{عُذْتُ}: التجأت ، {تَرْجُمُونِ}: ترموني بالحجارة ، أو المراد تؤذوني.⁽⁵⁾
{فَاعْتَرِلُونِ}: فخلوا سبيلي وكفوا عن أذيتي.⁽⁶⁾

¹ - انظر: الفواتح الإلهية والمفاتيح الغيبية، للنخجواني (2/ 309).

² - انظر: محاسن التأويل، للقاسمي (8/ 416).

³ - انظر: النكت والعيون، (5/ 249)، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (المتوفى: 450هـ)، تحقيق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

⁴ - تفسير المراغي (25/ 127,126).

⁵ - التفسير الواضح، للحجازي (3/ 414).

⁶ - تفسير العز بن عبد السلام (3/ 168).

رابعاً: البلاغة:

- (وَإِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ): استعارة حيث شبه التذكير بخوف الله والالتجاء إلى الله والاعتصام به بالالتجاء إلى حصن بقصد السلامة من الأذى والاعتداء .

خامساً: ما يستفاد من الآيات:

- 1- وجوب الاستعاذة بالله تعالى والاستجارة به إذ لا مجير على الحقيقة إلا هو، ولا واقى سواه.⁽¹⁾
- 2- اقرار موسى عليه السلام بالربوبية امام قومه، بما لا يدع الشك بانه عبد لله تعالى، وان ما جاء به هو من عند الله تعالى.
- 3- مفهوم المسالمة أن يزحف ويمتد الحق ويستولي في كل يوم على النفوس والقلوب، ولا يعتزل الحق، ومن ثم يببش ويرجم الباطل، ولا يدعه يسلم أو يستريح.⁽²⁾
- 4- حرص موسى عليه السلام على مسالمة قومه قائلاً: إن لم تصدقوني ولم تؤمنوا بالله لأجل برهاني، فدعوني واتركوني، وخلّوا سبيلي وكفّوا عن أذاي.⁽³⁾

¹- أيسر التفاسير، للجزائري (5/ 12).

²- في ظلال القرآن، لسيد قطب (5/ 3213).

³- انظر: التفسير المنير، للزحيلي (25/ 224).

المطلب الرابع: مشروعية الدعاء على الظالمين

قال الله تعالى: ﴿ فَدَعَا رَبَّهُ أَنْ هَوْلَاءِ قَوْمٍ مُّجْرِمُونَ * فَأَسْرِبِعِبَادِي لَيْلًا إِنَّكُمْ مُّتَّبِعُونَ * وَاتْرِكِ الْبَحْرَ رَهْوًا إِنَّهُمْ جُنْدٌ مُّغْرَقُونَ ﴾ (الدخان: 22-24).

حين وصلت التجربة إلى نهايتها، وأحس موسى أن القوم لن يؤمنوا به ، ولن يستجيبوا لدعوته ولن يسالموه أو يعتزلوه. وبدا له إجرامهم واضحاً أصيلاً عميقاً لا أمل في تخليهم عنه، عند ذلك لجأ إلى ربه وملاذه الأخير: «فَدَعَا رَبَّهُ أَنْ هَوْلَاءِ قَوْمٍ مُّجْرِمُونَ» ... ، فتلقى موسى -عليه السلام- الإجابة إقراراً من ربه.. بأنهم مجرمون..⁽¹⁾

أولاً: المعنى العام:

بعد أن يؤس موسى -عليه السلام- من قومه بعدم إيمانهم وتكذيبهم له، (فَدَعَا رَبَّهُ أَنْ هَوْلَاءِ قَوْمٍ مُّجْرِمُونَ) أي: فدعا ربه بعدما كذبوه ولم يؤمنوا به ، وهموا بقتله: بأن هؤلاء قوم مشركون ، مكذبون لرسلك⁽²⁾ .

(فَأَسْرِبِعِبَادِي لَيْلًا) أي: فأجاب دعاءه، وأوحى إليه بأن سر بقومك ليلاً إِنَّكُمْ مُّتَّبِعُونَ أي إن فرعون وقومه من القبط متبعوكم، وسيلحقون بكم ليرجعوكم⁽³⁾، فهذا استدراج من الله عز وجل لفرعون وقومه.

(واترك البحر رهواً) أي: مفتوحاً ذا فجوة واسعة أو ساكناً على هيئته بعد ما جاوزته ولا تضربه بعصاك لينطبق ولا تعيره عن حاله ليدخله القبط⁽⁴⁾، فيلحقوا بموسى ومن معه ظانين أنهم سينالون منهم.

"(إِنَّهُمْ جُنْدٌ مُّغْرَقُونَ) يَعْنِي: اِتْرِكِ الطَّرِيقَ كَمَا كَانَ يَدْخُلُوا فَيَعْرِقُوا، وَإِنَّمَا أَخْبَرَهُ اللهُ تَعَالَى بِذَلِكَ حَتَّى يَبْقَى قَارِعَ الْقَلْبِ عَنْ شَرِّهِمْ وَإِيْدَائِهِمْ"⁽⁵⁾.

ومن خلال المعنى السابق للآيات يتبين أن هناك فرق بين دعوة الأنبياء السابقين، ودعوة النبي محمد (ﷺ) فان موسى -عليه السلام- حينما يؤس من قومه دعا عليهم ووصفهم بالإجرام،

¹ - في ظلال القرآن، لسيد قطب (5 / 3213).

² - انظر: تفسير المراغي (25 / 127).

³ - انظر: محاسن التأويل ، للقاسمي (8 / 417).

⁴ - انظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، لأبي السعود (8 / 62).

⁵ - مفاتيح الغيب ، للفخر الرازي (27 / 660).

وكذلك نبي الله نوح -عليه السلام- بعد أن استنفذ كل الوسائل لهداية قومه فإنهم مع ذلك أصروا على كفرهم ولم يؤمنوا له فدعا عليهم فقال الحق تعالى: {وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا}، [نوح: 26]، ولكن النبي محمداً (ﷺ) حينما جاءه جبريل بعد أن عذبه قومه وكذبوه، وأدموا قدميه ، وشجوا رأسه ، ومع ذلك كله ، نراه لم يطلب من جبريل أن ينتقم منهم ويعاجلهم بالعقوبة، بل طلب أن يمهلهم وان يؤخر عقابهم، كما جرى على لسانه (ﷺ) (عسى أن يخرج من أصلابهم من يقول لا اله إلا الله) ليتجلى فيه قوله تعالى: (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ) [الأنبياء: 107].

ثانياً: معاني المفردات:

- {هُؤُلَاءِ قَوْمٌ مَّجْرُمُونَ} أي: مشركون. (1)
 {فَأَسْرِبِعَادِي} الإسراء: هو السير ليلاً ، {إِنَّكُمْ مُتَّبِعُونَ} : يتبعكم فرعون وقومه. (2)
 {رَهْوًا} أي: ساكنا كما هو ، أو ذا فرجة واسعة. (3)
 والرَّهْوُ والرَّهْوَةُ: المكان المرتفع أو المنخفض يجتمع فيه الماء. (4)

ثالثاً: البلاغة:

- الإيجاز بحذف بعض الكلام {أَنْ أُسْرِبِعَادِي} أي وقلنا له بأن أسر. (5)

رابعاً: ما يستفاد من الآيات:

- 1- لم يدع نبي على قومه إلا بعد اليأس من إيمانهم، وهكذا فعل موسى -عليه السلام- فإنه لما وجد إصرار فرعون وقومه على الكفر دعا ربه بأن هؤلاء قوم مشركون، امتنعوا عن الإيمان، ومن إطلاق بني إسرائيل.
- 2- استجاب الله دعاء موسى -عليه السلام- فأمره بأن يسير بمن آمن بالله من بني إسرائيل ليلاً قبل الصباح، فإن فرعون وقومه سيتبعونهم حينما يعلمون بخروجهم، وسير الليل في الغالب إنما يكون عن خوف إما من العدو، وإما من خوف المشقة على الدواب والأبدان، وأمره ربه أيضاً أن يترك

¹- تفسير الجلالين، جلال الدين السيوطي، جلال الدين المحلي (ص: 658).

²- انظر: أوضح التفاسير، لابن الخطيب (1/ 609).

³- التفسير الواضح ، للحجازي (3/ 414).

⁴- اللباب في علوم الكتاب (17/ 321) ، أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني (المتوفى: 775هـ)، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض ،دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، الطبعة: الأولى، 1419 هـ، 1998م.

⁵- صفوة التفاسير، للصابوني (3/ 166).

- البحر الذي فتح لهم أثناء العبور مفتوحاً ساكناً على حاله، لا يضربه بعصاه حتى يعود كما كان، وذلك استدراج لقوم فرعون ليعبروا فيغرقهم الله بعد أن نجى بني إسرائيل.⁽¹⁾
- 3- مشروعية دعاء الله تعالى على الظالمين وسؤاله النصر عليهم والنجاة منهم.⁽²⁾
- 4- مشروعية الهجرة إلى الله سرّاً في حال الضعف والخوف، فان موسى عليه السلام استجاب لنداء ربه ، وخرج ليلاً خوفاً من بطش فرعون وملئه.
- 5- الثقة المطلقة واليقين الكامل بمعونة الله تعالى وتأييده لعباده الموحدين، وسوء العقاب للمكذابين.

¹ - انظر: التفسير المنير، د وهبة الزحيلي (25 / 224,225).

² - أيسر التفاسير، لأبي بكر للجزائري (5 / 12).

المبحث الثاني

المقاصد والأهداف لسورة الدخان الآيات (25-32)

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: سنة الله في نزع النعم وإنزال النقم بمن كفر.

المطلب الثاني: هوان أهل الكفر والفسق على الله .

المطلب الثالث: ذم التكبر والإسراف.

المطلب الرابع: الابتلاء بالخير والشر فتنة.

المطلب الأول: سنة الله في نزع النعم وإنزال النقم بمن كفر

قال الله تعالى: ﴿ كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ * وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ * وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ * كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ ﴾ (الدخان: 25-28).

أولاً: مقدمة:

يبدأ المشهد هنا بصور النعيم الذي كانوا فيه يرفلون من جنات وعيون و زروع ومكان مرموق، ينالون فيه الاحترام والتكريم، ونعمة يتلذذون بها، ويطعمونها ويعيشون فيها مسرورين محبورين، ثم ينزع الله هذا كله منهم، ويرثه قوم آخرون.⁽¹⁾

ثانياً: المعنى العام:

يعرض الله تعالى مشهداً عظيماً يدل على عظمته وقدرته وعدله مع عباده، فبعد أن أمهل الله فرعون وقومه من العقاب، فأنهم مع كل ذلك تمادوا في الفساد والطغيان والمعاصي، فكان الجزاء من جنس العمل، فنزل بهم عقاب الله تعالى فأغرقهم، وذلك أن فرعون عليه لعنة الله، وصل إلى أعلى درجات الكفر، فتارة ادعى الإلوهية، وتارة ادعى الربوبية، وتارة أخرى ادعى انه الهادي إلى سبيل الرشاد، فضلاً عن انه استعبد قومه بادعائه أن له ملك مصر وأنهارها التي تجرى من تحته، فأراد الله تعالى أن يجعله عبرة لغيره لمن اعتبر فقال سبحانه: (كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ وَ زُرُوعٍ) أي: كم ترك آل فرعون، يعني: القبط المغرقين، من بساتين وينابيع ماء تتفجر في بساتينهم و زروع قائمة⁽²⁾، (ومقام كريم) أي: مجلس شريف هو أهل لأن يقيم الإنسان فيه، لأن النهاية فيما يرضيه⁽³⁾، (ونعمة كانوا فيها فاكهين) أي: عيشة كانوا يتفكحون فيها فيأكلون ما شاءوا ويلبسون ما أحبوا مع الأموال والجاهات والحكم في البلاد، فسلبوا ذلك جميعه في صبيحة واحدة⁽⁴⁾، (كذلك) أي: هكذا فعلنا بهؤلاء الذين كذبوا رسلنا، وهكذا نفع كل من عصانا وخالف أمرنا، (وأورثناها قوماً آخريين) أي: وأورثنا تلك البلاد بما فيها من خير عميم، ونعيم عظيم، قوما غير أهلها ممن لا يمتون إليهم بقراة ولا دين.⁽⁵⁾

¹-انظر: في ظلال القرآن، لسيد قطب (5/ 3214).

²- الهداية إلى بلوغ النهاية، لمكي بن أبي طالب (10/ 6736).

³- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، للبقاعي (18/ 27).

⁴- تفسير القرآن العظيم: لابن كثير (7/ 253).

⁵- تفسير المراعي (25/ 128).

ثالثاً: معاني المفردات:

- {جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ} يعني: بساتين وأنهاراً جارية. (1)
- {وَمَقَامٍ} المنابر ، أو المساكن ، أو مجالس الملوك. {كَرِيمٍ}: حسن. (2)
- {نِعْمَةٍ}: النعمة بفتح النون من التعميم وهو سعة العيش والراحة، وبالكسر من المنة وهي العطية والإفضال. (3)
- {فَاكِهِينَ} أي: أصحاب فاكهة. (4)
- {وَأُورَثْنَاهَا} أي: أموالهم ، {قَوْمًا آخِرِينَ} أي: بني إسرائيل. (5)

رابعاً: البلاغة:

- {كَمْ تَرَكَوْا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ}: رثاء وتفجيع وإظهار الأسى والتحسر للعبارة والعظة للأحياء. (6)
- {وَأُورَثْنَاهَا قَوْمًا آخِرِينَ}: تشبيه بليغ حيث شبه البلاد هنا بالأموال التي تورث.

خامساً: اللطائف البيانية:

- {كم} دلالة على كثرة الجنات، ودلت الآية على أن الله أغرقهم وأخرجهم من هذه الجنات. (7)
- {فَعَلُ تَرَكَوْا}: دليل أَنَّهم أُغْرِقُوا وَأَبِيدُوا.
- {كَذَلِكَ}: استئنافية ابتدائية مسوقة للعبارة بعواقب الظالمين المغرورين بما هم فيه من النعمة والقوة، غروراً أنسأهم مراقبة الله فيما يرضيه. (8)

سادساً: القراءات:

- قرأ جمهور الناس: «فاكهين» بمعنى: ناعمين، والفاكه: الطيب النفس: أو يكون بمعنى أصحاب فاكهة... وقرأ أبو رجاء والحسن بخلاف عنه، وابن القعقاع: «فكهين» ، ومعناه قريب من الأول، لأن الفكه يستعمل كثيرا في المستخف المستهزئ... (9)

1- بحر العلوم، للسمرقندي (270 /3).

2- تفسير العز بن عبد السلام (169 /3).

3- صفوة التفسير، للصابوني (158 /3).

4- التفسير الواضح، للحجازي (414 /3).

5- تفسير الجلالين ، لجلال الدين السيوطي ، جلال الدين المحلي (ص: 658).

6- انظر: التفسير المنير، للزحيلي (218 /25).

7- التفسير البسيط ، للواحدي (109 /20).

8- التحرير والتنوير، لابن عاشور (301 /25).

9- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لابن عطية (73 /5).

سابعاً: ما يستفاد من الآيات:

- 1- دلت آية كَمْ تَزَكُّوا: على أنه تعالى أغرق قوم فرعون، ثم ذكر أنهم تركوا نعماً كثيرة : هي الجنات والعيون و الزروع والمقام الكريم، أي حسن العيش ونضارته، وسعة العيش والراحة، وورثت تعالى تلك الديار بما فيها من الخيرات لبني إسرائيل، بعد أن كانوا مستعبدين فيها، فصاروا لها وارثين، كوصول الميراث إلى مستحقه.⁽¹⁾
- 2- بيان سنة الله في نزع النعم وإنزال النقم بمن كفر بنعم الله ولم يشكرها، فعصى ربه وأطاع هواه ونفسه فترك الصلاة ، وأعرض عن ذكر الله ، وأقبل على الدنيا ومفانيتها.

¹ - انظر: التفسير المنير، للزحيلي (25 / 225).

المطلب الثاني: هوان أهل الكفر والفسق على الله

قال الله تعالى: ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ﴾ (الدخان:29).

أولاً: تمهيد:

انه تعبير يلقي ظلال الهوان، كما يلقي ظلال الجفاء، فهؤلاء الطغاة المتعالون لم يشعر بهم أحد في أرض ولا سماء، ولم يأسف عليهم أحد في أرض ولا سماء، وقد كانوا جبارين في الأرض يطأون الناس بالنعال، فذهبوا غير مأسوف عليهم ، فهذا الكون يمقتهم لانفصالهم عنه، وهم أرواح خبيثة شريرة منبوذة من هذا الوجود وهي تعيش فيه ، ولو أحس الجبارون في الأرض ما في هذه الكلمات من إحياء لأدركوا هوانهم على الله وعلى هذا الوجود كله، ولأدركوا أنهم يعيشون في الكون منبوذين منه، مقطوعين عنه.(1)

ثانياً: المناسبة:

بعد أن أظهر سبحانه وتعالى صور النعيم الذي كان يتمتع فيه فرعون وقومه، وأنه تعالى قد سلبهم هذا النعيم وأورثه قوما آخرين بين هنا في هذا الموضع أن فرعون وقومه بعد أن غرقوا، لم يحزن لهلاكهم أحد، فقال تعالى: (فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ).

ثالثاً: المعنى العام:

في هذا الخطاب نوع من التوبيخ والتحقير للكافرين المكذبين، فإنه -جل شأنه- وصف حالهم وهوانهم عنده تعالى، قائلاً في حقهم: ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ﴾ أي: لما أتلّفهم الله وأهلكهم لم تَبْكِ عليهم السماء والأرض أي لم يحزن على فرعون وقومه، ولم يأس على فراقهم أحد، بل كلّ استبشر بهلاكهم وتلفهم حتى السماء والأرض لأنهم ما خلفوا من آثارهم إلا ما يسود وجوههم ويوجب عليهم اللعنة والمقت من العالمين(2).

وقوله ﴿وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ﴾ أي: وما كانوا مؤخرين بالعقوبة التي حلت بهم، ولكنهم عوجلوا بها إذ أسخطوا ربهم عزّ وجلّ عليهم(3)، فإن الله -عز وجل- يعجل عقوبة المذنب الذي يجهر بالمعصية، ويؤخر ويمهل المذنب الذي يستر معصيته .
قَالَ تَعَالَى: ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَفِيهِ وُجُوهٌ﴾

1- انظر: في ظلال القرآن، لسيد قطب (5/ 3214).

2- انظر: تيسير الكريم الرحمن، للسعدي (ص: 773).

3- جامع البيان، للطبري (22/ 36).

الأوّل: قَالَ الْوَاحِدِيُّ⁽¹⁾ فِي «الْبَسِيطِ» :

{فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ} ذلك أنهم لم يكونوا يعملون على الأرض عملاً صالحاً يبكي عليهم ولم يصعد لهم إلى السماء كلام طيب ولا عمل صالح فيبكي عليهم، وهذا قول جميع المفسرين.⁽²⁾

وذكر أهل المعاني في هذا قولين آخرين أحدهما: أن التقدير: أهل السماء والأرض، فحذف المضاف والمعنى: ما بكت عليهم الملائكة ولا المؤمنون، بل كانوا بهلاكهم مسرورين.

والثاني: أن العرب تقول عند هلاك الرجل العظيم الشأن، أظلمت له الشمس، وكسف القمر لفقده، وبكته الريح والبرق والسماء والأرض، من باب المبالغة في وصف المصيبة وأنها قد شملت وعت.⁽³⁾

رابعاً: معاني المفردات:

{السماء والأرض} أي: أهلها.⁽⁴⁾

{وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ} أي: مؤجلين للتوبة.⁽⁵⁾

خامساً: البلاغة:

الاستعارة التمثيلية: {فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ} أي: لم يتغير بهلاكهم شيء ولم تحزن عليهم السماء والأرض بعد انقطاع آثارهم، والعرب يقولون في التعظيم: بكت عليه السماء والأرض، وأظلمت له الدنيا ويقولون في التحقير: مات فلان فلم تخشع له الجبال. وهذا أسلوب عربي يقال للتحقير والتهمك بحالهم.⁽⁶⁾

سادساً: ما يستفاد من الآيات:

1- بيان هوان أهل الكفر والفسق على الله وعلى الكون كله، وكرامة أهل الإيمان والتقوى على الله وعلى الكون كله حتى أن السماء والأرض تبكيهم إذا ماتوا.⁽⁷⁾

2- لا أسف ولا حزن على إهلاك فرعون وجنوده، لأنهم لم يعملوا على الأرض عملاً صالحاً تبكي عليهم السماء والأرض لأجله، ولا صعد لهم إلى السماء عمل صالح، فتبكي فقد ذلك.⁽⁸⁾

¹- أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (المتوفى: 468هـ).

²- التفسير البسيط، للواحدى (20/ 110).

³- انظر: التفسير البسيط، للواحدى (20/ 111).

⁴- تفسير العز بن عبد السلام (3/ 169).

⁵- أوضح التفاسير، لابن الخطيب (1/ 609).

⁶- انظر: صفوة التفاسير، للصابوني (3/ 166).

⁷- أيسر التفاسير، للجزائري (5/ 14).

⁸- التفسير المنير، للزحيلي (25/ 225).

المطلب الثالث: ذم التكبر والإسراف

قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنَ الْعَذَابِ الْمُهِينِ * مِنْ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ كَانَ عَلِيًّا مِنَ الْمُسْرِفِينَ﴾ (الدخان: 30-31).

أولاً: المناسبة:

بعد أن بين القرآن ما حل بالفراعنة من الهلاك بالغرق وما فاتهم من النعم ، أتبع ذلك بذكر إحسانه إلى موسى وقومه بدفعه الضر عنهم ، وذلك بتخليصهم مما كانوا فيه من الشر والفساد والاستعباد والاستكبار ، فقال تعالى: (وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنَ الْعَذَابِ الْمُهِينِ. مِنْ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ كَانَ عَلِيًّا مِنَ الْمُسْرِفِينَ).

ثانياً: المعنى العام:

يصور الله تعالى حال بني إسرائيل بعد أن أنجاهم من فرعون وملئه بقوله: (وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنَ الْعَذَابِ الْمُهِينِ، مِنْ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ كَانَ عَلِيًّا مِنَ الْمُسْرِفِينَ) أي: ولقد خلصناهم بإهلاك عدوهم مما كانوا فيه من الاستعباد وقتل الأبناء واستحياء النساء وتكليفهم بالأعمال الصعبة⁽¹⁾، إذ كان جباراً مستكبراً مسرفاً في الشر والفساد، ولا أدلّ على ذلك من ادعائه الإلهية، إذ قال "أنا ربكم الأعلى"⁽²⁾.

ثالثاً: اللطائف البيانية:

"مِنْ فِرْعَوْنَ فِيهَا وَجْهَانِ: الْأَوَّلُ: أَنْ يَكُونَ التَّقْدِيرُ مِنَ الْعَذَابِ الْمُهِينِ الصَّادِرِ مِنْ فِرْعَوْنَ. الثَّانِي: أَنْ يَكُونَ فِرْعَوْنُ بَدَلًا مِنَ الْعَذَابِ الْمُهِينِ كَأَنَّهُ فِي نَفْسِهِ كَانَ عَذَابًا مُهِينًا لِإِفْرَاطِهِ فِي تَغْذِيهِمْ وَأَهَانَتِهِمْ"⁽³⁾.

رابعاً: معاني المفردات:

{من العذاب المهين} : قتل الأبناء واستخدام النساء.⁽⁴⁾

{عاليًا} أي: "متكبراً جباراً".⁽⁵⁾

{المُسْرِفِينَ} أي: "المتجاوزين الحدّ، في العتوّ والشرّ".⁽⁶⁾

¹ - انظر: فتح البيان في مقاصد القرآن، أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي (12 / 402).

² - انظر: تفسير المراعي (25 / 129).

³ - مفاتيح الغيب ، للرازي (27 / 661).

⁴ - انظر: الوجيز للواحي (ص: 984).

⁵ - صفوة التفسير ، للصابوني (3 / 162).

⁶ - محاسن التأويل، للقاسمي (8 / 418).

خامساً: البلاغة:

- (ومِنَ الْمُسْرِفِينَ) لِلْمُبَالَغَةِ فِي وصفه بِالْإِسْرَافِ مِنْ أَنْ يُقَالَ: مُسْرِفًا. (1)

سادساً: ما يستفاد من الآيات:

- 1- "ذم العلو في الأرض وهو التكبر والإسراف في كل شيء". (2)
- 2- أَنْ دَفَعَ الضَّرَرَ مُقَدِّمَ عَلَى إِيصَالِ النَّفْعِ فَبَدَأَ تَعَالَى بِبَيَانِ دَفْعِ الضَّرْرِ عَنْهُمْ فَقَالَ: وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنَ الْعَذَابِ الْمُهِينِ يَعْنِي قَتْلَ الْأَبْنَاءِ وَاسْتِخْدَامَ النِّسَاءِ وَالْإِتْعَابَ فِي الْأَعْمَالِ الشَّاقَّةِ. ثُمَّ قَالَ: مِنْ فِرْعَوْنَ.
- 3- فضل الله تعالى على بني إسرائيل بعد إهلاك فرعون وقومه، إذ نجاهم أولاً من بطش فرعون وظلمه واستعباده لهم، وقتله الأبناء، واستخدام النساء، وتكليفهم بالأعمال الشاقة، لأن فرعون كان جباراً عالياً من المشركين، وليس هذا علو مدح بل علو إسراف. (3)

1- انظر: التحرير والتنوير، لابن عاشور (25 / 305).

2- أيسر التفاسير، للجزائري (5 / 14).

3- التفسير المنير، للزحيلي (25 / 226).

المطلب الرابع: الابتلاء بالخير والشر فتنه

قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ اخْتَرْنَاَهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَىٰ الْعَالَمِينَ * وَأَتَيْنَاهُمْ مِنَ الْآيَاتِ مَا فِيهِ بَلَاءٌ مُّبِينٌ﴾ (الدخان: 32-33).

أولاً: المناسبة:

بعد أن بين تعالى طريق دفعه للضر عن بني إسرائيل، أتبع ذلك ببيان مدى تكريمه لبني إسرائيل فيذكر اختياره لهم مع أنه عالم بحقيقتهم كلها، خيرها وشرها، فاختارهم على العالمين في ذلك الزمان لما يعلمه الله من أنهم من أفضل أهل زمانهم ولهم الحق بالاستخلاف، قائلًا: (وَلَقَدْ اخْتَرْنَاَهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَىٰ الْعَالَمِينَ)، ثم بين تعالى بعض المعجزات والآيات التي جاءت لبني إسرائيل على أيدي الأنبياء والرسل المرسلون لهم فقال: وَأَتَيْنَاهُمْ مِنَ الْآيَاتِ مَا فِيهِ بَلَاءٌ مُّبِينٌ.

ثانياً: المعنى العام:

اصطفى الله -تعالى- بني إسرائيل على أهل زمانهم بقوله: (وَلَقَدْ اخْتَرْنَاَهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَىٰ الْعَالَمِينَ) أي: ولقد اصطفيناهم على عالمي زمانهم بما أنزلنا عليهم من الكتب وأرسلنا فيهم من الرسل، ونحن عالمون بأنهم أهل لكل مكرمة وفضل⁽¹⁾، (وَأَتَيْنَاهُمْ مِنَ الْآيَاتِ مَا فِيهِ بَلَاءٌ مُّبِينٌ) أي: فتعرضوا للاختبار بهذه الآيات، التي آتاهم الله إياها للابتلاء، حتى إذا تم امتحنهم، وانقضت فترة استخلافهم، أخذهم الله بانحرافهم، وبنتيجه اختبارهم وابتلائهم، فضربهم بمن يشردهم في الأرض، وكتب عليهم الذلة والمسكنة، وتوعدهم أن يعودوا إلى النكال والتشريد كلما بغوا في الأرض إلى يوم الدين.⁽²⁾

ثالثاً: معاني المفردات:

{وَلَقَدْ اخْتَرْنَاَهُمْ} أي: اخترنا بني إسرائيل، {عَلَىٰ الْعَالَمِينَ} أي: على عالمي زمانهم.⁽³⁾
{الآيات} أي: المعجزات كفلق البحر وتظليل الغمام وإنزال المن والسلوى، {بلاء مبين} أي: اختبار ظاهر.⁽⁴⁾

¹-انظر: تفسير المراغي (25 / 129).

²- انظر: في ظلال القرآن، لسيد قطب (5 / 3215).

³- أوضح التفاسير، لابن الخطيب (1 / 609).

⁴- تفسير المراغي (25 / 125).

رابعاً: ما يستفاد من الآيات:

- 1- اختار الله بني إسرائيل على علم منه باستحقاقهم على عالمي زمانهم، لكثرة الأنبياء منهم، وإيمانهم بموسى وصلاحهم، فلما بدلوا تبدل الحال، وغضب الله عليهم ولعنهم، وأعد لهم جهنم وساءت مصيراً.⁽¹⁾
- 2- بيان أن الله يبتلي أي يختبر عباده بالخير والشر.⁽²⁾
- 3- أمد الله تعالى قوم موسى بالآيات البينات في التوراة، وبمعجزات موسى التسع، كإنجائهم من فرعون، وقلق البحر لهم، وتظليل الغمام عليهم، وإنزال المن والسلوى.
- 4- لقد تبين الفارق الواضح في هذه القصة بين الكافرين وبين المؤمنين، فقد أغرق الله الكفار الأشداء، ونجى المؤمنين، وجعل العاقبة للمتقين، والنصر للصادقين الصابرين المستضعفين، وهذا عدل من الله تعالى، إذ لا يعقل التسوية بين الطائعين والعصاة، فليعتبر بهذا كفار قريش وأمثالهم، فقد أهلك الله من هم أشد منهم قوة وأكثر أموالاً وأولاداً، وأعز سلطاناً ومجداً، وأقوى علماً وحضارة.⁽³⁾

¹ - انظر: التفسير المنير، للزحيلي (226 / 25).

² - أيسر التفاسير، للجزائري (14 / 5).

³ - انظر: التفسير المنير، للزحيلي (226 / 25).

المبحث الثالث

المقاصد والأهداف لسورة الدخان الآيات (33-40)

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: تقرير عقيدة البعث والجزاء.

المطلب الثاني: الإجمام هو سبب الهلاك والدمار .

المطلب الثالث: تنزه الرب تعالى عن اللعب والعبث .

المطلب الرابع: لا تنفع قرابة ولا خلة يوم القيامة إلا المتقين

المطلب الأول: تقرير عقيدة البعث والجزاء

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ لَيَقُولُونَ * إِنْ هِيَ إِلَّا مَوْتَتُنَا الْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُنشَرِينَ * فَأْتُوا بِآبَائِنَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (الدخان: 34-36).

أولاً: المناسبة:

بعد أن ذكر الله تعالى قصة فرعون وقومه مع موسى عليه السلام ، ليتعظ بها كفار قريش، عاد إليهم بعد أن وصفهم أولاً بأنهم في شك من البعث والقيامة، وأنهم في إصرارهم على كفرهم مثل قوم فرعون الذين أهلكهم ونجى بني إسرائيل منهم ، وذكر هنا صراحة أنهم منكرون للبعث والقيامة، ثم خاطبوا من وعدوهم بالنشور والبعث، وهم النبي (ﷺ) وأصحابه الكرام وقالوا لهم: (فَأْتُوا بِآبَائِنَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ).⁽¹⁾

ثانياً: المعنى العام:

يخبر الله تعالى عن علمه المطلق بأحوال الكافرين وإنكارهم للبعث والجزاء، فهو سبحانه وتعالى اعلم بهم حيث يقول تعالى (إِنَّ هَؤُلَاءِ) أي: "المكذبين يقولون مستبشرين للبعث والنشور"⁽²⁾: (إِنْ هِيَ إِلَّا مَوْتَتُنَا الْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُنشَرِينَ) أي: إن هؤلاء الكافرين ليقولون على سبيل الجزم والتكذيب للبعث: ما الموتة التي نموتها في نهاية حياتنا الدنيوية، ليست إلا الموتة النهائية لا حياة بعدها ولا بعث ولا نشور، ومرادهم من الأولى: إنكار الموعد الذي يوعدهون للبعث والنشور.

قال بعض العلماء: وذلك أنهم لما وعدوا بعد الحياة الدنيا حالتين أخريين. وهم بذلك متناقضون حيث أن الموتة الأولى مقصود بها الموت، والأخرى حياة البعث، فهم بذلك أثبتوا الحالة الأولى وهي الموت، ونفوا ما بعدها، وسموها أولى مع أنهم اعتقدوا أنه لا شيء بعدها، لأنهم نزلوا جحدهم على الإثبات فجعلوها أولى على ما ذكرت لهم،⁽³⁾ ومما يؤكد جحودهم وإصرارهم على الكفر والعصيان ما طلبوه من النبي (ﷺ) بقولهم: {فَأْتُوا بِآبَائِنَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ}: فقد خاطبوا الرسول (ﷺ) والمؤمنين على وجه التعجيز بقولهم: أحيوا لنا آبائنا ليخبرونا بصدقكم إن كنتم صادقين...⁽⁴⁾، " فإن الكفار احتجوا على نفي الحشر والنشر بأن قالوا: إن كان البعث والنشور ممكناً معقولاً فاجعلوا لنا إحياء مَنْ مات من آبائنا ليصير ذلك دليلاً عندنا على صدق دعواكم في البعث يوم القيامة"⁽⁵⁾

¹ - انظر: التفسير المنير للزحيلي (25 / 228).

² - انظر: تيسير الكريم الرحمن، للسعدي (ص: 774).

³ - انظر: التفسير الوسيط، لطنطاوي (13 / 131).

⁴ - انظر: صفوة التفاسير، للصابوني (3 / 163).

⁵ - تفسير مفاتيح الغيب ، للرازي (27 / 662).

ثالثاً: معاني المفردات:

- {إِنَّ هَؤُلَاءِ}: يَعْنِي مُشْرِكِي مَكَّةَ. (1)
{وَمَا نَحْنُ بِمُنْشَرِينَ} أَي: بِمَبْعُوثِينَ أَحْيَاءَ بَعْدَ النَّانِيَةِ. (2)
{فَأْتُوا بِآبَائِنَا}: أَحْيَاهُمْ لَنَا ، {إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ}: فِيمَا تَقُولُونَهُ عَنِ الْبَعْثِ. (3)

رابعاً: البلاغة:

- {إِنَّ هَؤُلَاءِ}: الإِشَارَةُ هُنَا لِلْقَرِيبِ: وَتَفِيدُ التَّحْقِيرَ وَالتَّهْوِينَ مِنْ شَأْنِ الْكَافِرِينَ.
- {فَأْتُوا بِآبَائِنَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ} أَسْلُوبٌ إِنشَائِي نَوْعُهُ أَمْرٌ غَرَضُهُ الْبَلَاغِي التَّعْجِيزُ.

خامساً: ما يستفاد من الآيات:

- 1- لا يؤمن المشركون بالبعث، فهم قوم ماديون دهيون كما في آية أخرى، {وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا، وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ} [الجنّة: 24].
2- احتج المشركون بحجة واهية وهي الإتيان بآبائهم وأجدادهم أحياء، بعد أن ماتوا، وتلك مغالطة، لأن المقصود بالبعث: هو إحياء جميع الخلق بعد فناء الدنيا، ولأن الإعادة إنما هي للجزء لا للتكليف مرة أخرى. (4)
3- إن المشركين بطلبهم الإتيان بآبائهم وأجدادهم أحياء يغفلون عن حكمة البعث والنشور ولا يدركون أنها حلقة من حلقات النشأة البشرية، ذات حكمة خاصة وهدف معين، للجزء على ما كان في الحلقة الأولى، والوصول بالطائعين إلى النهاية الكريمة التي تؤهلهم لها خطواتهم المستقيمة في رحلة الحياة الدنيا والوصول بالعصاة إلى النهاية الحقيرة التي تؤهلهم لها خطواتهم المنتكسة المرتكسة في الحماة المستقرة. (5)
4- استبعاد الكفار للبعث والنشور ليس على سبيل التأكيد والتحقيق، وإنما جاء على سبيل الإنكار والجدود، فهم بذلك متناقضون مضطربون، فإنهم بذلك حكموا على أنفسهم بالكفر والخلود في النار، لأنهم أنكروا البعث، فقد نفى الله عنهم صفة الإيمان كما جاء "عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: كَانَ ﴿ﷺ﴾ يَوْمًا بَارِزًا لِلنَّاسِ، فَأَتَاهُ رَجُلٌ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا الْإِيمَانُ؟ قَالَ: «أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكِتَابِهِ، وَلِقَائِهِ، وَرُسُلِهِ، وَتُؤْمِنَ بِالْبَعْثِ الْآخِرِ». (6)

1- تفسير البغوي (7/ 233).

2- تفسير الجلالين: جلال الدين السيوطي، جلال الدين المحلي (ص: 658).

3- أوضح التفاسير، لابن الخطيب (1/ 609)

4- انظر: التفسير المنير، للزحيلي (25/ 231).

5- في ظلال القرآن، لسيد قطب (5/ 3215).

6- صحيح مسلم: باب: الإِيمَانُ مَا هُوَ وَبَيَانُ خِصَالِهِ، (1/ 39).

5- حكمة البعث والنشور تقتضي مجيء البعث والنشور بعد انقضاء مرحلة الأرض كلها وتمنع أن يكون البعث لعبة تتم حسب رغبة أو نزوة بشرية لفرد أو لجماعة محدودة من البشر، كي يصدقوا بالبعث والنشور! وهم لا يكمل إيمانهم إلا أن يشهدوا بالغيب على هذه القضية، التي يخبرهم بها الرسل ويقتضيها التدبر في طبيعة هذه الحياة، وفي حكمة الله في خلقها على هذا الأساس. وهذا التدبر وحده يكفي للإيمان بالآخرة، والتصديق بالنشور.⁽¹⁾

6- لا مجال لإنكار الموت، بل ينبغي الإيمان به ، لان الإيمان والعمل الصالح هو سبيل النجاة من النار، والفوز بالجنة يوم القيامة، ومما يؤكد ذلك قوله تعالى: {كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحِرَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ} [آل عمران: 185].

¹ - في ظلال القرآن، لسيد قطب (5/ 3215).

المطلب الثاني: الإجرام هو سبب الهلاك والدمار

قال الله تعالى: ﴿أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمٌ تُبَعِّعُ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ أَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ﴾ (الدخان: 37).

أولاً: المناسبة:

بعد أن أنكر المشركون البعث والنشور وتوعدهم سبحانه وتعالى بالهلاك، كما أهلك قوم تبع من قبل والذين هم أقوى منهم، وذكر بان الإجرام هو سبب الهلاك والدمار كما دلت الآية السابقة.

ثانياً: المعنى العام:

يبين الله تعالى في هذه الآية الكريمة ، كيف خاطب أهل الكفر والجحود بخطاب العقل والمنطق وذلك للاتعاظ والعبرة فقال تعالى: (أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمٌ تُبَعِّعُ) فليس المقصود بالخطاب هنا النبي (ﷺ) وإنما خاطب نبيه وأراد بذلك قومه .

"وانما ذكر قوم تبع، لأنهم كانوا أقرب إلى أهل مكة في الهلاك من غيرهم"⁽¹⁾، وقوله (وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ أَهْلَكْنَاهُمْ) يقول تعالى ذكره: أهؤلاء المشركون من قريش خير أم قوم تبع الحميري، والذين من قبلهم من الأمم الكافرة بريها، يقول: فليس هؤلاء بخير من أولئك، فنصفح عنهم، ولا نهلكهم، وهم بالله كافرون، كما كان الذين أهلكناهم من الأمم من قبلهم كفارا. وقوله (إِنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ) يقول: إن قوم تبع والذين من قبلهم من الأمم الذين أهلكناهم إنما أهلكناهم لإجرامهم، وكفرهم بريهم.⁽²⁾

ثالثاً: معاني المفردات:

{أَهُمْ خَيْرٌ} أي: أظهر نعمة وأكثر أموالاً، أو أعز وأشد.⁽³⁾
{قَوْمٌ تُبَعِّعُ}: لَيْسَ الْمُرَادُ بِتُبَعِّعِ رَجُلًا وَاحِدًا بَلِ الْمُرَادُ بِهِ مُلُوكُ الْيَمَنِ، فَكَانُوا يُسَمُّونَ مُلُوكَهُمُ التَّبَاعَةَ. فَتُبَعِّعُ لَقَبٌ لِلْمَلِكِ مِنْهُمْ كَالْخَلِيفَةِ لِلْمُسْلِمِينَ.⁽⁴⁾
{والذين من قبلهم}: من الكفار.⁽⁵⁾

رابعاً: البلاغة:

- أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمٌ تُبَعِّعُ.. استفهام تقريرى غرضه الإنكار والتحقير والاستصغار، وقد جاء على سبيل التقرير والتوبيخ.

خامساً: ما يستفاد من الآيات:

¹ - بحر العلوم ، للسمرقندي (3 / 272).

² - انظر: جامع البيان، للطبري (22 / 40).

³ - تفسير القرآن للعز بن عبد السلام (3 / 171).

⁴ - تفسير: الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (16 / 144).

⁵ - الوجيز، للواحدى (ص: 985).

- 1- الإِجْرَامُ هُوَ سَبَبُ الْهَلَاكِ وَالْذِمَارِ كَيْفَمَا كَانَ فَاعْلَهُ.
- 2- يَنْجِي اللهُ الْمُؤْمِنِينَ وَيُهْلِكُ الْكَافِرِينَ، فَان تَبَعَ الْحَمِيرِي كَانَ عَبْدًا صَالِحًا مُلْكًا حَاكِمًا وَكَانَ قَوْمَهُ كَافِرِينَ فَأَهْلَكَهُمْ اللهُ وَأَنْجَاهُ وَمَنْ مَعَهُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ الصَّالِحِينَ فِي هَذَا الْمَلِكِ الصَّالِحِ عِبْرَةٌ لِمَنْ يَعْتَبِرُ. (1)
- 3- لَمْ يَذَكَرْ كُفَارَ مَكَّةَ فِي نَفْيِ الْحَشْرِ وَالنَّشْرِ شَبْهَةً حَتَّى يَجَابَ عَنْهَا، وَلَكِنْهُمْ أَصْرُوا عَلَى الْجَهْلِ وَالتَّقْلِيدِ فِي ذَلِكَ الْإِنْكَارِ، لَذَا اقْتَصَرَ اللهُ تَعَالَى عَلَى الْوَعِيدِ وَالتَّهْدِيدِ، بِأَنْ يَتَعَرَّضُوا لِلْهَلَاكِ مِثْلَمَا أَهْلَكَ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَقَوْمَ تَبَعٍ. (2)

¹- أَيْسَرُ التَّفَاسِيرِ، لِلْجَزَائِرِيِّ (5/ 16, 17).

²- انظُرْ: التَّفْسِيرَ الْمُنِيرَ، لِلزَّحِيلِيِّ (25/ 232).

المطلب الثالث: تنزه الرب تعالى عن اللعب والعبث

قال الله تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لِأَعْيُنٍ * مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (الدخان: 38-39).
أولاً: المناسبة:

العلاقة بين السموات والأرض ، والبعث والنشور علاقة وطيدة و دقيقة ، فهي لفظة لطيفة،⁽¹⁾ حيث ذكر الله قضية البعث والنشور ثم لفت - سبحانه وتعالى- أنظار الناس إلى التفكير في خلق السموات والأرض فقال: وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا....⁽²⁾

ثانياً: المعنى العام:

بين الله تعالى عظيم قدرته ، وكمال خلقه وحكمته في خلق هذا الكون بإتقان، قائلاً (وما خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لِأَعْيُنٍ) أي: وما خلقنا الخلق عبثاً بأن نوجدهم ثم نفيهم بغير امتحان بطاعتنا، واتباع أمرنا ونهينا، وبغير مجازة للمطيع على طاعته، والعاصي على معصيته، بل خلقناهم لنبتلى من أردنا امتحانه منهم بما شئنا، ولنجزى الذين أساءوا بما عملوا، ونجزى الذين أحسنوا بالحسنى⁽³⁾ .

(مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ) أي: ما خَلَقْنَاهُمَا وأظهرناهما على هذا النمط العظيم، والنظام العجيب ... إِلَّا بِالْحَقِّ ليستدلوا بها على وحدة ذاتنا وكمال علمنا وقدرتنا ومثانة حكمتنا واستقلالنا في تدبيراتنا وتصرفاتنا في ملكنا وملكوتنا، وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لِقِصُورِ نَظَرِهِمْ عَنِ إِدْرَاكِ الْحِكْمِ وَالْأَسْرَارِ الْإِلَهِيَّةِ لَا يَعْلَمُونَ وَلَا يَشْعُرُونَ إِلَّا الْمَحْسُوسَاتِ الْمَادِيَّةِ ، فان أولئك الحمقى الهلكى قاصرون عن النظر والاستدلال.⁽⁴⁾

ثالثاً: معاني المفردات:

{لِأَعْيُنٍ}: "غائبين، أو لاهين".⁽⁵⁾
{إِلَّا بِالْحَقِّ} أي: مُحَقِّقِينَ فِي ذَلِكَ لِيُسْتَدَلَّ بِهِ عَلَى قُدْرَتِنَا وَوَحْدَانِيَّتِنَا وَغَيْرِ ذَلِكَ {وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ} أي: كُفَّارِ مَكَّة.⁽⁶⁾

¹ - انظر: في ظلال القرآن ، لسيد قطب(5 / 3216).

² - انظر: التفسير الوسيط، لطنطاوي (13 / 132).

³ - انظر: تفسير المراغي (25 / 132).

⁴ - انظر: الفواتح الإلهية والمفاتيح الغيبية، النخجواني (2 / 310).

⁵ - تفسير القرآن: للعز بن عبد السلام (3 / 171).

⁶ - تفسير الجلالين: جلال الدين السيوطي، وجمال الدين المحلى (ص: 659).

رابعاً: البلاغة:

(وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لِاعْبِيدِنَا): أسلوب نهى غرضه التوبيخ للكفار والمشركين.

خامساً: ما يستفاد من الآيات:

1- لم يخلق الله السموات والأرض عبثاً ولهواً، وإنما خلقهما بالأمر الحق، وللحق، وإقامة الحق وإظهاره من توحيد الله والتزام طاعته، ولكن أكثر الناس وهم في الماضي مشركو مكة لا يعلمون ذلك. (1)

2- تنزه الرب تعالى عن اللعب والعبث فيما يخلق ويهب، ويأخذ ويعطي ويمنع. (2)

3- التكرار في قول الله تعالى: انه لم يخلق السماء والأرض عبثاً في أكثر من موضع في القرآن الكريم قضية تدل على زيادة الأهمية، ومما يؤكد ذلك قوله تعالى: (أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ) [المؤمنون: 115].

¹- التفسير المنير، للزحيلي (25 / 232).

²- أيسر التفاسير، للجزائري (5 / 17).

المطلب الرابع: لا تنفع قرابة ولا خلة يوم القيامة إلا المتقين

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ يَوْمَ الْفُصْلِ مِيقَاتُهُمْ أَجْمَعِينَ * يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلَى عَنْ مَوْلَى شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ * إِلَّا مَنْ رَحِمَ اللَّهُ إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ (الدخان: 40-42).

أولاً: المناسبة:

بعد أن ذكر الله قضية خلق السماوات والأرض وعدم العبث في خلقهما، بين سبحانه - أن يوم القيامة آت لا ريب فيه، وسيحكم سبحانه وتعالى في هذا اليوم بين الناس بحكمه العادل فقال: (إِنَّ يَوْمَ الْفُصْلِ مِيقَاتُهُمْ أَجْمَعِينَ)⁽¹⁾، "وبعدما ذكر هذا اليوم الذي دل على عظمته بهذه العبارة إفراداً وتركيباً، ذكر من وصفه ما يحمل على الخوف والرجاء"⁽²⁾.

ثانياً: المعنى العام:

يصف الله تعالى يوم القيامة بيوم الفصل بقوله تعالى: (إِنَّ يَوْمَ الْفُصْلِ مِيقَاتُهُمْ أَجْمَعِينَ) أي إن هذا اليوم الذي يفصل الله فيه بين خلقه، فيحق الحق، ويبطل الباطل، لآت لا محالة وهو وقت حسابهم، وجزائهم على ما كسبت أيديهم من خير أو شر.

وَفِي تَسْمِيَةِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ بِيَوْمِ الْفُصْلِ وَجُوهٌ :

الأول: قَالَ الْحَسَنُ: يَفْصِلُ اللَّهُ فِيهِ بَيْنَ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَأَهْلِ النَّارِ.

الثاني: يَفْصِلُ فِي الْحُكْمِ وَالْقَضَاءِ بَيْنَ عِبَادِهِ .

الثالث: أَنَّهُ فِي حَقِّ الْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ الْفُصْلِ، بِمَعْنَى أَنَّهُ يَفْصِلُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ كُلِّ مَا يَكْرَهُهُ، وَفِي حَقِّ الْكُفَّارِ، بِمَعْنَى أَنَّهُ يَفْصِلُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ كُلِّ مَا يُرِيدُهُ.

الرابع: أَنَّهُ يَظْهَرُ حَالُ كُلِّ أَحَدٍ كَمَا هُوَ، فَلَا يَبْقَى فِي حَالِهِ رَبِيبٌ وَلَا شُبْهَةٌ، فَتَنْفَصِلُ الْخَيَالَاتُ وَالشُّبُهَاتُ، وَتَبْقَى الْحَقَائِقُ وَالْبَيِّنَاتُ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: الْمَعْنَى أَنَّ يَوْمَ يَفْصِلُ الرَّحْمَنُ بَيْنَ عِبَادِهِ مِيقَاتُهُمْ أَجْمَعِينَ الْبَرِّ وَالْفَاجِرِ⁽³⁾ .

وقوله (يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلَى عَنْ مَوْلَى شَيْئًا) يصف تعالى ذلك اليوم العصيب، وما حل بالكفار من عقوبة الله، ومعلوم أن ذلك اليوم هو يوم القيامة، ولكنه جاء بصيغة النكرة، للدلالة على أن ذلك اليوم لا يعلم وقته إلا الله تعالى، و عبر أيضاً بقوله مولى ليؤكد على قضية هامة وخطيرة تدخل في صلب العقيدة الإسلامية إلا وهي قضية الولاء والبراء.

¹ - انظر: التفسير الوسيط، لطنطاوي (132/13)

² - نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، للبقاعي (18 / 42,41)

³ - مفاتيح الغيب، للفخر الرازي (27 / 663).

(وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ) يقول: ولا ينصر بعضهم بعضاً، فيستعينوا ممن نالهم بعقوبة كما كانوا يفعلونه في الدنيا⁽¹⁾، بل يندم الكافر يوم القيامة اشد الندم ، ويعض على يديه ويتمنى لو انه اتبع الرسول ، كما قال تعالى: (وَيَوْمَ يَعَضُ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا * يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا * لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا) [الفرقان: 27 - 29].

{إِلَّا مَنْ رَحِمَ اللَّهُ إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ} فإنه هو الذي ينتفع ويرتفع برحمة الله تعالى التي تسبب إليها وسعى لها سعيها في الدنيا.⁽²⁾

ثالثاً: معاني المفردات:

{مِيقَاتُهُمْ} أي: ميعادهم أَجْمَعِينَ.⁽³⁾

{يَوْمَ لَا يُغْنِي} لا ينفع، ولا يدفع، {مَوْلَى عَنِ مَوْلَى} المولى: الصاحب، والصديق، والقريب.⁽⁴⁾

{إِلَّا مَنْ رَحِمَ اللَّهُ} : وَهُمْ الْمُؤْمِنُونَ ، {إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ} الغالب في انتقامه مِنَ الْكُفَّارِ.⁽⁵⁾

رابعاً: البلاغة:

- التَّكْيِيدُ بِ أَجْمَعِينَ لِلتَّنْصِيفِ عَلَى الإِحَاطَةِ وَالشُّمُولِ، أَي مِيقَاتٍ لِحَرَائِمِهِمْ كُلِّهِمْ لَا يُفْلِتُ مِنْهُ أَحَدٌ مِنْهُمْ تَقْوِيَةً فِي الْوَعِيدِ وَتَأْيِيسًا مِنَ الإِسْتِنَاءِ.⁽⁶⁾
- وَتَنْكِيرُ مَوْلَى فِي سِيَاقِ النَّفْيِ لِإِفَادَةِ الْعُمُومِ، أَي لَا يُغْنِي أَحَدٌ مِنَ الْمَوَالِي كَائِنًا مَنْ كَانَ عَنْ أَحَدٍ مِنْ مَوَالِيهِ كَائِنًا مَنْ كَانَ.
- وَتَنْكِيرُ شَيْئًا لِلتَّقْلِيلِ وَهُوَ الْغَالِبُ فِي تَنْكِيرِ لَفْظِ شَيْءٍ، وَوُقُوعُهُ فِي سِيَاقِ النَّفْيِ لِلْعُمُومِ أَيْضًا...⁽⁷⁾

خامساً: ما يستفاد من الآيات:

- 1- إن يوم القيامة هو يوم الحسم النهائي في مصير الخلائق، وهو يوم الفصل؛ لأن الله تعالى يفصل فيه بين خلقه، فيتميز المسيء من المحسن، والمبطل من المحق، ويكون هناك فريقان: فريق في الجنة، وفريق في السعير، وهذا غاية في التحذير والوعيد.

¹ - جامع البيان، للطبري (42 / 22).

² - تيسير الكريم الرحمن، للسعدي (ص: 774).

³ - زاد المسير في علم التفسير، بن محمد الجوزي (93 / 4).

⁴ - أوضح التفاسير، لابن الخطيب (609 / 1).

⁵ - تفسير الجلالين، جلال الدين السيوطي، جلال الدين المحلي (ص: 659).

⁶ - التحرير والتنوير، لابن عاشور (312,311 / 25).

⁷ - المرجع السابق (312 / 25).

- 2- فقد الاعوان والمناصرين لاعوانهم من اهل الضلال والطغيان، والتخلى عنهم يوم القيامة، فكما انهم اتبعوهم فى الدنيا على ضلال ، فانهم يتخلوا عنهم يوم أن يفصل الله فيه بين الخلائق.
- 3- من خصائص يوم القيامة: فقد النصرء والأعوان والأقارب، فلا ينصر المؤمن الكافر لقربته، لكن من رحمه الله فإنه ينجو وينتصر بنصر الله، ولا يحتاج إلى معونة المخلوقين، والله -سبحانه- فى ذلك اليوم هو المنتقم من أعدائه، الرحيم بأوليائه.⁽¹⁾
- 4- يوم القيامة هو يوم الفصل ميعاد الخليقة كلها حيث تجمع الخلائق لفصل القضاء.⁽²⁾

¹- التفسير المنير، للزحيلي (237 / 25).

²- انظر: أيسر التفاسير، للجزائري (17 / 5).

المبحث الرابع

المقاصد والأهداف لسورة الدخان الآيات (41-49)

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: الزقوم طعام أهل النار.

المطلب الثاني: عظم عذاب النار.

المطلب الثالث: من أنواع العذاب في النار العذاب النفسي.

المطلب الرابع: استحقاق العذاب بالكافرين .

المطلب الأول: الزقوم طعام أهل النار

قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ شَجَرَةَ الزُّقُومِ * طَعَامُ الْأَثِيمِ * كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ * كَغَلِيِّ الْحَمِيمِ ﴾ (الدخان: 43-46).

أولاً: سبب النزول:

"روى أنه لما نزل (أَذَلِكْ خَيْرٌ نُزُلًا أَمْ شَجَرَةُ الزُّقُومِ) قال ابن الزبير: إن أهل اليمن يدعون أكل الزيد والتمر: التزقم، فدعا أبو جهل بتمر وزيد فقال: تزقموا فإن هذا هو الذي يخوفكم به محمد، فنزل قوله تعالى: (إِنَّ شَجَرَةَ الزُّقُومِ طَعَامُ الْأَثِيمِ)".⁽¹⁾

ثانياً: المناسبة:

لما ذكر تعالى يوم القيامة وأنه يفصل فيه بين عباده، ذكر افتراقهم إلى فريقين: فريق في الجنة، وفريق في السعير وهم: الآثمون بعمل الكفر والمعاصي، وأن طعامهم من {شَجَرَةِ الزُّقُومِ} وهى شر الأشجار وأخبثها وأفظعها، وأن طعامها {كَالْمُهْلِ}.⁽²⁾

ثالثاً: المعنى العام:

توعد الله تعالى الكافرين يوم القيامة بسوء العاقبة والمآل، فوصف حالهم في جهنم، وما أعدة الله لهم من شر الأطعمة فيها، وذلك بسبب كفرهم وعصيانهم للرسول، واصفاً تلك الشجرة بقوله تعالى: (إِنَّ شَجَرَةَ الزُّقُومِ، طَعَامُ الْأَثِيمِ) أي إن الزقوم وهو ثمر هذه الشجرة التي في الجحيم، يكون طعاماً للكافر كثير الذنوب والآثام.⁽³⁾

(كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ، كَغَلِيِّ الْحَمِيمِ): يبدأ سبحانه وتعالى المشهد بعرض لشجرة الزقوم، بعد تقرير أنها طعام الأثيم، عرض مفزع مرعب مخيف، فإن هذا الطعام مثل دردي الزيت المغلي، وهو المهل، يغلي في البطن كغلي الحميم، فيكون جزاءً للأثيم المتعالي على ربه وعلى الرسول الأمين، وهذا هو الأمر العالي يصدر إلى الزبانية ليأخذه في عنف يليق بمقامه «الْكَرِيمِ».⁽⁴⁾

وهذا توبيخ وتحقير لهم، فإن شجرة الزقوم تنبت في جهنم، ومع ذلك فإنها لا تحترق، ليكون ذلك وبالاً عليهم وحسرةً وندامةً لهم على ما اقترفته أيديهم من كفر و معاصي وذنوب.

¹ - الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، للزمخشري (4 / 281).

² - انظر: تيسير الكريم الرحمن، للسعدي (ص: 774).

³ - انظر: تفسير المراعي (25 / 134).

⁴ - انظر: في ظلال القرآن، لسيد قطب (5 / 3217).

فقد وصفها الله في كتابه العزيز في موضع آخر فقال: «إنها شجرة تخرج في أصل الجحيم، طلعتها كأنه رؤوس الشياطين» وهي فعول من الزقم: اللقم الشديد، والشرب المفرط.⁽¹⁾

رابعاً: معاني المفردات:

"شجرة الزقوم": أي الشجرة التي تثمر الزقوم، وهي من أخبث الشجر ثمراً و مرارة وقبحاً..⁽²⁾ ولفظ الزقوم: اسم لتلك الشجرة، أو من الزقم بمعنى الانتقام والابتلاع للشيء، {الأثيم}: الكثير الآثام والسيئات، والمراد به الكافر لدلالة ما قبله عليه ، {المهل}: هو النحاس المذاب، أو رديء الزيت الحار.⁽³⁾

"طَعَامُ الْأَثِيمِ أي طعام الفاجر".⁽⁴⁾

{كَالْمُهْلِ} أي الصديد المُنْتِنِ خَبِيثِ الرِيحِ والطعم، شديد الحرارة.⁽⁵⁾

يَغْلِي: الْغَلْيَانُ: شِدَّةُ تَأْتِرِ الشَّيْءِ بِحَرَارَةِ النَّارِ.

{الْحَمِيمِ}: الماء الساخن.⁽⁶⁾

خامساً: البلاغة:

- السجع الرصين غير المتكلف الذي يزيد في رونق الكلام وجماله في قوله تعالى: {إِنَّ شَجَرَةَ الزَّقُومِ طَعَامُ الْأَثِيمِ كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ كَغَلِي الْحَمِيمِ}.⁽⁷⁾
- إسنَادُ الْغَلْيَانِ إِلَى الشَّجَرَةِ مَجَازٌ وَإِنَّمَا الَّذِي يَغْلِي ثَمْرُهَا.⁽⁸⁾
- التشبيه المرسل المجمل: في قوله تعالى: {كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ، كَغَلِي الْحَمِيمِ}،⁽⁹⁾ والتشبيه المرسل المرسل هو ما ذكرت فيه أداة التشبيه (الكاف) ووجه الشبه (الغليان).

سادساً: اللطائف البيانية:

- التأكيد بقوله تعالى : {إِنَّ} للدلالة على وقوع العذاب بالكافرين.

¹- النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير (2/ 306)

²- أيسر التفاسير، للجزائري (5/ 17).

³- التفسير الوسيط، لطنطاوي (13/ 133).

⁴- غريب القرآن (1/ 347)، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (المتوفى: 276هـ)، تحقيق: سعيد اللحام.

⁵ تفسير غريب القرآن (44/ 45) كاملة بنت محمد بن جاسم بن علي آل جهام الكواري، دار بن حزم، الطبعة: الأولى، 2008.

⁶- التفسير الواضح، للحجازي (3/ 417).

⁷- صفوة التفاسير، للصابوني (3/ 166).

⁸- التحرير والتنوير، لابن عاشور (25/ 315).

⁹- التفسير المنير، للزحيلي (25/ 233).

- تقديم شجرت الزقوم على طعام الأثيم، فيه زيادة توبيخ لهم.

سابعاً: القراءات:

{إِنَّ شَجَرَةَ الزَّقُومِ طَعَامٌ لِّلْأَثِيمِ كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ}.

قَرَأَ ابْنُ كَثِيرٍ وَحَفْصٌ {يَغْلِي فِي الْبُطُونِ} بِالْيَاءِ رَدَّ عَلَى {الْمُهْلِ وَالطَّعَامِ}، وَقَرَأَ الْبَاقُونَ : تَغْلِي بِالتَّاءِ رَدَّ عَلَى {الشَّجَرَةِ}.⁽¹⁾

ثامناً: ما يستفاد من الآيات:

- 1- إن طعام أهل النار وهم الآثمون الفجار هو الثمر الشديد المرارة من شجرة الزقوم التي لا تقبل الاحتراق في النار، وهو لشدة حرارته وردائه يغلي في بطون الكفار، كغلي الماء الشديد السخونة، فإذا جاع أهل النار أكلوا منها، فغلت في بطونهم كما يغلي الماء الحار.⁽²⁾
- 2- توبيخ الكفار ووصفهم بالآثمين، فيه تحقير واستهزاء لهم.

¹- انظر: حجة القراءات، لابن زنجلة (ص: 657).

²- التفسير المنير، للزحيلي (237 / 25).

المطلب الثاني: عظم عذاب النار

قال الله تعالى: ﴿ خُذُوهُ فَاعْتَلُوهُ إِلَى سَوَاءِ الْجَحِيمِ * ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ ﴾
(الدخان: 47-48).

أولاً: المناسبة:

بعد أن بين الله تعالى كيف يكون حال الأثيم، وأن العذاب يحيط به من جميع الجوانب، يأكل هذا الطعام، وما حمله عليه إلا القهر الذي يقتضيه صفة العزة ، بين لوناً جديداً من ألوان القهر بقوله تعالى: {خذوه} أي أخذ قهر فلا تدعوه يملك من أمره شيئاً {فاعتلوه} أي جروه بقهر بغلظة وعنف وسرعة إلى العذاب والإهانة بحيث يكون كأنه محمول، ثم بين أن له نوعاً آخر من النكد ، فقال تعالى: {ثم صبوا} أي في جميع الجهة التي هي {فوق رأسه} وإنما أراد الرأس، ليكون المصبوب محيطاً بجميع جسمه {من عذاب الحميم} أي العذاب الذي يغلي به الحميم أو الذي هو الحميم نفسه.⁽¹⁾

ثانياً: المعنى العام:

يظهر الله تعالى عظيم قدرته ، وكمال قوته، بتنفيذ أوامره سبحانه وتعالى لملائكته قائلاً لهم: ﴿خُذُوهُ فَاعْتَلُوهُ إِلَى سَوَاءِ الْجَحِيمِ﴾ أي يقال للزبانية «خدم جهنم» خذوا هذا المجرم فادفعوه دفعاً إلى وسط جهنم، لينال قسطه من عذابها.⁽²⁾، {ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ} يقول تعالى ذكره: "ثم صبوا على رأس هذا الأثيم من عذاب الحميم، يعني: من الماء المسخن الذي وصفنا صفته"⁽³⁾، وهو الماء الذي قال الله (يُصْهِرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ). [الحج: 20].

فان الله تعالى في هذه الآية: خص رأس الإنسان ،على سبيل التتكيل به مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ صبا يذله ويوجعه ويجعل رأسه تغلي من شدة حرارة هذا الماء⁽⁴⁾.
فمن خلال ذلك الوصف الدقيق لجهنم والعياذ بالله ، نذكر بعض صفات جهنم وأهلها.

¹- انظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، للبقاعي (18 / 45,46).

²-انظر: تفسير المراغي (25 / 135).

³- تفسير: جامع البيان، للطبري (22 / 48).

⁴-انظر: التفسير الوسيط، لطنطاوي (13 / 134).

صفات جهنم:

أولاً: سعة النار وبعد قعرها:

- 1- النار شاسعة واسعة، بعيد قعرها، مترامية أطرافها⁽¹⁾، وقد أخبرنا الله بهذه الحقيقة في سورة ق فقال: (ويوم نقول لجهنم هل امتلأت وتقول هل من مزيد). [ق: 30].
- 2- عن أنس بن مالك، أن نبي الله (ﷺ) قال: " لَا تَزَالُ جَهَنَّمُ تَقُولُ: هَلْ مِنْ مَزِيدٍ، حَتَّى يَضَعَ فِيهَا رَبُّ الْعَرْسَةِ، تَبَارَكَ وَتَعَالَى، قَدَمَهُ فَتَقُولُ: قَطُّ قَطُّ، وَعِرَّتِكَ وَيُرْوَى بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ " ⁽²⁾
- 3- قال عتبة بن غزوان على منبرنا هذا منبر البصرة ، عن النبي (ﷺ) قال: «إن الصخرة العظيمة لتلقى من شفير جهنم فتهدوي فيها سبعين عاما وما تقضي إلى قرارها» قال: وكان عمر، يقول: «أكثرها ذكر النار فإن حرها شديد، وإن قعرها بعيد، وإن مقامها حديد». ⁽³⁾

ثانياً: دركات النار:

- 1- النار متفاوتة في شدة حرها، وما أعده الله من العذاب لأهلها، فليست درجة واحدة، وقد قال الحق تبارك وتعالى: (إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار) [النساء: 145]، والعرب تطلق: " الدرك " على كل ما تسافل، كما تطلق: " الدرج " على كل ما تعالي، فيقال: للجنة درجات وللنار دركات، وكلما ذهبت النار سفلاً كلما علا حرها واشتد لهيبها. ⁽⁴⁾

ثالثاً: أبواب النار:

أخبر الله تعالى أن للنار سبعة أبواب كما جاء في قوله تعالى: (وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ * لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ). [الحجر: 43 - 44].

رابعاً: وقود النار:

الأحجار والفجرة الكفار وقود النار، كما قال الحق: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ) [التحريم: 6]. وقال: (فَانقُوتُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ) [البقرة: 24].

والمراد بالناس الذين توقد النار بهم الكفرة المشركون، وأما نوع الحجارة التي تكون للنار وقوداً فالله أعلم بحقيقتها. ⁽⁵⁾

1 - الجنة والنار (ص: 22)، عمر بن سليمان بن عبد الله الأشقر العتيبي، دار النفائس للنشر والتوزيع، الأردن، الطبعة: السابعة، 1418 هـ، 1998 م.

2- صحيح مسلم، باب: النار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها الضعفاء (4/ 2187)، حديث رقم (2848).

3- سنن الترمذي: باب ما جاء في صفة قعر جهنم (4/ 702)، حديث رقم (2575)، حكم الألباني: صحيح.

4- الجنة والنار، للعتيبي (ص: 25).

5- الجنة والنار، للعتيبي (ص: 30).

خامساً: شدة حرها وعظم دخانها وشرارها:

قال تعالى: (وأصحاب الشمال ما أصحاب الشمال* في سموم وحميم* وظل من يحموم* لا بارد ولا كريم) . [الواقعة: 41 - 44].

سادساً: تأثير النار على الدنيا وأهلها:

اشتكتِ النَّارُ إِلَى رَبِّهَا، فَقَالَتْ: يَا رَبِّ أَكَلَّ بَعْضِي بَعْضًا، فَأَذِنَ لَهَا بِنَفْسَيْنِ، نَفْسٍ فِي الشِّتَاءِ وَنَفْسٍ فِي الصَّيْفِ، فَهَوَّ أَشَدُّ مَا تَجِدُونَ مِنَ الْحَرِّ، وَأَشَدُّ مَا تَجِدُونَ مِنَ الزَّمْهَرِيرِ.⁽¹⁾

ثالثاً: معاني المفردات:

{فَاعْتَلَوْهُ}: والعَتْلُ أن يُوْخَذَ فَيَمْضَى بِهِ بِعَسْفٍ وَشِدَّةٍ.⁽²⁾

{إلى سواء الجحيم}: وسط الجحيم.⁽³⁾

رابعاً: البلاغة:

(ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ): استعارة تمثيلية: حيث شبه العذاب وهو أمر معنوي بالشيء المادي الذي يصب وذلك كناية عن سرعة العذاب.

¹ - صحيح البخاري ، باب: الإبراد بالظهر في شدة الحر(1/ 113)، حديث رقم (537).

² - معاني القرآن وإعرابه، للزجاج (4/ 428).

³ - الوجيز، للواحدي (ص: 986).

خامساً: ما يستفاد من الآيات:

- 1- عظم عذاب النار وفضاعة ما يلاقيه ذوو الآثام الكبيرة فيها.⁽¹⁾
- 2- يتعرض أهل النار لأنواع كثيرة من الإهانة والذل، منها: أنهم بواسطة الزبانية يدفعون في النار على وجوههم دفعا قوياً جداً، ويساقون إليها سوقاً عنيفاً، ويلقون في وسط النار ليزوقوا عذابها الشديد.⁽²⁾

المطلب الثالث: من أنواع العذاب في النار العذاب النفسي

قال الله تعالى: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾ (الدخان:49).

أولاً: سبب النزول:

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾ {49} .

نزلت في عدو الله أبي جهل لقي النبي (ﷺ) فأخذه فهزه، ثم قال: أولى لك يا أبا جهل فأولى، ثم أولى لك فأولى، ذق إنك أنت العزيز الكريم، وذلك أنه قال: أبوعدني محمد، والله لأنا أعز من مشى بين جبليةا، وفيه نزلت.⁽³⁾

ثانياً: المناسبة:

لما علم أبو جهل أنه لا يملك من أمر نفسه شيئاً، ووصل إلى غاية الهوان، وكان يظن في نفسه من العظمة التي يترفع بها في الدنيا على أوامر الله، فقبل له تهكماً : {ذق} أي من هذا الذي أوصلك إليه غرورك على أولياء الله، وذلك أن أولياء الله من الرسل وأتباعهم، كانوا يخبرون في الدنيا أنه هو الدليل، وكان هذا الأثيم وأتباعه يكذبون بذلك، فجاء الأمر معللاً بالذوق: {إنك} ومؤكداً بقوله: {أنت} وحدك دون هؤلاء الذين يخبرون بحقارتك {العزيز} {الكريم}.⁽⁴⁾

¹ - أيسر التفاسير، للجزائري (5/ 18).

² - التفسير المنير، للزحيلي (25/ 237,238).

³ - تفسير جامع البيان، الطبري (22/ 48) .

⁴ - انظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، للبقاعي (18/ 46).

ثالثاً: المعنى العام:

يصف الله تعالى حال أبي جهل في نار جهنم وما وصل إليه من سوء العاقبة، بسبب كفره وجوده ، أمراً ملانكتته الكرام بأن يحقروه فيقولوا له: (ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ) أي: وقولوا له عند صبحكم وتعذيبكم على وجه التهكم والتوبيخ: ذُقْ أيها المتجبر الطاغي طعم العذاب الهائل إِنَّكَ فِي نَفْسِكَ وَعَلَى مَقْتَضَى زَعْمِكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ الغالب المقصور على الغلبة والكرامة بين أهل الوادي.⁽¹⁾

رابعاً: معاني المفردات:

{ذُقْ}: "أي العذاب".⁽²⁾

خامساً: البلاغة:

- {ذُقْ}: فيها استعارة حيث شبه هنا العذاب بالطعام الذي يذاق وعبر هنا بالاستعارة وذلك للإحساس بالعذاب الذي سيصيبه.
- {ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ}: فيها إيجاز بالحذف والتقدير: قولوا له .
- {ذُقْ}: أسلوب إنشائي نوعه أمر غرضه البلاغي الإهانة والتحقير والتهكم.

سادساً: القراءات:

{ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ}

قَرَأَ الْكَسَائِي {ذُقْ إِنَّكَ} بِالْفَتْحِ بِمَعْنَى ذُقْ لِإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ عِنْدَ نَفْسِكَ فِي دَعْوَاكَ فَأَمَّا عِنْدَنَا فَلَسْتَ عَزِيزًا وَلَا كَرِيمًا .
وَقَرَأَ الْبَاقُونَ {إِنَّكَ} بِالْكَسْرِ عَلَى الْإِبْتِدَاءِ عَلَى جِهَةِ الْحِكَايَةِ وَذَلِكَ أَنْ أَبَا جَهْلٍ كَانَ يَقُولُ مَا بِالْوَادِيِّ أَعَزُّ مِنِّي وَلَا أَكْرَمُ، فَالْمَعْنَى إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ فِي زَعْمِكَ وَفِيمَا تَقُولُهُ.⁽³⁾

سابعاً: ما يستفاد من الآيات:

من أشد أنواع العذاب في النار العذاب النفسي بالتهكم والسخرية من المعذبين ، وهو العذاب المهين الذي يهين المعذبين ويدوس كرامتهم.⁽⁴⁾

¹- انظر: الفواتح الإلهية والمفاتيح الغيبية ، للنخجواني (2 / 311).

²- تفسير الجلالين، لجلال الدين السيوطي ، جلال الدين المحلي (ص: 659).

³-حجة القراءات، لابن زنجلة (ص: 657).

⁴- أيسر التفاسير للجزائري (5 / 18).

المطلب الرابع: استحقاق العذاب بالكافرين

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا مَا كُنْتُمْ بِهِ تَمْتَرُونَ﴾ (الدخان:50).

أولاً: المناسبة:

أكد الله تعالى بوجوب استحقاق العذاب للكافرين المشككين بدعوة الحق بقوله: إِنَّ هَذَا مَا كُنْتُمْ بِهِ تَمْتَرُونَ أى: إن هذا العذاب الذي نزل بكم أيها الكافرون، هو ما كنتم بشأنه تجادلون وتخاصمون في الدنيا، فمنكم من كان ينكره، ومنكم من كان يشكك في صحته، فهذا هو ذا قد أصبح حقيقة واقعة فوق رؤوسكم.⁽¹⁾

ثانياً: المعنى العام:

حقر الله تعالى الكافرين ووبخهم مؤكداً ذلك بقوله: (إِنَّ هَذَا مَا كُنْتُمْ بِهِ تَمْتَرُونَ) أي: إن هذا العذاب الذي تعذبون به هو العذاب الذي كنتم تشكون فيه في الدنيا، فاختصمتم فيه، ولا توقنون به، فقد لقيتموه فذوقوه.⁽²⁾

ثالثاً: معاني المفردات:

{تَمْتَرُونَ} : "تشكون".⁽³⁾

رابعاً: البلاغة:

- "جُمْلَةٌ إِنَّ هَذَا مَا كُنْتُمْ بِهِ تَمْتَرُونَ: بَقِيَّةُ الْقَوْلِ الْمَحْذُوفِ، أَيْ وَيُقَالُ لِلْأَثْمِينِ جَمِيعًا: إِنَّ هَذَا مَا كُنْتُمْ بِهِ تَمْتَرُونَ فِي الدُّنْيَا، وَالْخَبْرُ مُسْتَعْمَلٌ فِي التَّنْذِيمِ وَالتَّوْبِيخِ ، وَاسْمُ الْإِشَارَةِ مُشَارًا بِهِ إِلَى الْحَالَةِ الْحَاضِرَةِ لَدَيْهِمْ، أَيْ هَذَا الْعَذَابُ وَالْجَزَاءُ هُوَ مَا كُنْتُمْ تُكْذِبُونَ بِهِ فِي الدُّنْيَا".⁽⁴⁾

خامساً: ما يستفاد من الآيات:

- 1- إن ملائكة العذاب (زبانية جهنم) تقول للكفار: إن هذا العذاب هو ما كنتم تشكون فيه في الدنيا، وهذا نوع من أنواع الإهانة والذل الذي يتعرض له الكفار في نار جهنم.⁽⁵⁾
- 2- استحقاق و وقوع العذاب بالكافرين بسبب كفرهم ومعصيتهم يوم القيامة.

¹ - انظر: التفسير الوسيط، لطنطاوي (13 / 134).

² - انظر: تفسير المراغي (25 / 135).

³ - التفسير الواضح ، للحجازي(3 / 418).

⁴ - التحرير والتنوير، لابن عاشور (25 / 316).

⁵ - انظر: التفسير المنير، للزحيلي (25 / 238).

المبحث الخامس

المقاصد والأهداف لسورة الدخان الآيات (50-59)

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: فضل التقوى وكرامة أهلها .

المطلب الثاني: نعيم أهل الجنة.

المطلب الثالث: العبرة والعظة بالقرآن.

المطلب الأول: فضل التقوى وكرامة أهلها

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ * فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾ (الدخان: 51-52).

أولاً: المناسبة:

بعد أن ذكر تعالى وعيد الكافرين الأشقياء وما يروونه من الأهوال في ذلك اليوم ، أعقب هذا بوعد المتقين الأبرار بما يلاقونه في جنات النعيم من ضروب التكريم في الملابس والزوجات والمآكل، ثم بيان أن هذا النعيم أبدى خالد لا يعقبه موت ولا تحوّل ولا انتقال.⁽¹⁾

ثانياً: المعنى العام:

يصف الله تعالى ما أعده من نعيم لعباده المتقين يوم القيامة مؤكداً ذلك بقوله: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ﴾ أي: الذين اتقوا الله في الدنيا بامتثال أوامره واجتتاب نواهيه، هم اليوم في موضع إقامة يأمنون فيه من الآفات والمكاره، وهو الجنة⁽²⁾، (فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ) "أي: هم في مكان آمن، تتوسطه وتحيط به البساتين الناضرة، وعيون الماء المتفجرة".⁽³⁾

من خلال الآية السابقة يتبين أن التقوى لها ثمرات يجنيها المتقي في الدنيا والآخرة، ومن هذه الثمار على سبيل المثال لا الحصر، ما يأتي:

أولاً: الانتفاع بالقرآن الكريم، والفوز بهداية الإرشاد، وهداية التوفيق، قال الله عز وجل : {الم * ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ} [البقرة: 1-2].

ثانياً: معية الله وعنايته مع المتقين، قال الله عز وجل : {وَاتَّقُوا اللَّهَ وَعَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ} [البقرة: 194]. وقال تعالى: {إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ} [النحل: 128]. وهذه معية التوفيق والتسديد، والنصرة، والتأييد، والإعانة، والحماية، كما قال (ﷺ) لأبي بكر - رضي الله عنه : {لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا} [التوبة: 40].

ثالثاً: المكانة العالية عند الله يوم القيامة⁽⁴⁾، قال الله عز وجل : {رُزِقَ الَّذِينَ كَفَرُوا حَيَاةَ الدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ} [البقرة: 212].

رابعاً: العلم: قال الله عز وجل : (وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ) [البقرة: 282].

¹ - انظر: تفسير المراغي (25/ 136).

² - انظر: صفوة التفاسير، للصابوني (3/ 165).

³ - التفسير الوسيط ، لطنطاوي (13/ 135).

⁴ - نور التقوى وظلمات المعاصي في ضوء الكتاب والسنة (ص: 20)، د. سعيد بن علي بن وهف القحطاني مطبعة سفير، الرياض

خامساً: من ثمرات التقوى البركات من السماء والأرض، قال الله عز وجل: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾. [الأعراف: 96].

سادساً: عدم الخوف من ضرر وكيد الأعداء، قال الله عز وجل: ﴿وَإِن تَصَبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾. [آل عمران: 120].

سابعاً: من ثمرات التقوى الحماية من مكائد الشيطان، قال الله عز وجل: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ﴾ [الأعراف: 201].

ثامناً: البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة، قال الله عز وجل: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ * الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ * لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [يونس: 62-64].

تاسعاً: قبول الأعمال الصالحة، قال الله عز وجل: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة: 27].

عاشراً: حصول الفلاح؛ لأن من اتقى الله أفلح كل الفلاح، ومن ترك تقواه حصل له الخسران، وفاتته الأرباح، قال الله عز وجل: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [المائدة: 101].

الحادي عشر: التقوى يحصل بها تيسير الأمور، قال الله عز وجل: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا﴾ [الطلاق: 4] فمن اتقى الله عز وجل يسر له كل أموره، وسهل عليه كل عسير. (1)

ثالثاً: معاني المفردات:

{مَقَامٌ}: مكان. (2)

{أَمِينٌ}: يُؤْمَنُ فِيهِ الْخَوْفُ. (3)

{فِي جَنَاتٍ}: بساتين، {عُيُونٍ}: أنهار جارئة. (4)

رابعاً: البلاغة:

- الأمين: وهو ضد الخائن، فوصف المكان بالأمين استعارة، لأنَّ المكان المخيف كأنما يخون صاحبه بما يلقي فيه من المكاره. (5)

خامساً: القراءات:

(الْمَقَامُ) بِضَمِّ الْمِيمِ: مَكَانُ الْإِقَامَةِ: وَالْمَقَامُ بِفَتْحِ الْمِيمِ: مَكَانُ الْقِيَامِ وَيَتَنَاولُ الْمَسْكَنَ وَمَا يَتَّبِعُهُ.

¹ - نور التقوى وظلمات المعاصي في ضوء الكتاب والسنة (ص: 26).

² - التفسير الواضح، للحجازي (3/ 420).

³ - تفسير الجلالين، جلال الدين السيوطي، جلال الدين المحلي (ص: 659).

⁴ - أوضح التفاسير، لابن الخطيب (1/ 610).

⁵ - انظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، للزمخشري (4/ 282).

وَقَرَأَهُ نَافِعٌ وَأَبْنُ عَامِرٍ وَأَبُو جَعْفَرٍ بِضَمِّ الْمِيمِ، وَقَرَأَهُ الْبَاقُونَ بِفَتْحِ الْمِيمِ. (1)

سادساً: ما يستفاد من الآيات:

- 1- التقوى هي خشية من الله تحمل العبد على طاعة الله بامتثال أوامره ، وترك مكارهه. (2)
- 2- بيان ما يلقاه المتقون من ألوان النعيم في الجنان.
- 3- التقوى سبب من أسباب دخول الجنة كما أن المعصية سبب من أسباب دخول النار.

¹- التحرير والتنوير، لابن عاشور (25 / 317).

²- أيسر التفاسير، للجزائري (5 / 21).

المطلب الثاني: نعيم أهل الجنة

قال الله تعالى: ﴿يَلْبَسُونَ مِنْ سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَقَابِلِينَ * كَذَلِكَ وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ * يُدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَاكِهَةٍ آمِنِينَ * لَا يُذوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَىٰ وَوَقَاهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ * فَضلاً مِّن رَّبِّكَ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ (الدخان: 53-57).

أولاً: تمهيد:

يصف الله تعالى ما أعده من أصناف النعيم لأهل الجنة من الملبس ، والمآكل، والهور العين، وكيف انعم الله على أهلها بالخلود في الجنة، فكل ذلك دل على الكثرة، فلقد قدم الله تعالى في هذه الآية الكريمة الملبس على الطعام والشراب، ففي ذلك إشارة واضحة، ودلالة عظيمة عن رضى الله تعالى عن أهل الجنة، فان الجنة تشناق وتنزير لأهلها، فيكون حسن الهيئة للإنسان من علامات النعيم والرضى، فان الإنسان إذا ما تقدم في الحياة الدنيا لخطبة امرأة، فانه يتقدم لها في أجمل وأبهى مظهر، فكيف إذا ما تقدم لأزواجه من الحور العين، فليس هناك أجمل من ثياب أهل الجنة يتقدم به المؤمن لزوجاته من الحور العين.

ثم أردف الله تعالى ذلك بقوله: {يدعون فيها بكل فاكهة امنين} فلقد خص الله تعالى ذكر الأمان، وذلك لان أخوف ما يخاف أهل الدنيا الموت، فقال: {لا يذوقون فيها إلا الموتة الأولى}، ولما كان السياق للمتقين قال: {ووقاهم عذاب الجحيم} ، وأنه سبحانه لم يعاملهم بعدله، وإنما عاملهم بفضله وعفوه ، فقال سبحانه: {فضلاً من ربك}. فان الله تعالى عظم هذا النعيم بإظهار هذه الصفة ، فقال: {ذلك هو الفوز العظيم}. (1)

ثانياً: المعنى العام:

يصور الله تعالى مشهداً للنعيم الذي أحل بأهل الجنة بقوله تعالى: (يَلْبَسُونَ مِنْ سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَقَابِلِينَ) أي: يجلسون في مجالس قريبة متقابلة، بحيث ينظر بعضهم إلى بعض. (2) (كَذَلِكَ) أي: هكذا يكون النعيم التام والسرور الكامل لهم في الجنة، (وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ) أي: نساء جميلات من جمالهن وحسنهن أنه يحار الطرف في حسنهن وينبهر العقل بجمالهن وينخلب اللب لجمالهن. (3)

1- انظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، للبقاعي (18 / 48-54).

2- انظر: التفسير الوسيط ، لطنطاوي (13 / 135).

3- انظر: تيسير الكريم الرحمن ، للسعدي(ص: 774).

"يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَاكِهَةٍ أَمِينٍ) أي: يطلبون ما يشتهون من أنواع الفاكهة، وهم آمنون من انقطاعها، ومن غائلة أذاها ومكروهها، فهي ليست كفاكهة الدنيا التي نأكلها ونخاف مكروه عاقبتها، أو نخاف نفاذها في بعض الأحيان".⁽¹⁾

(لا يَدْعُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَى) يقول الله تعالى: لا يذوق هؤلاء المنقون في الجنة الموت بعد الموتة الأولى التي ذاقوها في الدنيا⁽²⁾، فهم مخلدون في الجنة يتمتعون بنعيمها بإذن الله، وأما الكافرون الذين أنكروا البعث والحساب فهم مخلدون في النار والعياذ بالله. (وَوَقَاهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ) يعني: "يصرف عنهم عذاب النار".⁽³⁾

(فَضْلًا مِنْ رَبِّكَ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ) أي: "أعطوا كل ذلك فضلا من ربك.... أي: لأجل الفضل منه سبحانه ، ذلك الذي أعطيناهم إياه هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ الذي لا يدانيه ولا يساميه فضل".⁽⁴⁾

ثالثاً: معاني المفردات:

{ يَلْبَسُونَ مِنْ سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ } السندس: مَا رَقَّ مِنَ الدِّيْبَاجِ ، وَالْإِسْتَبْرَقُ: مَا غُلِظَ مِنْهُ.⁽⁵⁾
{ متقابلين } أي: متواجهين.⁽⁶⁾

{ وَرَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ } الحور: جمع حوراء: وهي شديدة سواد العين، مع شدة بياضها. والعين: جمع عيناء: وهي الواسعة العينين.⁽⁷⁾
{ يدعون } أي يطلبون، { وقاهم } أي حفظهم.⁽⁸⁾

رابعاً: البلاغة:

- (وَرَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ): وَالرَّوْجُ هُنَا كِنَايَةٌ عَنِ الْقُرَيْنِ، أَي قَرْنًا بِكُلِّ وَاحِدٍ نِسَاءً حُورًا عِينًا، وَلَيْسَ فِعْلُ رَوَّجْنَاهُمْ هُنَا مُشْتَقًّا مِنَ الرَّوْجِ الشَّائِعِ إِطْلَاقُهُ عَلَى امْرَأَةِ الرَّجُلِ وَعَلَى رَجُلِ الْمَرْأَةِ ... وَإِنَّمَا الْمُرَادُ أَنَّهُمْ مَأْتُوسُونَ بِصُحْبَةِ حَبَائِبَ مِنَ النِّسَاءِ، كَمَا أَنَسُوا بِصُحْبَةِ الْأَصْحَابِ وَالْأَجِبَّةِ مِنَ الرِّجَالِ، اسْتِكْمَالًا لِمُنْعَارَفِ الْأُنْسِ بَيْنَ النَّاسِ...⁽⁹⁾

¹ - تفسير المراعي (25 / 137).

² - انظر: تفسير جامع البيان، للطبري (22 / 53).

³ - بحر العلوم، للسمرقندي (3 / 274).

⁴ - التفسير الوسيط، لطنطاوي (13 / 136).

⁵ - الهداية إلى بلوغ النهاية، لأبو محمد مكي بن أبي طالب (10 / 6758).

⁶ - الوجيز، للواحدي (ص: 986).

⁷ - أوضح التفاسير، لابن الخطيب (1 / 610).

⁸ - تفسير المراعي (25 / 136).

⁹ - التحرير والتنوير، لابن عاشور (25 / 318).

- (يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَاكِهَةٍ آمِنِينَ): كلُّ هُنَا مُسْتَعْمَلَةٌ فِي الْكَثْرَةِ الشَّدِيدَةِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ وَيَجُوزُ أَنْ تَكُونَ بِمَعْنَى الْإِحَاطَةِ، أَيْ بِكُلِّ صِنْفٍ مِنْ أَصْنَافِ الْفَاكِهَةِ. (1)
- (فَضْلاً مِنْ رَبِّكَ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ): ذِكْرُ الرَّبِّ إِظْهَارٌ فِي مَقَامِ الْإِضْمَارِ وَمُقْتَضَى الظَّاهِرِ أَنْ يُقَالَ: فَضْلاً مِنْهُ أَوْ مِنْهَا، وَنُكْنَتْ هَذَا الْإِظْهَارِ تَشْرِيفُ مَقَامِ النَّبِيِّ (ﷺ) وَالْإِيمَاءُ إِلَى أَنَّ ذَلِكَ إِكْرَامٌ لَهُ لِإِيمَانِهِمْ بِهِ. (2)

خامساً: القراءات:

وقرأ الجمهور: «عين» وهو جمع عيناء ، وقرأ ابن مسعود: «عيس» ، وهو جمع عيساء، وهي أيضا البيضاء، وكذلك هي من النوق، وقرأ عكرمة: «بحور عين» على ترك التثوين في «حور» وأضافها إلى «عين»، قال أبو الفتح: الإضافة هنا تفيد ما تفيد الصفة. (3)

سادساً: ما يستفاد من الآيات:

- 1- يفيض الله تعالى على عباده المتقين الأبرار في الجنة بأنواع النعم الحسية والمعنوية، ذكر منها هنا خمسة أنواع تشمل المساكن، والملابس، والتقابل في الجلسات واستئناس البعض ببعض، والأزواج، والمآكل الدائمة. (4)
- 2- بيان شيء من نعيم أهل الجنة ترغيباً في العمل لها. (5)
- 3- إن تلك النعم في الجنان لها صفة الدوام والاستمرار، دون أن يطرأ عليها انقطاع، ولا ينشأ عنها أذى أو مكروه
- 4- أهل الجنة وأهل النار في خلود دائم، فكل منهم خالد إما في النعيم وإما في العذاب الأليم، ولا يطرأ عليهم موت، لكن الموتة الأولى في الدنيا قد ذاقوها، فإن حقيقة الجنة ابتهاج النفس، وفرحها بمعرفة الله وبمحبته، فالإنسان الكامل هو في الدنيا في الجنة، وفي الآخرة أيضا في الجنة، فقد صح أنه لم يذوق في الجنة إلا الموتة الأولى، فعن الزُّهْرِيِّ، قَالَ: أَخْبَرَنِي أَبُو سَلَمَةَ أَنَّ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، رَوَى النَّبِيُّ (ﷺ) أَخْبَرْتُهُ، قَالَتْ: أَقْبَلَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَلَى فَرَسِهِ مِنْ مَسْكِنِهِ بِالسُّنْحِ حَتَّى نَزَلَ، فَدَخَلَ الْمَسْجِدَ، فَلَمْ يُكَلِّمِ النَّاسَ حَتَّى دَخَلَ عَلَى عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا،

¹- المرجع السابق (25 / 319).

²- المرجع السابق (25 / 320).

³- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لابن عطية (5 / 78).

⁴- التفسير المنير، للزحيلي (25 / 243).

⁵- أيسر التفاسير، للجزائري (5 / 21).

- فَتَنِيَمَ النَّبِيِّ (ﷺ) وَهُوَ مُسَجَّى بِبُرْدِ حَبْرَةٍ، فَكَشَفَ عَنْ وَجْهِهِ، ثُمَّ أَكَبَّ عَلَيْهِ، فَقَبَّلَهُ، ثُمَّ بَكَى، فَقَالَ: «بِأَبِي أَنْتَ يَا نَبِيَّ اللَّهِ، لَا يَجْمَعُ اللَّهُ عَلَيْكَ مَوْتَيْنِ، أَمَّا الْمَوْتَةُ الَّتِي كُنْتِ عَلَيْكَ فَقَدْ مُتَّهَا» (1)
- 5- اكتفى الله تعالى هنا ببشارة أهل الجنة بالخلود، مع أن أهل النار يشاركونهم فيه، للدلالة على أن دوام الحياة مقرون مع ما ذكر سابقاً من حصول الخيرات والسعادات.
- 6- أكرم الله المتقين بألوان النعيم، وحفظهم من عذاب الجحيم، تفضلاً منه عليهم، وتلك هي السعادة، والريح العظيم، والنجاة العظيمة، والفوز الأكبر الذي لا مثيل له على الإطلاق.
- 7- دل قوله تعالى: ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ على أن التفضيل أعلى درجة من الثواب المستحق، لوصفه بأنه فضل من الله، وكونه فوزاً عظيماً، فإن المنحة الإلهية أفضل من الأجر والأجرة. (2)

¹ - صحيح البخاري، كتاب : الجنائز، باب: الدخول على الميت بعد الموت إذا أدرج (2 / 71) ، حديث رقم (1241).

² - انظر: التفسير المنير، للزحيلي (25 / 244).

المطلب الثالث: العبرة والعظة بالقرآن

قال الله تعالى: ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ * فَارْتَقِبْ إِنَّهُمْ مُرْتَقِبُونَ﴾ (الدخان: 58-59).

أولاً: المناسبة:

يختم الله تعالى هذه السورة في ظل هذا المشهد العنيف العميق المؤثر بجانبه، بالتذكير بنعمة الرسالة والتخويف من عاقبة التكذيب: بقوله تعالى: «فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ، فَارْتَقِبْ إِنَّهُمْ مُرْتَقِبُونَ»

وهي خاتمة تلخص جو السورة وظلها، وتناسق آياتها، فقد بدأت بذكر الكتاب وتنزيله للإندار والتذكير، وورد في سياقها ما ينتظر المكذبين. «يَوْمَ تَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى إِنَّا مُنْتَقِمُونَ»، فجاء هذا الختام يذكرهم بنعمة الله في تيسير هذا القرآن على لسان الرسول العربي الذي يفهمونه ويدركون معانيه، ويخوفهم العاقبة والمصير، في تعبير ملفوف، ولكنه مخيف: «فَارْتَقِبْ إِنَّهُمْ مُرْتَقِبُونَ».⁽¹⁾

ثانياً: المعنى العام:

يشرف الله تعالى نبيه محمد (ﷺ) مادحاً إياه بقوله: {فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ} أي: إنما يسرنا هذا القرآن الذي أنزلناه سهلاً واضحاً بيناً جلياً بلسانك الذي هو أفصح اللغات وأجلاها وأحلاها وأعلاها (لعلهم يتذكرون) أي: يتفهمون ويعملون ويتعظون.⁽²⁾

ثم يثنى تعالى على نبيه ويطمئنه بقوله: {فَارْتَقِبْ إِنَّهُمْ مُرْتَقِبُونَ} فالخطاب موجه للنبي (ﷺ) أي: فانتظر فإنهم منتظرون، وسيعلمون لمن تكون النصر والغلبة، والظفر وعلو الكلمة في الدنيا والآخرة ولا شك أن النصر سيكون لك كما كان لإخوانك من النبيين والمرسلين ومن تبعهم من المؤمنين.⁽³⁾

ثالثاً: معاني المفردات:

{يَسَّرْنَاهُ}: سَهَّلْنَا الْقُرْآنَ ، {بِلِسَانِكَ}: بِلُغَتِكَ : أي باللسان العربي المبين، {لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ}: يَتَّعِظُونَ فَيُؤْمِنُونَ لَكِنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ.⁽⁴⁾

"{فارتقب} أي: فانتظر ، {إنهم مرتقبون} أي: فإنهم منتظرون".⁽⁵⁾

¹ - انظر: في ظلال القرآن، لسيد قطب (5/ 3217).

² - انظر: تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (7/ 263).

³ - انظر: تفسير المراعي (25/ 139).

⁴ - انظر باختصار: تفسير الجلالين (ص: 660).

⁵ - فتح البيان في مقاصد القرآن، ابن لطف الله الحسيني (12/ 414).

رابعاً: البلاغة:

- (لعلهم يتذكرون): لعل تفيد معنى التعليل.
- (بلسانك): وفي إصافة اللسان إلى ضمير النبي (ﷺ) عنايةً بجانيه وتَعْظِيمٌ لَهُ ، وإِطْلَاقُ اللِّسَانِ وَهُوَ اسْمُ الْجَارِحَةِ الْمَعْرُوفَةِ فِي الْفَمِّ عَلَى اللُّغَةِ مَجَازٌ شَائِعٌ لِأَنَّ أَهَمَّ مَا يُسْتَعْمَلُ فِيهِ اللِّسَانُ الْكَلَامُ بِهِ.⁽¹⁾
- (فَارْتَقَبْ): إِطْلَاقُ الْإِرْتِقَابِ عَلَى حَالِ الْمُعَانِدِينَ اسْتِعَارَةٌ تَهْكُمْيَّةٌ لِأَنَّ الْمَعْنَى أَنَّهُمْ لَا فُؤُونَ ذَلِكَ لَا مَحَالَةَ وَقَدْ حَسَّنَهَا اعْتِيَارُ الْمَشَاكَلَةِ بَيْنَ (فَارْتَقَبْ) وَمُرْتَقِبُونَ.⁽²⁾
- (إنما يسرناه بلسانك): قَصْرٌ قَلْبٍ: وَهُوَ رَدٌّ عَلَى الْمُشْرِكِينَ، فَمَعْنَاهُ أَنَّهُ سَهَّلَ لَهُمْ طَرِيقَ فَهْمِهِ، بِفَصَاحَتِهِ وَبِلَاغَتِهِ ، فَقَابَلُوهُ بِالشُّكِّ وَالْهُزْءِ.⁽³⁾

خامساً: ما يستفاد من الآيات:

- 1- تشريف النبي (ﷺ) بنزول القرآن الكريم بلغته ولغة قومه العرب، وتسهيله لهم وعلى كل من يقرؤه ولو كان من غير العرب، ليتعضوا وينزجروا به.
- 2- في ختام السورة حث على إتباع القرآن، ودليل على أنه تعالى أراد من كل الناس الإيمان والمعرفة، وأنه لم يرد من أحد الكفر.
- 3- هدد الله تعالى المخالفين المكذبين للقرآن والرسول بالهلاك والدمار، ووعد نبيه بالنصر عليهم، وسلاه عن مكابذته المشاق معهم، وأمره بانتظار ما وعده به من النصر عليهم، بعد أن انتظروا له الموت والهلاك.⁽⁴⁾
- 4- "بيان الحكمة من تسهيل فهم القرآن الكريم وهو الاتعاظ المقتضي للتقوى".⁽⁵⁾
- 5- إن من ثمرات الصبر بعد تبليغ الدعوة إلى الله : النصر والغلبة، والظفر وعلو الكلمة في الدنيا والآخرة.

¹ - التحرير والتنوير، لابن عاشور (25 / 321).

² - التحرير والتنوير، لابن عاشور (25 / 322).

³ - انظر: المرجع نفسه (25 / 321).

⁴ - انظر: التفسير المنير، للزحيلي (25 / 245).

⁵ - أيسر التفاسير، للجزائري (5 / 21).

المبحث السادس

المقاصد والأهداف لسورة الجاثية الآيات (1-5)

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: عظم شأن القرآن الكريم.

المطلب الثاني: دلائل وآيات.

المطلب الثالث: فضل استخدام العقل السليم في الخير والنفع.

المطلب الأول: عظم شأن القرآن الكريم

قال الله تعالى: ﴿ حم * تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴾ (الجاثية: 1-2).

أولاً: تمهيد:

من خلال الآيتين السابقتين يتبين أن هناك ربط كبير بينهما، فالآية الأولى توضح أن الله تعالى اقسم (بحم) وهى من الحروف التي استأثر الله تعالى بعلمه بها ، و كذلك في الآية الثانية أكد الله تعالى انه لم يطلع أحداً من عباده ، وقت نزول القرآن .

فان هذا الكتاب الجامع لجميع مكارم الأخلاق ومحاسن الشيم على الإطلاق من الله المحيط بعموم الأنفس والآفاق العزيز المنيع يستحيل أن تحيط به عقول البشر فهو متقن في أفعاله بحيث لا يكتفه حكمته أصلاً، فتنبهوا أيها الغافلون عنه.⁽¹⁾

ثانياً: المعنى العام:

افتتح الله تعالى واقسم في هذه السورة الكريمة بقوله:(حم): فالله أعلم بمراده فان الحروف الهجائية المقطعة هي من المتشابه الذي استأثر الله تعالى بعلمه، فأمرنا أن نؤمن به ونفوض معناه إلى من أنزله سبحانه وتعالى.⁽²⁾

فلقد اقسم الله بالقران العظيم، لجلال قدره وعظمته عنده سبحانه وتعالى قائلاً: (تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ) فان الذي أنزله هو العزيز الغالب القاهر لكل شيء، الحكيم في تدبيره لكل ما خلق، فهو سبحانه مع قهره للعوالم المادية والروحية، لا يتصرف إلا بالحكمة ، كما يشاهد في جميع المخلوقات، ودوران الكواكب وانتظامها في سيرها، فكل ذلك يدل على حكمة الله في صنعه.⁽³⁾

ثالثاً: معاني المفردات:

{الكتاب}: القرآن.⁽⁴⁾

{العزيز}: المنيع.⁽⁵⁾

{الحكيم}: المحكم للأشياء.⁽⁶⁾

¹ - انظر: الفواتح الإلهية والمفاتيح الغيبية، للنخجواني (2/ 312).

² - انظر: أيسر التفاسير، للجزائري (5/ 22).

³ - انظر: تفسير المراغي (25/ 141).

⁴ - فتح البيان في مقاصد القرآن، ابن لطف الله الحسيني (12/ 417).

⁵ - تفسير الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (16/ 156).

⁶ - المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لابن عطية (5/ 79).

رابعاً: اللطائف البيانية:

"إِبْتِئَارٌ وَصَفِيّ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ بِالذِّكْرِ دُونَ غَيْرِهِمَا مِنَ الْأَسْمَاءِ الْحُسْنَى؟ لِإِشْعَارِ وَصْفِ الْعَزِيزِ بِأَنَّ مَا نَزَلَ مِنْهُ مُنَاسِبٌ لِعِزَّتِهِ فَهُوَ كِتَابٌ عَزِيزٌ كَمَا وَصَفَهُ تَعَالَى بِقَوْلِهِ: وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ [فصلت: 41]. ، أَي هُوَ غَالِبٌ لِمُعَانِدِيهِ، وَذَلِكَ لِأَنَّهُ أَعْجَزُهُمْ عَن مُعَارَضَتِهِ، وَإِلِشْعَارِ وَصْفِ الْحَكِيمِ بِأَنَّ مَا نَزَلَ مِنْ عِنْدِهِ مُنَاسِبٌ لِحِكْمَتِهِ، فَهُوَ مُشْتَمِلٌ عَلَى دَلَائِلِ الْيَقِينِ وَالْحَقِيقَةِ".⁽¹⁾

خامساً: ما يستفاد من الآيات:

- 1- "كون مصدر القرآن الكريم هو الله عز وجل، وليس له أي مصدر آخر سواه".⁽²⁾
- 2- عظم شأن القرآن الكريم لأنه تنزيل الله العزيز الحكيم⁽³⁾، فهو مصون من التحريف والتبديل أو النسيان والضياع.

¹-التحرير والتنوير، لابن عاشور (25 / 325-326).

²- التفسير المنير، للزحيلي (25 / 253).

³- أيسر التفاسير، للجزائري (5 / 24).

المطلب الثاني: دلائل وآيات

قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لآيَاتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ * وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِن دَابَّةٍ آيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ (الجاثية: 3-4).

أولاً : المناسبة:

بعد أن نبه الله تعالى بأن القرآن الكريم من عنده وليس هناك مصدر آخر سواه، أرشد الله تعالى خلقه إلى التفكير في آلائه ونعمه، وقدرته العظيمة التي خلق بها السموات الأرض، وما فيهما من المخلوقات العظيمة المختلفة الأجناس والأنواع من الملائكة والجن والإنس، والدواب والطيور والوحوش والسباع والحشرات، وما في البحر من الأصناف المتنوعة، واختلاف الليل والنهار في تعاقبهما دائبين لا يفتران، هذا بظلامه وهذا بضياؤه.⁽¹⁾

فهذه كلها آيات بينات وأدلة واضحات على صدق هذا القرآن العظيم، وصحة ما اشتمل عليه من الحكم والأحكام، ودالات أيضا على كمال الله ، وعلى البعث والنشور.⁽²⁾

¹- انظر: تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير (7 / 264).

²-انظر: تيسير الكريم الرحمن، للسعدي (ص: 775).

ثانياً: المعنى العام:

يظهر الله تعالى قدرته العظيمة في كمال خلقه وحسن إتقانه قائلاً: (إِنَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ) أي إن في السموات السبع اللاتي منهن ينزل الغيث، وفي الأرض التي منها يخرج الخلق لأدلة واضحة للمصدقين بالحجج إذا تأملوها وفكروا فيها تفكير من يسلك السبيل القويم⁽¹⁾. (وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِنْ دَابَّةٍ آيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ) يقول تعالى ذكره: "وفي خلق الله إياكم أيها الناس، وخلقها ما تفرق في الأرض من دابة تدب عليها من غير جنسكم (آيات لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ) يعني: حججا وأدلة لقوم يوقنون بحقائق الأشياء، فيفرون بها، ويعلمون صحتها"⁽²⁾.

ثالثاً: معاني المفردات:

{لآيات}: علامات دالة على وحدانية الله تعالى، وقدرته.⁽³⁾

{يُبُثُّ}: ينشر ويفرق.⁽⁴⁾

رابعاً: البلاغة:

- عَطْفُ جُمْلَةٍ (وَفِي خَلْقِكُمْ) عَلَى جُمْلَةٍ (إِنَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ): عَطْفٌ خَاصٌّ عَلَى عَامٍّ لِمَا فِي هَذَا الْخَاصِّ مِنَ التَّذْكِيرِ بِنِعْمَةِ إِبْجَادِ النَّوْعِ اسْتِدْعَاءً لِلشُّكْرِ عَلَيْهِ.⁽⁵⁾
 - (إِنَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ): أسلوب خبري ضربه طلبي، لأنه مؤكد بأداتين للتوكيد: إن واللام، وذلك لأن المخاطبين منكرون لوحدانية الله.
 - (يُبُثُّ) التعبير عن الفعل بصيغة المضارع، يفيد التجدد والاستمرارية.
- خامساً: ما يستفاد من الآيات:

- 1- الإيمان هو الذي يفتح القلوب لتلقي الأصداء والأضواء والإحساس بما فيها من آيات الله الماثورة في الأرض والسماء.⁽⁶⁾
- 2- الإيمان أعم من اليقين ومقدم عليه في الترتيب واليقين أعلى في الرتبة.⁽⁷⁾

¹- انظر: تفسير المراغي (25 / 141).

²- جامع البيان، للطبري (22 / 59).

³- أوضح التفاسير، لابن الخطيب (1 / 611).

⁴- التفسير الواضح، للحجازي (3 / 422).

⁵- التحرير والتنوير، لابن عاشور (25 / 327).

⁶- في ظلال القرآن، لسيد قطب (5 / 3222).

⁷- أيسر التفاسير، للجزائري (5 / 24).

- 3- إن خلق الإنسان والدواب بتركيب عضوي عجيب، وخواص وطاقت مادية ومعنوية مذهلة، يدلنا ذلك على أن هناك خالقا مبدعا لتلك الأنفس وهو الله تعالى.⁽¹⁾
- 4- إن خلق السموات والأرض يدل على وجود الإله وذلك من عدة وجوه منها:
أولاً: أنها أجسام حادثة، وكل حادث له محدث.
ثانياً: أنها مركبة من أجزاء متماثلة في مواضع متفاوتة عمقاً وسطحاً، مما يدل على أن وقوع كل جزء في موضعه لا بد له من مرجح ومخصص.
ثالثاً: أن الأفلاك والعناصر مع تماثلها في ماهيتها الجسمية اختص كل واحد منها بصفة معينة كالحرارة والبرودة، ...، وذلك لا بد له من مرجح.
رابعاً: أن كل فلك مختص بمهمة معينة، فلا بد من مخصص فاعل مختار.⁽²⁾
- 5- في قوله تعالى (السموات والأرض) دل على أن جميع ما بينهما هو من مخلوقات الله تعالى وخاضع لحكمته ومشيتته.
- 6- في السماء والأرض من المشاهد والمظاهر والنواميس آيات ربانية من شأنها أن تنير من بصيرة صاحب الحق فيؤمن بالله من خلالها.⁽³⁾

¹-انظر: التفسير المنير، للزحيلي (25/ 254).

² مفاتيح الغيب ، للفخر الرازي (27/ 669).

³انظر: التفسير الحديث (4/ 558)، دروزة محمد عزت ، دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة ، الطبعة: 1383 هـ.

المطلب الثالث: فضل استخدام العقل السليم في الخير والنفع

قال الله تعالى: ﴿وَإِخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ رِزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ الرِّيَّاحِ آيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ (الجمعة:5).

أولاً: المناسبة:

بعد أن أخبر الله تعالى بخلق السماوات والأرض و الدواب ، أتبع ذلك بذكر تعاقب الليل والنهار واختلافهما فقال تعالى: {واختلاف الليل والنهار} ثم نبه سبحانه : بإنزال الماء من السماء، وسماه هنا رزقاً فقال: {وما أنزل الله من رزق فأحيا به الأرض بعد موتها} ثم ذكر تعالى تصريف الرياح وتقليبها، وذكر بأن ذلك كله إنما هو آيات وعلامات ساطعة على وحدانية الله وقدرته.

ثانياً: المعنى العام:

ذكر الله عز وجل الليل والنهار واختلافهما، فإن ذلك راجع إلى سرعة الشمس ودورانها، كما هو معلوم أن محيط الكرة الأرضية التي يعيش عليها الناس، يبلغ أربعين ألفاً وستة وسبعون كيلو متراً (40076) ، مقسمة على ثلاثمائة وستون خط طول (360)، ومائة وثمانون دائرة عرض (180)، وهذا يدل أن الشمس تقطع مسافة (111.32) كم كل أربعة دقائق، أي بمعدل (27.83) كم في الدقيقة الواحدة، وهذا ما يجعل أن هناك فروقات في أوقات الصلاة، على اختلاف الأماكن والبلدان.

{وَإِخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ} أي: إن في اختلاف الليل والنهار بالطول والقصر، وتعدد مشارق الشمس ومنازلها واختلاف الفصول بسبب خطوط العرض والطول، وفي اختلاف الليل والنهار بحلول كل مكان الآخر⁽¹⁾.

{وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ رِزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا} أي: وفيما أنزل الله من السماء من مطر تحيا به الأرض بعد موتها، فتهتز بالنبات والزرع والثمار من بعد جديها وقحطها، فتخرج أرزاق العباد وأقواتهم⁽²⁾.

{وَتَصْرِيفِ الرِّيَّاحِ} وفي تقليب الرياح وتغييرها من جهة إلى جهة، ومن حال إلى حال، جنوباً وشمالاً، شرقاً وغرباً، برودة وحرّاً، ضرراً ونفعاً، ليناً وشدّة، {آيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ}: أي علامات ساطعة واضحة على وجود الله ووحدانيته، لقوم لهم عقول نيرة وبصائر مشرقة⁽³⁾.

¹ - التفسير الواضح، للحجازي (3/ 423).

² - انظر: تفسير المراغي (25/ 141).

³ - التفسير الوسيط ، للزحيلي (3/ 2392)، صفوة التفاسير، للصابوني (3/ 169).

ثالثاً: معاني المفردات:

- {اِخْتِلَافَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ}: ذَهَابَهُمَا وَمَجِيئُهُمَا، {مِنْ رِزْقٍ}: مطر لأنه سبب الرزق. (1)
{وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ} تغليبها. (2)
{آيَاتٍ}: عِلَامَاتٍ وَعَبْرٌ، {يَعْقِلُونَ}: يصدقون أَنَّهَا مِنْ اللَّهِ. (3)

رابعاً: البلاغة:

- {وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مَن رِّزْقٍ}: أي مطر، مجاز مرسل علاقته المسببية، لأن المطر النازل من السماء هو سبب الرزق والنبات، أما الرزق فلا ينزل من السماء، (4) فهو كناية عن المطر الذي فيه رزق الناس ومعيشتهم. (5)

خامساً: ما يستفاد من الآيات:

- 1- تقرير ألوهية الله تعالى بتقرير ربوبيته في الخلق والتدبير والعلم والحكمة. (6)
- 2- تعاقب الليل والنهار بنحو دائم وتفاوتهما، وإنزال الأمطار والتلوج لإحياء الأرض بالنبات وتغذية الينابيع والأنهار، وتغليب الرياح وتغييرها، كل ذلك دليل واضح على وجود الله القادر القاهر، الحكيم الصنع، البديع الخلق والإتقان. (7)
- 3- تعدد نعم الله وآلائه على عباده وخلق، من عظيم كرمه ورحمته.
- 4- إحياء الأرض بعد موتها دليل على قدرة الله وعظمته، وذلك أن الموت والحياة بيد الله، فهو المتصرف في شؤون هذا الكون، المالك له، المدبر لأمره.

1- تفسير الجلالين، لجلال الدين السيوطي، جلال الدين المحلي (ص: 661).

2- أوضح التفاسير، لابن الخطيب (1/ 611).

3- تنوير المقباس من تفسير ابن عباس (ص: 420).

4- صفوة التفاسير، للصابوني (3/ 176).

5- التفسير الحديث، دروزة محمد عزت (4/ 557).

6- أيسر التفاسير، للجزائري (5/ 24).

7- انظر: التفسير المنير، للزحيلي (25/ 254).

المبحث السابع

المقاصد والأهداف لسورة الجاثية الآيات (6-11)

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: الهداية بنور القرآن.

المطلب الثاني: التشديد على أهل الإفك والآثام.

المطلب الثالث: شر الناس الذي يستهزأ بآيات الله.

المطلب الرابع: لم يغن عن المشرك كفره بالله.

المطلب الأول: الهداية بنور القرآن:

قال الله تعالى: ﴿ تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعَدَ اللَّهُ وَآيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ ﴾ (الجمعة:6).

أولاً: المناسبة:

بعد أن ذكر سبحانه وتعالى الأدلة الكونية الساطعة والدالة على وحدانيته وقدرته، والتي تجعل الناس يخلصون في العبادة لله وحده ، أتبع ذلك بتهديد الذين عموا عن هذه الآيات والعلامات، فقال تعالى: (تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعَدَ اللَّهُ وَآيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ).

ثانياً: المعنى العام:

قدم الله تعالى كلمة الآيات في هذه الآية الكريمة، وذلك للتشويق والاهتمام بان ما هو قادم مهم وعظيم عند الله تعالى فقال: (تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ) أي: إن كلام الله لن يعلو عليه أي كلام، وإن أي إبداع لن يبلغ إبداع الله في الكون، وإن أية حقيقة لن تبلغ حقيقة الله في الثبوت والوضوح واليقين. (1)

(فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعَدَ اللَّهُ وَآيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ) هذا الخطاب فيه توبيخ وتحقير للكافرين، فان الله عز وجل خاطبهم بخطاب العقل والمنطق، قائلاً لهم: فبأي حديث أيها القوم بعد حديث الله الذي يتلوه على رسوله، وبعد حججه وبراهينه التي دلكم بها على وحدانيته تصدقون إن كذبتم به، فان كنتم لا تؤمنون بهذه الآيات ، ولا تتقادون لها، فبم تؤمنون؟ وإلام تتقادون؟ (2)

ثالثاً: معاني المفردات:

{نَتْلُوهَا}: "نَقُصُّهَا". (3)

{بِالْحَقِّ}: "أي محقين أو متلبسة بالحق". (4)

{فَبِأَيِّ حَدِيثٍ}: أي بأي كَلَام ، {بَعَدَ اللَّهُ}: بعد كَلَامِ اللَّهِ. (5)

رابعاً: البلاغة:

- (فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعَدَ اللَّهُ وَآيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ): اسْتَفْهَامًا إِنْكَارِيًّا بِمَعْنَى النَّفْيِ. (6)

¹ - انظر: في ظلال القرآن، لسيد قطب (5/ 3224).

² - انظر: تفسير المراعي (25/ 143).

³ - تفسير الجلالين، لجلال الدين السيوطي، جلال الدين المحلي (ص: 661).

⁴ - فتح البيان في مقاصد القرآن، ابن لطف الله الحسيني (12/ 418).

⁵ - انظر: تنوير المقباس، لابن عباس (ص: 420).

⁶ - التحرير والتنوير، لابن عاشور (25/ 328).

خامساً: القراءات:

{تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَآيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ}.
قَرَأَ نَافِعَ وَابْنُ كَثِيرٍ وَأَبُو عَمْرٍو وَحَفْصُ {وَآيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ} بِالنِّبَاءِ، وَحَجَّتْهُمْ فِي ذَلِكَ قَوْلُهُ: قَبْلَهَا {لَايَاتُ
لِلْمُؤْمِنِينَ} وَقَوْلُهُ: {لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ}.
وَقَرَأَ الْبَاقُونَ بِالنِّبَاءِ، فَكَيْفَ يَجُوزُ أَنْ يُقَالَ لِلنَّبِيِّ ﷺ بِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَآيَاتِهِ تُوْمِنُونَ بِالنِّبَاءِ، أَيْ تُوْمِنُ
أَنْتَ وَهُمْ، بَلْ إِنَّمَا قَالَ {فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَآيَاتِهِ} يُؤْمِنُ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ⁽¹⁾، وَالشَّاهِدُ عَلَى ذَلِكَ قَوْلُهُ
تَعَالَى: {فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ}{المرسلات: 50}.

سادساً: ما يستفاد من الآيات:

1- بين الله تعالى آياته وحججه وبراهينه الدالة على وحدانيته وقدرته، فأنزلها في قرآنه بياناً متلوّاً إلى
يوم القيامة، مشتملاً على الحق الذي لا ريب فيه، والصدق الذي لا باطل ولا كذب فيه، فإذا لم
يؤمن الناس بها، ولم يصدقوا بالقرآن وآياته البينات، فلن يجدوا غيرها طريقاً للإيمان وتصحيح
العقيدة.⁽²⁾

2- تشریف النبي ﷺ بالقرآن فانه أعظم نور، فمن لم يهتد به، لا يرجى له الهداية أبداً.⁽³⁾

¹- انظر: حجة القراءات، لابن زنجلة (ص: 659).

²- انظر: التفسير المنير، للزحيلي (25/ 254).

³- انظر: أيسر التفاسير، للجزائري (5/ 26).

المطلب الثاني: التشديد على أهل الإفك والآثام

قال الله تعالى: ﴿ وَيَلُّ لِكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ * يَسْمَعُ آيَاتِ اللَّهِ تُنَلِّي عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ (الجاثية: 7-8).

أولاً: سبب النزول:

سبب نزول قوله تعالى: (يَسْمَعُ آيَاتِ اللَّهِ تُنَلِّي عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ) (الآية: 8).

"نزلت في النضر بن الحارث وما كان يشتري من أحاديث الأعاجم، ويشغل الناس بها عن استماع القرآن، والآية عامّة في كل ما كان مضاراً لدين الله".⁽¹⁾

ثانياً: المناسبة:

بعد أن بين الله تعالى الآيات والبراهين للكفار، مع علمه أنهم لم يؤمنوا بهذه الآيات مع ظهورها، ولن يؤمنوا بعدها بشيء، أتبع ذلك بذكر وعيده بالعذاب العظيم الشديد لكل من كذب بتلك الآيات، وأصر على كفره بها، ثم ذكر أن جزاءهم العذاب الأليم في الآخرة .

ثالثاً: المعنى العام:

توعد الله تعالى المكذبين الذين صدوا عن دين الله ودعوة رسوله، ووقفوا إلى جانب الباطل وأهله بقوله تعالى: (وَيَلُّ لِكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ) فالويل هو: الوادي السائل من صديد أهل جهنم، أعداه الله لكل كذاب ذي إثم بريء، مفتر عليه⁽²⁾ ، (يَسْمَعُ آيَاتِ اللَّهِ تُنَلِّي عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا) إذا سمع آيات الله تقرأ عليه، وهي مشتملة على الوعد والوعيد، والإنذار والتبشير، والأمر والنهي، والحكم والآداب، أصرّ على الكفر بها، عناداً وجحوداً كأنه ما سمعها.⁽³⁾

رابعاً: معاني المفردات:

{ويل}: واد في جهنم أو كلمة عذاب.⁽⁴⁾

{أفَّاكٍ}: كذاب، والإفك: الكذب، {أثيم}: كثير الإثم والإجرام.⁽⁵⁾

{تُنَلِّي عَلَيْهِ} أي: يعرض عليه، ويقرأ عليه ، {كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا} أي: كأن لم يعقلها، ولم يفهمها.⁽⁶⁾

¹ - الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، للزمخشري (4 / 286).

² - جامع البيان ، للطبري (22 / 63).

³ - انظر: تفسير المراغي (25 / 144).

⁴ - فتح البيان في مقاصد القرآن، لابن لطف الله الحسيني (12 / 419).

⁵ - صفوة التفسير ، للصابوني (3 / 168).

⁶ - بحر العلوم، للسمرقندي (3 / 276).

- {مستكبراً}: الاستكبار هو: الاعراض عن الايمان، أو مُتَعَظِّمًا عن الإيمان به. (1)
 {يُصِرُّ}: الإصرار عقد العزم على الشيء، من عقد الصرة إذا شدها. (2)

خامساً: البلاغة:

- {يَسْمَعُ آيَاتِ اللَّهِ تُتْلَى عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا}: "شَبَّهَ حَالَهُمْ فِي عَدَمِ انْتِفَاعِهِمْ بِالْآيَاتِ بِحَالِهِمْ فِي انْتِفَاعِ سَمَاعِ الْآيَاتِ، وَهَذَا التَّشْبِيهُ كِنَايَةٌ عَنِ وُضُوحِ دَلَالَةِ آيَاتِ الْقُرْآنِ". (3)
- {وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ}: استعمال صيغ المبالغة، على وزن فعال في قوله: أفاك، وعلى وزن فعيل في قوله: أثيم.
- {فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ} أسلوب تهكم، وذلك لأن استعمال لفظ البشارة عادة يكون بالخير فاستخدمت هنا في الشر على سبيل التهكم.
- {يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا}: التشبيه المرسل: أي كأنه لم يسمع آيات القرآن.

سادساً: ما يستفاد من الآيات:

- 1- توعده الله عز وجل بالعذاب الشديد لأهل الإفك والآثام، والكذب، وأن مصيرهم ومآلهم مخلدون في واد في قعر جهنم.
- 2- وعيد الله تعالى لمن ترك الاستدلال بآيات الله بالرغم من وضوحها التام، ثم كفر بها وكذب بما جاءت به، وتمادى في كفره، مستكبراً في نفسه عن الانقياد لها، وجحد بها استكباراً وعناداً. (4)
- 3- العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب فالآية كان سبب نزولها خاص بالنضر بن الحارث، ولكنها عامة بالنضر وأمثاله من المشركين، وكل من لف لفيهم.
- 4- ذم الله تعالى الكذب والاستكبار والعلو في الأرض، فان عاقبتهم وخيمة.

¹ - انظر: الوجيز للواحدى (ص: 988).

² - تفسير العز بن عبد السلام (3/ 175).

³ - التحرير والتنوير، لابن عاشور (25/ 332).

⁴ - انظر: التفسير المنير، للزحيلي (25/ 259).

المطلب الثالث: شر الناس الذي يستهزأ بآيات الله

قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا عَلِمَ مِنْ آيَاتِنَا شَيْئًا اتَّخَذَهَا هُزُوًا أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ (الجمعة:9).
أولاً: المناسبة:

لما بين سبحانه وتعالى إصرار الكافر على كفره بما يسمع من الآيات، أتبع ذلك بالذين لا يكتفون بالكفر والاستكبار، بل يستهزئون بآيات الله ويتخذونها سخرياً، فقال تعالى مبيناً للعذاب الذي سينالهم: {أولئك لهم عذاب مهين}.

ثانياً: المعنى العام:

يصف الله تعالى حال الكافرين المستهزئين بآيات الله، الغافلين عنها، وهو سبحانه اعلم بحالهم، وإصرارهم على الكفر قائلاً: (وَإِذَا عَلِمَ مِنْ آيَاتِنَا شَيْئًا اتَّخَذَهَا هُزُوًا أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ) فان هؤلاء الذين يفعلون هذا الفعل، وهم الذين يسمعون آيات الله تُنزل عليهم ثم يصرون على كفرهم استكباراً، ويتخذون آيات الله التي علموها هزواً، لهم يوم القيامة من الله عذاب مهين، يهينهم ويذلهم في نار جهنم، بما كانوا في الدنيا يستكبرون عن طاعة الله وإتباع آياته.⁽¹⁾

¹ - انظر: جامع البيان ، للطبري(22 / 63).

ثالثاً: معاني المفردات:

- {آياتنا} : من القرآن، {اتخذها هزءاً} : سخريّة. (1)
{أولئك} : الأفاكُون ، {لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ} : دُوْ إِهَانَةٌ. (2)

رابعاً: البلاغة:

- {أولئك لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ}: "أولئك إشارة إلى كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ، لِسُمُولِهِ جَمِيعَ الأَفَّاكِينِ". (3)

خامساً: ما يستفاد من الآيات:

- 1- إصرار الكافرين والمكذبين على الاستهزاء بالقرآن، رغم علمهم بأنه حق، وانه منزل من عند الله تعالى.
- 2- استحقاق العذاب المهين بالمكذبين والمستهزئين بالقرآن المعرضين عن آياته.
- 3- الاستهزاء والسخرية يوجب غضب الرب في الدنيا، والخلود في النار يوم القيامة.

¹- بحر العلوم، للسمرقندي (3/ 276).

²- تفسير الجلالين، لجلال الدين السيوطي ، جلال الدين المحلي (ص: 661).

³- مفاتيح الغيب، للرازي (27/ 672).

المطلب الرابع: لم يغن عن المشرك كفره بالله

قال الله تعالى: ﴿ مِنْ وَرَائِهِمْ جَهَنَّمُ وَلَا يُغْنِي عَنْهُمْ مَا كَسَبُوا شَيْئًا وَلَا مَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ * هَذَا هُدًى وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَهُمْ عَذَابٌ مِنْ رِجْزِ أَلِيمٍ ﴾ (الجاثية: 10-11).

أولاً: المناسبة:

بعد أن وصف الله تعالى حال الكافرين وسوء مآلهم، بسبب استهزائهم بالقرآن، أعقب ذلك بذكر صفات القرآن بأنه كتاب هداية، يخرج من الضلالة إلى الهدى، ومن الكفر إلى الإيمان ومن الشرك إلى التوحيد لما فيه الهدى والنور، ولما يدعو إليه من الحق والعدل والخير، والذين كفروا به وأعرضوا عنه لهم عذاب من رجز أليم، هو من أشد أنواع العذاب لأنهم كفروا بالآيات، و لم يزكوا أنفسهم ولم يطهروها، فماتوا على أخبث النفوس وشرها فلا جزاء لهم إلا رجز العذاب.⁽¹⁾

ثانياً: المعنى العام:

حقر الله تعالى الكافرين يوم القيامة وذلك بسبب تكبرهم وكفرهم بالقرآن، فوصف حالهم يوم القيامة بقوله تعالى: (مِنْ وَرَائِهِمْ جَهَنَّمُ) أي: من وراء ما هم فيه من التعزز بالدنيا والتكبر الخلود في جهنم، والمراد أنها من قدامهم، لأنهم متوجهون إليها، (وَلَا يُغْنِي عَنْهُمْ مَا كَسَبُوا شَيْئًا) أي: ولا يدفع العذاب عنهم ما كسبوا من الأموال والأولاد.⁽²⁾

(وَلَا مَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ) يقول: ولا آلهتهم التي عبدوها من دون الله، ورؤسائهم، وهم الذين أطاعوهم في الكفر بالله، واتخذوهم نُصراء في الدنيا، تغني عنهم يومئذ من عذاب جهنم شيئاً. (وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ) يقول: ولهم من الله يومئذ عذاب في جهنم عظيم.⁽³⁾

(هَذَا هُدًى وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَهُمْ عَذَابٌ مِنْ رِجْزِ أَلِيمٍ) فإن حقيقة هذا القرآن أنه هدى خالص مصفى، لا يشوبه ضلال، فالذي يكفر بعد ذلك بالآيات، يستحق ألم العذاب.⁽⁴⁾

ثالثاً: معاني المفردات:

- من ورائهم (الوراء) اسم للجهة التي يواربها الشخص من خلف أو قدام.⁽⁵⁾
- {وَلَا يُغْنِي} لا ينفع، ولا يدفع .

¹ - انظر: أيسر التفاسير، للجزائري (5/ 26).

² - انظر: تفسير المراغي (25/ 145).

³ - جامع البيان، للطبري (22/ 64).

⁴ - انظر: في ظلال القرآن، لسيد قطب (5/ 3226).

⁵ - تفسير الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، للزمخشري (4/ 287).

- {مَا كَسَبُوا} في الدنيا من المال والفعال .
- {مَا اتَّخَذُوا} ما عبدوا. (1)
- {رَجَزٍ}: أشد العذاب. (2)

رابعاً: البلاغة:

- جُمْلَةٌ مِنْ وَرَائِهِمْ بَيَانٌ لِحُجْمَةِ لَهُمْ عَذَابٍ مُهِينٌ.
- وَفِي قَوْلِهِ: مِنْ وَرَائِهِمْ تَحْقِيقٌ لِحُصُولِ الْعَذَابِ وَكَوْنِهِ قَرِيبًا مِنْهُمْ وَأَنَّهُمْ غَافِلُونَ عَنِ اقْتِرَابِهِ، كَغَفْلَةِ الْمَرْءِ عَنِ عَدُوِّ يَتَّبِعُهُ مِنْ وَرَائِهِ لِيَأْخُذَهُ، فَإِذَا نَظَرَ إِلَى أَمَامِهِ حَسِبَ نَفْسَهُ آمِنًا.
- فِي الْوَرَاءِ اسْتِعَارَةٌ تَمَثِيلِيَّةٌ لِلِاقْتِرَابِ وَالْغَفْلَةِ. (3)
- {هَذَا هُدًى} وصف القرآن بالمصدر الذي هو هدى للمبالغة، كأنه لوضوح حجته عين الهدى. (4)

خامساً: القراءات:

- قَوْلُهُ {لَهُمْ عَذَابٌ مِنْ رَجَزٍ أَلِيمٍ} قَرَأَ ابْنُ كَثِيرٍ وَحَفْصٌ عَنْ عَاصِمٍ {أَلِيمٍ} رَفَعًا، وَقَرَأَ الْبَاقُونَ {أَلِيمٍ} خَفْضًا. (5)

سادساً: ما يستفاد من الآيات:

- 1- لم يغن عن مات على الكفر، شيء مما كسب في هذه الحياة الدنيا، من مال وولد وجاه وسلطان.
- 2- لم يغن عن المشرك ما كان يعبد من دون الله أو مع الله من أصنام وأوثان وملائكة أو أنبياء أو أولياء. (6)
- 3- القرآن الكريم هدى للبشرية من الضلالة، والذين جحدوا دلائله لهم أشد العذاب من الله. (7)
- 4- ان الكفار جعلوا آيات الله في الدنيا خلف ظهورهم، فعاقبهم الله تعالى بالآخرة ، بان جعل النار خلف ظهورهم،جزاءً على افعالهم.
- 5- إن آيات الله التي يتلوها رسوله على الناس هي هدى لكل من حسنت نيته وسلم قلبه وأراد الحق، أما الذين بيتوا العناد والكفر فلهم غضب الله وعذابه. (8)

¹- انظر: أوضح التفاسير (1/ 612).

²- صفوة التفاسير، للصابوني (3/ 168).

³- التحرير والتنوير، لابن عاشور (25/ 333).

⁴- انظر: التفسير المنير، للزحيلي (25/ 255).

⁵- السبعة في القراءات، أبو بكر بن مجاهد البغدادي (ص: 594).

⁶- انظر: أيسر التفاسير، للجزائري (5/ 27).

⁷- انظر: التفسير المنير، للزحيلي (25/ 260).

⁸- انظر: التفسير الحديث (4/ 559).

الفصل الرابع

الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف الربع الرابع من الحزب الخمسين

(سورة الجاثية آيات 12-37)

ويشتمل على خمسة مباحث:

- المبحث الأول: المقاصد والأهداف لسورة الجاثية الآيات (12-15).
- المبحث الثاني: المقاصد والأهداف لسورة الجاثية الآيات (16-20).
- المبحث الثالث: المقاصد والأهداف لسورة الجاثية الآيات (21-26).
- المبحث الرابع: المقاصد والأهداف لسورة الجاثية الآيات (27-32).
- المبحث الخامس: المقاصد والأهداف لسورة الجاثية الآيات (33-37).

المبحث الأول

المقاصد والأهداف لسورة الجاثية الآيات (12-15)

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: بيان حكمة الإنعام الإلهي على العبد.

المطلب الثاني: جواز الصفح عن الكفار في حال ضعف المسلمين.

المطلب الثالث: المرء لا يؤخذ بذنب غيره.

المطلب الأول: بيان حكمة الإنعام الإلهي على العبد

قال الله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمْ الْبَحْرَ لَتَجْرِيَ الْفُلُكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ* وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (الجمانية:12-13).

أولاً: المناسبة:

بعد أن ذكر تعالى الأدلة والحجج على وحدانيته ، ووصف القرآن بأنه كتاب هداية يخرج الناس من الكفر والشرك إلى الإيمان والتوحيد، أردف ذلك بذكر بعض النعم الدالة على قدرته تعالى ، ومن هذه النعم تسخير السفن بالبحار لحمل البضائع والركاب والطعام والشراب وغيره ، ومنها أيضا تسخير كل ما في السماوات والأرض كالبحار والنجوم والشمس والقمر للانتفاع بها في شؤون العيش والحياة، فان إيراد هذه النعم لشكره عليها والتفكر بها والاستدلال بها على قدرته ووحدانيته.

ثانياً: المعنى العام:

ذكر تعالى امتنانه على عباده بنعمه الظاهرة والباطنة، بقوله تعالى: (اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمْ الْبَحْرَ لَتَجْرِيَ الْفُلُكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ) فان الله تعالى هو الَّذِي سَخَّرَ لَكُمْ الْبَحْرَ وسهل عليكم العبور عليه، حيث جعله أملس مستوى السطح ساكنا على هيئته لَتَجْرِيَ الْفُلُكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ و بمقتضى حكمه وحكمته، وتسخيرها لكم، وأنتم تركبون عليها لَتَبْتَغُوا وتطلبوا مِنْ فَضْلِهِ بالتجارة والصيد والغوص وغير ذلك من الأغراض ،فينبغي ان تقابل هذه النعمة بالشكر والامتنان لله تعالى، بالمواظبة على أداء حقوق كرمه⁽¹⁾.

(وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ) أي: "سخر لعباده جميع ما خلقه في سمواته وأرضه، مما يتعلق به مصالحهم ويقوم به معاشهم ومما سخره لهم من مخلوقات السموات الشمس والقمر والنجوم النيرات والمطر والسحاب والرياح"⁽²⁾.

(إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ) أي: إن في تسخير هذه النعم التي أعدت لمنافع الخلق ومصالحهم، لعبرة لقوم يتفكرون في آيات الله عز وجل، وحججه سبحانه وأدلته فيعتبرون بها ويتعظون⁽³⁾.

1- انظر: الفواتح الإلهية والمفاتيح الغيبية ، للنخجواني (2/ 314).

2 - فتح البيان في مقاصد القرآن ، لابن لطف الله الحسيني (12/ 421).

3 - انظر: الهداية إلى بلوغ النهاية ، لأبو محمد مكي بن أبي طالب (10/ 6775).

ثالثاً: معاني المفردات:

{سَخَّرَ}: "سَخَّرَ من التسخير بمعنى التذليل والتهيؤ" (1).

{الْفُلْكَ}: {السُّفْنُ} ، {بِأَمْرِهِ} : "بِأَمْرِهِ" (2).

{وَلَتَبْتَغُوا}: تطلبوا ، الابتغاء هو طلب الشيء {مِنْ فَضْلِهِ} : من رزقه (3).

رابعاً: البلاغة:

{الْفُلْكَ}: "التعريف هنا تعريفُ الجِنْسِ" (4).

{لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ}: لعل تفيد معنى الترجي.

الإطناب : بتكرار اللفظ في قوله تعالى: {سَخَّرَ لَكُمْ الْبَحْرَ... ، وَسَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَاوَاتِ...} التكرار لزيادة الفضل و لإظهار الامتتان (5).

{لَتَبْتَغُوا}: اللام هنا لام التعليل.

{وَسَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ}: ذكر العام بعد الخاص، فلفظ السماوات والأرض هو لفظ عام يشمل كل ما خلقه الله كالشمس والقمر، والجبال وغيرها ، وقد جاء بعد ذكر البحر والسفن وهي لفظ خاص.

{إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ} أسلوب خبري، ضربه طليبي، مؤكد بأداتين للتوكيد هما {إِنَّ} و{اللام}.

خامساً اللطائف البيانية:

{لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ}: هنا خص الله تعالى المتفكرين بالذكر دون غيرهم، لأنهم هم الذين ينتفعون بما بين أيديهم من نعم، إذ بالتفكر السليم ينتقل العاقل من مرحلة الظن، إلى مرحلة اليقين، التي يجزم معها بأن المستحق للعبادة والحمد، إنما هو الله رب العالمين (6).

سادساً: ما يستفاد من الآيات:

1- إن من هدى الله ونعمته على الإنسان انه استطاع بقوته الهزيلة المحدودة، أن ينتفع بشيء من قوى الكون الهائلة، فالله هو الذي هدى الإنسان إلى هذا كله فأمكنه أن ينتفع به، وأن ينتفع كذلك بالبحر في جوانب أخرى: كالصيد للطعام ، وللزينة، وكذلك للتجارة والتجربة والرياضة والنزهة

1- التفسير الوسيط، لطنطاوي (13/ 150).

2- تفسير الجلالين، لجلال الدين السيوطي، جلال الدين المحلي (ص: 661).

3- انظر: أوضح التفاسير، لابن الخطيب (1/ 612).

4- التحرير والتنوير، لابن عاشور (25/ 336)

5- انظر: صفوة التفاسير، للصابوني (3/ 176).

6- انظر: التفسير الوسيط ، لطنطاوي (13/ 151).

وسائر ما يبتغيه الحي من فضل الله في البحار ، فقد سخر الله للإنسان البحر والفلك، ليبتغي من فضل الله وليتجه إليه بالشكر على النفضل والإنعام، وعلى التسخير والاهتداء فقد جعل الله ذلك كله آيات لمن يتفكر ويتدبر ويتبع بقلبه وعقله لمساة اليد الصانعة المدبرة المصرفة لهذه القوى والطاقات(1).

2- ينبغي على الإنسان أن يشكر الله على النعم التي منحها له، حتى تدوم نعم الله تعالى عليه.
3- إن العلة التي من أجلها انعم الله على عباده هي الشكر لله تعالى والثناء عليه ، وتسخير تلك النعم في مرضاته تعالى لا في معاصيه الموجبة لسخطه(2).

4- كلما شكر الإنسان ربه على نعمه وعطائه زاد نعيم الله له، فإذا كفر بنعم الله وجدها فله عذاب شديد من الله ، وذلك لقوله تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ [إبراهيم: 7].

5- امتن الله تعالى على عباده بما أنعمه عليهم من تسخير البحر لجريان السفن فيه بإذنه ومشيتته، ولتحقيق المكاسب والمنافع ، والغوص على اللؤلؤ والمرجان، واصطياد الأسماك، لكي يشكروه على نعمه، وكذلك امتن الله تعالى على العباد بتسخير جميع ما في السموات وما في الأرض من شمس وقمر ونجوم وكواكب، وجبال وسهول وأنهار ومعادن وزروع وأشجار ونباتات وغيرها، ففي ذلك كله دلائل واضحة على وحدانية الله وقدرته(3).

1- انظر: في ظلال القرآن، لسيد قطب (5/ 3226).

2- انظر: أيسر التفاسير، للجزائري (5/ 29).

3- انظر: التفسير المنير، للزحيلي (25/ 264-265).

المطلب الثاني: جواز الصفح عن الكفار في حال ضعف المسلمين

قال الله تعالى: ﴿ قُلْ لِلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ لِيَجْزِيَ قَوْمًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ (الجاثية: 14).

أولاً: سبب النزول:

ذكر المفسرون في سبب نزول هذه الآية عدة روايات منها:

1- قال ابن عباس في رواية عطاء: يُريدُ عمرُ بنَ الخطَّابِ خاصَّةً، وأرادَ بالَّذينَ لا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ عبدَ اللَّهِ بنَ أبيِّ، وذلكَ أَنَّهُم نَزَلُوا فِي عَزَاةِ بَنِي الْمُصْطَلِقِ عَلَى بئرِ يُقَالُ لَهَا المُرَيْسِيعُ، فَأرْسَلَ عبدُ اللَّهِ عَلَامَهُ لِيَسْتَقِيَ المَاءَ، فَأَبْطَأَ عَلَيْهِ فَلَمَّا أَتَاهُ قَالَ لَهُ: مَا حَبَسَكَ؟ قَالَ: عَلَامُ عُمَرَ قَعَدَ عَلَى قَفِّ البئرِ فَمَا تَرَكَ أَحَدًا يَسْتَقِيَ حَتَّى مَلَأَ قَرَبَ النَّبِيِّ وَقَرَبَ أَبِي بَكْرٍ وَمَلَأَ لِمَوْلَاهُ، فَقَالَ عبدُ اللَّهِ: مَا مَثَلُنَا وَمَثَلُ هَؤُلَاءِ إِلَّا كَمَا قِيلَ: سَمِنَ كَلْبُكَ بِأَكْلِكَ، فَبَلَغَ قَوْلُهُ عُمَرَ (ﷺ) فَاشْتَمَلَ بِسَيْفِهِ يُرِيدُ التَّوَجُّهَ إِلَيْهِ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى هَذِهِ الآيَةَ.

2- عن ابن عباس قال: لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ: {مَنْ ذَا الَّذِي يُفْرِضُ اللَّهُ قَرْضًا حَسَنًا} [البقرة: 245] ، قَالَ يَهُودِيٌّ بِالْمَدِينَةِ يُقَالُ لَهُ "فِنْحَاصُ": اِحْتِاجَ رَبِّ مُحَمَّدٍ ، فَلَمَّا سَمِعَ عُمَرَ بِذَلِكَ غَضِبَ غَضَبًا شَدِيدًا، فَاسْتَلَّ سَيْفَهُ وَخَرَجَ فِي طَلْبِهِ لِقَتْلِهِ، فَنَزَلَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى النَّبِيِّ (ﷺ) فَقَالَ: إِنَّ رَبَّكَ يَقُولُ لَكَ: {قُلْ لِلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ} وَاعْلَمْ أَنَّ عُمَرَ قَدْ اشْتَمَلَ عَلَى سَيْفِهِ وَخَرَجَ فِي طَلْبِ الْيَهُودِيِّ، فَبَعَثَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فِي طَلْبِهِ، فَلَمَّا جَاءَ قَالَ: "يَا عُمَرُ ضَعِ سَيْفَكَ"، قَالَ: صَدَقْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَشْهَدُ أَنَّكَ أُرْسِلْتَ بِالْحَقِّ قَالَ: "إِنَّ رَبَّكَ يَقُولُ: {قُلْ لِلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ} " قَالَ: لَا جَرَمَ وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ لَا يُرَى الغَضَبُ فِي وَجْهِهِ (1).

3- "نزلت في ناس من أصحاب رسول الله (ﷺ) من أهل مكة كانوا في أذى شديد من المشركين، قبل أن يؤمروا بالقتال فشكوا ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنزل الله تعالى هذه الآية ثم نسختها آية القتال" (2).

4- "أن رجلاً من كفار قريش شتم عمر بن الخطاب، فهمَّ عمر أن يبطش به، فنهاه رسول الله ﷺ فنزلت هذه الآية" (3).

¹ انظر: أسباب النزول، للواحي (ص: 378-379).

² الكشف والبيان عن تفسير القرآن (8 / 360) لأحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أبو إسحاق (المتوفى: 427هـ)، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، الطبعة: الأولى 1422، هـ، 2002 م.

³ انظر: زاد المسير في علم التفسير، لابن الجوزي (4 / 98).

من خلال الآراء السابقة يتبين أن هناك إجماع على أن قوله تعالى: (قُلْ لِلَّذِينَ آمَنُوا) نزلت: في عمر رضي الله عنه وأرضاه، وأما قوله تعالى: (لِلَّذِينَ لَا يُرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ) فليس هناك ما يرجح أنه نزلت في شخص معين .

ثانياً: المناسبة:

لما بين سبحانه وتعالى النعم الدالة على قدرته ووحدانيته، أردف ذلك بتعاليم الأخلاق الفاضلة، والمحمودة، والالتزام بأحسن الأخلاق، فطلب منهم الصّح والتجاوز عن الكافرين، وتحمل شروهم وأذاهم، وجزاءهم على ذلك عند الله تعالى، فقال: (قُلْ لِلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يُرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ لِيَجْزِيَ قَوْمًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ).

ثالثاً: المعنى العام:

وجه الله تعالى خطاب الصّح والعتو لنبيه محمد (ﷺ) بقوله: (قُلْ لِلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يُرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ)، فإن هذا الخطاب فيه تشريف للنبي محمد (ﷺ) وصحابته الكرام، كما أن فيه توبيخ للكافرين وأمثالهم، فلقد أمر الله تعالى نبيه محمد أن يأمر المؤمنين أن يصفحوا عن الكفار، ويتجاوزوا عما يصدر عنهم من الأذى والشر والأفعال الموحشة والمؤذية، فإن وصف الله تعالى لهم بقوله: {لَا يُرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ} أي لا يخافون بأس الله وعقابه لأنهم لا يؤمنون بالآخرة ولا بقاء الله (1).

(لِيَجْزِيَ قَوْمًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ) أي: "ليجزى الله تعالى يوم القيامة: قوماً بما كسبوا في الدنيا من أعمال طيبة، من جملتها الصبر على أذى الكفار والغض عنهم بكظم الغيظ واحتمال المكروه ما لا يحيط به الوصف من الثواب العظيم في جنات النعيم" (2).

رابعاً: معاني المفردات:

{يَغْفِرُوا} يعني: يتجاوزوا، ويعفوا ولا يعاقبوا، {الذين لا يُرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ} يعني: لا يخافون عقوبته (3).

خامساً: اللطائف البيانية:

{أَيَّامَ اللَّهِ}: القصد منها بلاء الله وعذابه، وكلمة الأيام كانت تستعمل عند العرب كناية عن أيام الحروب، وجملة أيام العرب تعني حروبهم، وقيل إن الجملة تشمل نعم الله ونقمه معاً، وإن معناها لا يبالون بما يقال بأن النعم والنقم من الله (4).

¹ - انظر: صفوة التفاسير، للصابوني (3/ 170).

² - تفسير المراغي (25/ 148).

³ - انظر: بحر العلوم، للسمرقندي (3/ 277).

⁴ - التفسير الحديث، لدرورة محمد عزت (4/ 561).

{لِيَجْزِيَ قَوْمًا}: والقوم هم المؤمنون الذين أمرهم الله بالعفو والتسامح والتجاوز وبذلك فإن التذكير في اللفظ أفاد التعظيم.

سادساً: القراءات:

{قُلْ لِلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ لِيَجْزِيَ قَوْمًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ}: قرأ ابن عامر وَحَمَزَةً وَالْكَسَائِيَّ {لِنَجْزِي قَوْمًا} بِالْثَوْنِ (الفوقية) عَلَى إِخْبَارِ اللَّهِ عَنِ نَفْسِهِ أَي نَحْنُ نَجْزِي وَحَجَّتْهُمْ قَوْلُهُ: {ذَلِكَ جَزِينَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا}

وَقَرَأَ الْبَاقُونَ: {لِيَجْزِيَ} بِالتَّحْتِيَّةِ، أَي: لِيَجْزِيَ اللَّهُ وَحَجَّتْهُمْ أَنْ ذَكَرَ اللَّهُ قَدْ تَقَدَّمَ فِي قَوْلِهِ: {لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ} فَيَكُونُ فَاعِلٌ {لِيَجْزِيَ} (1).

سابعاً: ما يستفاد من الآيات:

- 1- توجيه حكيم للمؤمنين إلى التسامح والصبر على كيد أعدائهم، حتى يأتي الله تعالى بأمره، الذي فيه النصر للمؤمنين، والخسران للكافرين (2).
- 2- لقد كان المسلمون قلة قليلة وضعيفة في ذلك الوقت وفي المقابل كان خصومهم أشداء وأكثر قوة ومالا وعدة وعدداً، فكان من الحكمة التجاوز عنهم والصفح، لان ذلك لا يهيئ للكفار فرصة لضربهم ضربة ساحقة قد يكون لها على الدعوة أسوأ العواقب.
- 3- الأخلاق الحسنة تابعة للعقيدة الصالحة، لذا بعد أن علم تعالى عباده دلائل التوحيد والقدرة والحكمة، علمهم محاسن الأخلاق وفضائل الأفعال، فأمر بالعفو والصفح عن المشركين والمنافقين واليهود، ليكون ذلك سببا لجزاء المؤمنين على ما كسبوا في الدنيا من الأعمال الطيبة (3).
- 4- ضرورة التحلي بالأخلاق الحميدة والفاضلة والالتزام بها كالتسامح والعفو وغيرها لأنها مما يزيد الألفة والمحبة بين الناس.
- 5- مشروعية التسامح مع الكفار والصفح عنهم والتجاوز عن أذاهم وشرهم وذلك في حال ضعف المسلمين (4).
- 6- الجزاء العظيم بشتى أنواع النعيم من الله لمن يصبر على الأذى، وقد عد الله الصبر والمغفرة من الأمور المستحبة والمؤدية إلى الخير دائماً، قال تعالى: {وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ} [الشورى: 43].

1- انظر: حجة القراءات، لابن زنجلة (ص: 660-661).

2- انظر: التفسير الوسيط، لطنطاوي (13/ 152).

3- انظر: التفسير المنير، للزحيلي (25/ 265).

4- أيسر التفاسير، للجزائري (5/ 29).

المطلب الثالث: المرء لا يؤخذ بذنب غيره

قال الله تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾ (الجنات:15).

أولاً: المناسبة:

لَمَّا دعا الله عباده إلى الالتزام بالأخلاق الحميدة قرر بأنه لا بدَّ في ذلك من الجزاء فعقب- سبحانه وتعالى- على ذلك بما يؤكد عدالة الجزاء، وبين أن جزاء العمل سواء أكان صالحاً أم سيئاً يعود على فاعله خيراً أو شراً، فيوم القيامة هو يوم الحساب حيث يعرضهم الله ويجازى كل نفس بما فعلت وكسبت من خير أو شر، فقال شارحاً لذلك الجزاء: (مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ).

ثانياً: المعنى العام:

تقتضي الحكمة الإلهية، والرحمة الربانية العدل والاتصاف في تدابير شؤون الخلق، في محاسبتهم على أعمالهم لقوله تعالى: (مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ) أي: من عمل من عباد الله بطاعته فانتهى إلى أمره، وأنزجر لنهيه، فإن ذلك العمل الصالح عائداً لنفسه، (وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا) يقول: ومن أساء عمله في الدنيا بمعصية ربه، فعلى نفسه جنى، لأنه أوبقها بذلك، وأكسبها به سخطه، ولم يضر أحدا سوى نفسه (ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ) يقول: ثم أنتم أيها الناس أجمعون إلى ربكم تعودون من بعد مماتكم، فيجازى المحسن منكم بإحسانه، والمسيء بإساءته، فإن الجزاء من جنس العمل، فمن جاء منكم بعمل صالح، جوزي من الثواب صالحاً، ومن جاء منكم بعمل سيئ جوزي من الثواب سيئاً⁽¹⁾.

ثالثاً: معاني المفردات:

{وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا} أي: فالإساءة تعود على نفسه⁽²⁾.

(ترجعون)الرجوع بعد الموت، للعرض والحساب.

رابعاً: البلاغة:

- (عَمِلَ صَالِحًا) و (أَسَاءَ): بينهما طباق يوضح المعنى ويقويه ويؤكد.
- (ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ): استعارة تمثيلية: حيث شبه الناس حين يرجعون إلى الله للجزاء والحساب بحال من كان بعيداً عن سيده ثم يعود إليه فيتلقى الجزاء على فعله.

¹ - انظر: جامع البيان، للطبري (22/ 68).

² - انظر: تفسير القرآن العزيز، (4/ 212) أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عيسى بن محمد المري، الإلبيري المعروف بابن أبي زَمَنِين المالكي (المتوفى: 399هـ)، تحقيق: أبو عبد الله حسين بن عكاشة - محمد بن مصطفى الكنز، الفاروق الحديثة، مصر/ القاهرة، الطبعة: الأولى، 1423هـ، 2002م

خامساً: ما يستفاد من الآيات:

- 1- إن ثواب العمل الصالح، وعقاب العمل السيئ يرجع إلى صاحبه، فينفعه أو يضره في آخرته، وإن جميع الخلائق عائدون إلى ربهم للحساب والجزاء ؛ فلا يظلم منهم أحداً ، قال تعالى: ﴿ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾، [آل عمران: 182]⁽¹⁾
- 2- إن جميع الأعمال التي تصدر عن العباد أياً كان نفعها وضررها فمردها إلى الله وحده ، ولا بد في ذلك من الجزاء عليها.
- 3- "تقرير أن الكسب يؤثر في النفس ويكون صفة لها وبه يتم الجزاء والحساب في الآخرة من خير وغيره، قال تعالى: ﴿سَيَجْزِيهِمْ وَصَفَهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾" [الأنعام: 139]⁽²⁾.
- 4- عدالة الجزاء عند الله سبحانه فعمل الخير يقابله النفع في الآخرة، أما عمل الشر فيقابله سوء العقاب والضرر، قال تعالى: ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ﴾، [الرحمن: 60].
- 5- أمر تعالى بالعمل الصالح ونهى عن العمل السيئ لحظ العبد، لا لنفع يرجع إليه، وهذا ترغيب منه في العمل الصالح وزجر عن العمل الباطل⁽³⁾.
- 6- الحياة الدنيا إلى زوال فيجب على كل إنسان أن يعمل لدار الآخرة التي فيها الخلود والبقاء.

¹- انظر: التفسير المنير، للزحيلي (265 / 25).

²- أيسر التفاسير، للجزائري (29 / 5).

³- انظر: مفاتيح الغيب ، للرازي (674 / 27).

المبحث الثاني

المقاصد والأهداف لسورة الجاثية الآيات (16-20)

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: المراد بتفضيل الله تعالى بني إسرائيل.

المطلب الثاني: كفر أهل الكتاب كان حسداً للنبي (ﷺ) وقومه.

المطلب الثالث: وجوب لزوم تطبيق الشريعة الإسلامية.

المطلب الرابع: القرآن كتاب هداية وإصلاح.

المطلب الأول: المراد بتفضيل الله تعالى بني إسرائيل.

قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ (الجاثية:16).

أولاً: المناسبة:

بعد أن بين سبحانه وتعالى ما أنعمه على عباده من نعم كثيرة وشامله ، انتقل إلى النعم التي أنعمها على بني إسرائيل خاصة ، فتحدث عن القيادة للبشرية وتركزها في الرسالة الإسلامية وانتهاء الراية والحكم إلى بني إسرائيل، كما تحدث عن نعمه الدينية عليهم بأن كان فيهم الشريعة والحكم والنبوة، و تفضيلهم على أهل زمانهم ومكانهم بطبيعة الحال وقد كان هذا التفضيل باختيارهم للقيادة بشرائع الله وإيتاءهم الكتاب والحكم والنبوة ، ومنحهم الخيرات والأرزاق الكثيرة.

ثانياً: المعنى العام:

كانت القيادة قبل الإسلام، لبني إسرائيل، فكانوا هم أصحاب عقيدة السماء التي اختارها الله ، ولا بد للبشر من قيادة مستمدة من السماء، والله خالق البشر هو وحده الذي يشرع لهم شريعته مبرأة من الهوى فكلهم عباده، وهو الذي خلقهم وهو أعلم بمن خلق⁽¹⁾، وبما أن نعم الدين أفضل من نعم الدنيا فقد بدأ الله بالتذكير بنعم الدين وهي: الشريعة والحكم والنبوة ، فقال تعالى: (وَلَقَدْ آتَيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ) أي: لقد أعطينا بني إسرائيل التوراة، وفصل الحكومات، والمنازعات بين الناس، وجعلنا فيهم الأنبياء والمرسلين لهداية الناس⁽²⁾، وبعد أن انتهى من ذكرها تطرق إلى الحديث عن نعم الدنيا وهي: المن والسلوى والمال وغيرها، فقال تعالى: (وَرَزَقْنَاهُمْ مِّنَ الطَّيِّبَاتِ) أي: رزقناهم من المآكل والمشارب والملابس وإنزال المن والسلوى عليهم⁽³⁾.

ثم بين تعالى أنهم كانوا أعظم درجة ممن قبلهم فقال تعالى: (وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ) يقول: "فضلناهم على عالمي أهل زمانهم في أيام فرعون وعهده في ناحيتهم بمصر والشام"⁽⁴⁾.

ثالثاً: معاني المفردات:

{وَلَقَدْ آتَيْنَا}: "أعطينا"⁽⁵⁾.

¹ - انظر: في ظلال القرآن، لسيد قطب (5 / 3228).

² - انظر: صفوة التفاسير، للصابوني (3 / 171).

³ - تيسير الكريم الرحمن ، للسعدي (ص: 776).

⁴ - جامع البيان ، للطبري (22 / 69).

⁵ - تنوير المقباس من تفسير ابن عباس، لابن عباس (ص: 420).

{الْكِتَابَ} المراد بالكتاب: التوراة التي نزلت على موسى عليه السلام⁽¹⁾.

{الْحُكْمَ} يعني: الفهم في الكتاب⁽²⁾.

{الطَّيِّبَاتِ}: هِيَ الَّتِي تَطْيِبُ عِنْدَ النَّاسِ وَتَحْسُنُ فِي الطَّعْمِ وَالْمَنْظَرِ وَالنَّفْعِ وَالزَّيْنَةِ⁽³⁾.

{وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ}: عالمي زمانهم العقلاء⁽⁴⁾.

رابعاً: البلاغة:

{وَلَقَدْ آتَيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ}: أسلوب خبري، ضربه طلبي، مؤكد بأداتين للتوكيد هما (لام القسم) و(قد):

التي تفيد التحقيق والتوكيد.

{الْعَالَمِينَ}: التعريف هنا للتخصيص أي: عالمي أهل زمانهم في أيام فرعون وعهده.

خامساً: ما يستفاد من الآيات:

1- امتن الله تعالى على بني إسرائيل بنعم كثيرة ومن هذه النعم التوراة، وفهم الكتاب أو الحكم بين الناس والقضاء في الخصومات، وإرسال كثير من الأنبياء فيهم وهم من عهد يوسف عليه السلام إلى زمن عيسى-عليه السلام- ورزقهم من طيبات الحلال من الأقوات والثمار وأطعمة الشام، وتفضيلهم على عالمي زمانهم⁽⁵⁾.

2- تفضيل الله تعالى لبني إسرائيل على عالمي أهل زمانهم ، وقد كرر الله ذلك في أكثر من موضع في القرآن ، ومنها قوله تعالى: {يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ} [البقرة: 47]، وقوله تعالى: {وَلَقَدْ اخْتَرْنَاهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَىٰ الْعَالَمِينَ} [الدخان: 32].

3- إن النعم التي يمنحها الله لعباده تكون على نوعان ، إمّا نعمٌ دينية أي تتعلق بالدين كالحكم والشرائع والنبوة وغيرها ، أو نعم دنيوية أي في شؤون الدنيا والمعيشة، كالأطعام والشراب والصحة والمال وغيرها.

4- إن نعم الدين أفضل من نعم الدنيا، فهي التي تقود إلى الخير والفلاح بالآخرة ، بخلاف النعم الدنيوية التي تجر صاحبها إلى الهلاك كالمال وغيره.

¹- انظر: التفسير الوسيط ، لطنطاوي (13 / 153).

²- التفسير البسيط ، للواحي (20 / 141).

³- انظر: التحرير والتنوير، لابن عاشور (25 / 345).

⁴- تفسير الجلالين ، لجلال الدين السيوطي، جلال الدين المحلي (ص: 662).

⁵- انظر: التفسير المنير، للزحيلي (25 / 270).

المطلب الثاني: كفر أهل الكتاب كان حسداً للنبي (ﷺ) وقومه.

قال الله تعالى: ﴿وَأَتَيْنَاهُمْ بَيِّنَاتٍ مِنَ الْأَمْرِ فَمَا اخْتَلَفُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ (الجاثية:17).

أولاً: المناسبة:

بعد أن عدد الله تعالى النعم التي أعطاهها ومنحها لبني إسرائيل وفضلهم على غيرهم ، ذكر نعمة أخرى أنعم بها عليهم فقال: (وَأَتَيْنَاهُمْ بَيِّنَاتٍ مِنَ الْأَمْرِ) ثم ذكر بأنهم قابلوا هذه النعم بأن اختلفوا في كتابهم وقد كان سبب هذا الاختلاف بغيا وحسدا للنبي (ﷺ) على ما أتاه الله من فضله، وقد جاء ذلك مواساة وتسليية للنبي (ﷺ) بأنه ليس فقط قومه من انتهجوا هذا النهج بل من تقدمهم من الأمم السابقة ساروا على هذا النهج أيضاً، ثم بين بأنه سيقابل اختلافهم في الكتاب بحكمه العدل يوم القيامة.

ثانياً: المعنى العام:

يوصل الله عز وجل في هذه الآية الحديث عن النعم الخاصة ببني إسرائيل بقوله: (وَأَتَيْنَاهُمْ بَيِّنَاتٍ مِنَ الْأَمْرِ) أي: أتيناهم شرائع واضحات في الحلال والحرام، أو معجزات ظاهرات، وقيل: العلم بمبعث النبي (ﷺ) وشواهد نبوته، وتعيين مهاجره⁽¹⁾، ثم يوبخ الله بني إسرائيل توبيخاً شديداً بسبب اختلافهم الذي لم يكن عن جهل بل كان مقصوداً ولغاية هي حسد النبي (ﷺ) فقال تعالى: (فَمَا اخْتَلَفُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ) أي: "أن بني إسرائيل أنعمنا عليهم بتلك النعم الدينية والدنيوية، فما اختلفوا في أمور دينهم التي وضناها لهم، إلا عن علم لا عن جهل، ولم يكن خلافهم في حال من الأحوال إلا من أجل البغي والحسد فيما بينهم، لا من أجل الوصول إلى الحق"⁽²⁾.

يقول ابن عطية: "وذلك أنهم لو اختلفوا اجتهادا في طلب صواب لكان لهم عذر في الاختلاف، وإنما اختلفوا بغيا وقد تبينوا الحقائق"⁽³⁾.

ثم يتوجه الله للمشركين بزجرهم عن أفعالهم واختلافهم بقوله: (إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ) أي: "هو جل وعلا الذي يفصل بين العباد يوم القيامة فيما اختلفوا فيه من أمر الدين، وفي الآية زجرٌ للمشركين أن يسلكوا مسلك من سبقهم من الأمم العاتية الطاغية"⁽⁴⁾.

¹ - انظر: فتح البيان في مقاصد القرآن، لابن لطف الله الحسيني (424 / 12).

² - التفسير الوسيط ، لطنطاوي (156 / 13).

³ - المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لابن عطية (84 / 5).

⁴ - صفوة التفسير، للصابوني (171 / 3).

ثالثاً: معاني المفردات:

{بِنَاتٍ مِّنَ الْأَمْرِ}: البينة: الحجة الظاهرة ، أي آتيانهم حججا⁽¹⁾.
{بَغِيًّا بَيْنَهُمْ}: حسداً منهم، وطلباً للرئاسة ، والبغي: هو التعدي على الغير {يَفْضِي بَيْنَهُمْ}: يحكم ويفصل⁽²⁾.

رابعاً: البلاغة:

- {فَمَا اخْتَلَفُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغِيًّا بَيْنَهُمْ}: المَقْصُودُ مِنْ ذِكْرِ هَذَا الْكَلَامِ التَّعَجُّبُ مِنْ هَذِهِ الْحَالَةِ، لِأَنَّهُ بِحُصُولِ الْعِلْمِ يَرْتَفِعُ الْخِلَافُ، وَلَكِنْ هُنَا صَارَ مَجِيءُ الْعِلْمِ سَبَبًا لِحُصُولِ الْإِخْتِلَافِ⁽³⁾.
- {بِنَاتٍ مِّنَ الْأَمْرِ}: التعريف في كلمة أمر: يفيد التعظيم والتفخيم، لان المقصود به الأمور العظيمة كالحلال والحرام والمعجزات وشؤون الأمة وغيرها.
- {فَمَا اخْتَلَفُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغِيًّا بَيْنَهُمْ}: أسلوب قصر وحصر، حيث قصر حصول الاختلاف على حصول العلم وأفاد القصر التخصيص والتوكيد.
- {إِنَّ رَبَّكَ يَفْضِي بَيْنَهُمْ}: أسلوب خبري ضربه ابتدائي مؤكد بأداة واحدة هي: {إِنَّ}.

خامساً: اللطائف البيانية:

"{إِنَّ رَبَّكَ يَفْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ}: مُسْتَأْنَفَةٌ اسْتِثْنَاءً بَيَانِيًّا، لِأَنَّ حَبْرَهُمُ الْعَجِيبُ يُثِيرُ سُؤَالَ فِي نَفْسِ سَامِعِهِ عَنِ جَزَاءِ اللَّهِ إِيَّاهُمْ عَلَى فِعْلِهِمْ، وَهَذَا جَوَابٌ فِيهِ إِجْمَالٌ لِتَهْوِيلِ مَا سَيَفْضِي بِهِ بَيْنَهُمْ فِي الْخَيْرِ وَالشَّرِّ لِأَنَّ الْخِلَافَ يَفْتَضِي مُحَقًّا وَمُطَبَّلًا"⁽⁴⁾.

سادساً: ما يستفاد من الآيات:

- 1- لم يقع الخلاف بين بني إسرائيل بإيمان بعضهم وكفر بعضهم إلا بعد قيام الحجة عليهم، وتعريفهم بحقيقة الحال، وإدراكهم صحة نبوة النبي ﷺ بوثاقهم الدينية وإخبار كتبهم وبشائرها بنبي آخر الزمان، وقد كان خلافتهم نابعا من الأغراض الذاتية، فقد كان حسداً وبغياً للنبي ﷺ وحباً للرياسة، لا من أجل المصلحة العامة، وتحذيراً من هذا الخلاف توعدهم الله بقضائه الحاسم وحكمه العادل يوم القيامة فيما اختلفوا فيه من أمر الدين في الدنيا⁽⁵⁾.

¹- التحرير والتنوير، لابن عاشور (25 / 345).

²- انظر: أوضح التفاسير، لابن الخطيب (1 / 613).

³- انظر: مفاتيح الغيب، للرازي (27 / 675).

⁴- التحرير والتنوير، لابن عاشور (25 / 347).

⁵- انظر: التفسير المنير، للزحيلي (25 / 270).

2- بيان أن كفر أهل الكتاب كان حسداً للنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وقومه من العرب على ما أتاه الله⁽¹⁾.

3- سوف يقضي الله بين عباده يوم القيامة فيؤيد الحق وأهله فيدخلهم في رحمته، ويزهق الباطل وأهله ويطردهم من رحمته.

4- تقرير عقيدة البعث والجزاء والحساب يوم القيامة، فيعرضون على الواحد القهار فيقضي بين الخلق بالحق ويجازيهم على أعمالهم التي اختلفوا فيها في الحياة الدنيا.

¹ - انظر: أيسر التفاسير، للجزائري (5/ 33).

المطلب الثالث: وجوب لزوم تطبيق الشريعة الإسلامية

قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا عَنكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ﴾ (الجاثية:18-19).

أولاً: المناسبة:

بعد أن بين سبحانه وتعالى أن خلاف الكافرين كان حسداً وبغياً للنبي (ﷺ) وقومه ولم يكن عن جهل أمر رسوله بالتمسك بطريق الحق والشريعة الإسلامية التي انزلها الله عليه، وإن يكون هدفه هو إظهار شريعة ربه، وإن لا يتبع أهواء الكافرين الضالين لأنهم لن يدفعوا عنه العذاب فالظالمون أولياء لبعضهم والمنقون أولياء لبعضهم.

ثانياً: المعنى العام:

في هذه الآية إرشاد وتوجيه من الله تعالى لرسوله (ﷺ) للتمسك بالحق والابتعاد وعدم الانجرار وراء أهل الباطل، بقوله سبحانه: (ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ) أي: ثم جعلناك بعد بني إسرائيل الذين وصفت لك صفتهم - على نهج خاص من أمر الدين، فاتبع ما أوحى إليك، ولا تتبع ما دعاك إليه الجاهلون الذين لا يعلمون توحيد الله ولا شرائعه لعباده وهم كفار قريش ومن وافقهم فتهلك⁽¹⁾.

ثم بين الله السبب الذي من أجله دعا رسوله إلى عدم إتباع الجاهلين فقال: (إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا عَنكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا) أي: إن هؤلاء الجاهلين بربهم، الذين يدعونك يا محمد إلى إتباع أهوائهم، لن يغنوا عنك إن اتبعت أهواءهم، وخالفت شريعة ربك التي شرعها لك من عقاب الله شيئاً، فيدفعوا عنك العذاب، إن عاقبك، فلا ينفذوك منه⁽²⁾.

ثم يعقب الله على ذلك ببيان أن هؤلاء المشركين أنصار لبعضهم فيقول: (وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ) أي: وإن الكافرين بعضهم أنصار بعض وأعانهم على أهل الإيمان بالله عز وجل، (والله وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ) أي: هو ولي من اتقاه بأداء فرائضه واجتناب معاصيه⁽³⁾.

ثالثاً: معاني المفردات:

{شَرِيعَةٌ}: الشريعة: بمعنى الطريقة أو المنهج أو الدِّينُ وَالْمِلَّةُ الْمُتَّبَعَةُ، وَالشَّرِيعَةُ: مُشْتَقَّةٌ مِنَ الشَّرْعِ وَهُوَ: جَعَلَ طَرِيقًا لِلسَّيْرِ⁽⁴⁾.

¹ - انظر: تفسير المراغي (25 / 152).

² - انظر: جامع البيان، للطبري (22 / 71).

³ - الهداية إلى بلوغ النهاية، أبو محمد مكي بن أبي طالب (10 / 6781).

⁴ - انظر: التفسير الحديث، لدروزة محمد عزت (4 / 563)، التحرير والتنوير، لابن عاشور (25 / 348).

{يُعْنُوا}: "يَدْفَعُوا" (1).

الأهواء: جَمْعُ هَوَى، وَهُوَ الْمَحَبَّةُ وَالْمَيْلُ، وَالْمَعْنَى: أَنَّهُمْ أَحَبُّوا أَعْمَالَ لَمْ يَأْمُرِ اللَّهُ بِهَا وَلَا افْتَضَّنَهَا الْبَرَاهِينُ. (2)

{وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ} أي: "وهو تعالى ناصر ومعين المؤمنين المتقين في الدنيا والآخرة" (3).

رابعاً: البلاغة:

- (ثم) لِلتَّرَاخِي، وليس على الفور.
- (فَاتَّبَعَهَا وَلَا تَتَّبِعْ) طباق سلب: فالأول مثبت ، والثاني منفي.
- (فَاتَّبَعَهَا) أسلوب أمر حقيقي لأنه من الله إلى رسوله، فالله يأمر رسوله بإتباع الشريعة.
- (وَلَا تَتَّبِعْ): أسلوب نهي حقيقي، فالله يأمر رسوله بعدم إتباع الظالمين.
- (عَلَى شَرِيعَةٍ) عَلَى لِإِسْتِعْلَاءِ الْمَجَازِيِّ، أَي التَّمَكُّنِ وَالنَّبَاتِ.
- "التَّنْوِينُ فِي كَلِمَةِ (شَرِيعَةٍ) جَاءَ لِلتَّعْظِيمِ بِقَرِينَةٍ وَدَلِيلِ حَرْفِ التَّرَاخِي الرَّثْبِيِّ" (4)

خامساً: اللطائف البيانية:

(إِنَّهُمْ لَنْ يُعْنُوا عَنْكَ مِنْ اللَّهِ شَيْئاً) الخطاب للنبي وأراد به قومه، إذ يستحيل على النبي (ﷺ) أن يتبع أهوائهم.

(وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ) "الخطاب للنبي (ﷺ) وَالْمَقْصُودُ مِنْهُ: إِسْمَاعُ الْمُشْرِكِينَ لِنَلَا يَطْمَعُوا بِمَصَانَعَةِ الرَّسُولِ (ﷺ) إِيَّاهُمْ حِينَ يَرَوْنَ مِنْهُ الْإِعْضَاءَ عَنْ هَفَوَاتِهِمْ وَأَدَاهُمْ" (5)

سادساً: ما يستفاد من الآيات:

- 1- وجوب تطبيق الشريعة الإسلامية فالمرء مطالب بإتباع دين الإسلام والسير على المنهج القويم والشريعة السمحاء، والتحذير من الميل إلى أهواء الكافرين والمنافقين، والانجرار ورائهم.
- 2- النهي عن إتباع ما دعا إليه الجاهلون بالله، الذين لا يعرفون الحق من الباطل، والبراءة من أعمالهم التي تتسبب في الهلاك، ووجوب غضب الله تعالى (6).
- 3- تخلي وبراءة الكافر من المسلم العاصي يوم القيامة، فان الكافر لا يدفع عن المسلم العاصي شيئاً من عذاب الآخرة وجحيمها.

1- تفسير الجلالين ، لجلال الدين السيوطي، جلال الدين المحلي (ص: 662).

2- انظر: التحرير والتوير، لابن عاشور (25 / 348).

3- صفوة التفاسير، للصابوني (3 / 171).

4- انظر: التحرير والتوير، لابن عاشور (25 / 347).

5- التحرير والتوير، لابن عاشور (25 / 348).

6- انظر: جامع البيان، الطبري (22 / 70).

- 4- على صاحب الدعوة أن يتبع الشريعة وحدها، ويدع الأهواء كلها، وعليه ألا ينحرف عن شيء من الشريعة إلى شيء من الأهواء⁽¹⁾.
- 5- إن الله هو ولي الذين يتقونه، ولا ينحرفوا عن الحق، ولا يحيدون عنه، وتقوى الله تكون بفعل محابه وترك مساخطه.
- 6- جعل الله النبي (ﷺ) على طريق واضح من الحق والهدى فعليه وعلى المؤمنين أن يسيروا في هذا الطريق ولا ينحرفوا عنه ولا يختلفوا ويتنازعوا فيه كما فعل بنو إسرائيل ولا يعبثوا بمواقف الكافرين الظالمين ولا يتبعونهم⁽²⁾.
- 7- دعا الله عباده بعدم إتباع الجاهلين في أكثر من موضع في القرآن ، وهذا مما يؤكد على أهمية هذه القضية ، قال تعالى: {وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ آمَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ} [الشورى: 15].

¹- في ظلال القرآن، لسيد قطب (5/ 3229).

²- انظر: التفسير الحديث، لدروزة محمد عزت (4/ 564).

المطلب الرابع: القرآن كتاب هداية وإصلاح

قال الله تعالى: ﴿ هَذَا بَصَائِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ (الجاثية:20).

أولاً: المناسبة:

بعد أن أخبر الله تعالى نبيه بألا يتبع أهواء الكافرين الضالين؛ لأنهم لن يدفعوا عنه العذاب ، ذكر أن القرآن معالم للهداية، تهتدي بها القلوب الضالة عن طريق الحق، فيلزم الإنسان الإيمان به، للوصول إلى طريق النجاة.

ثانياً: المعنى العام:

أشار المولى عز وجل إلى أن القرآن الكريم، كتاب هداية وصلاح لجميع الخلق، فقال تعالى ذكره: (هَذَا) الكتاب الذي أنزلناه إليك يا محمد (بَصَائِرُ لِلنَّاسِ) يُبْصِرُونَ به الحق من الباطل، وضياء للناس بمنزلة البصائر في القلوب ويعرفون به سبيل الرشاد، (وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ) فقد جعله الله تعالى رحمة لمن آمن به وأيقن⁽¹⁾.

ثالثاً: معاني المفردات:

{هَذَا} القرآن {بَصَائِرُ لِلنَّاسِ} البصائر: جمع بصيرة؛ وهو ما يبصر بالقلب. وقيل دلالات يبصر بها الناس⁽²⁾.
وَقَوْلُهُ: {يُوقِنُونَ} أي: يعلمون.

رابعاً: البلاغة:

(هَذَا بَصَائِرُ لِلنَّاسِ): وَصَفُ الْقُرْآنِ بِالْبَصَائِرِ مَجَازٌ عَقْلِيٌّ لِأَنَّ الْبَصَائِرَ إِدْرَاكُ الْعَقْلِ الْأُمُورَ عَلَى حَقَائِقِهَا.⁽³⁾

(هذا) إشارة إلى القرآن، وذلك يفيد التعظيم⁽⁴⁾.

(هَذَا بَصَائِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ): التكرير هنا يفيد التعظيم والتفخيم، فهدي الله ورحمته ليست كأبي هدى ورحمة.

¹ - انظر: جامع البيان، للطبري (71 / 22)، صفوة التفسير، للصابوني (3 / 171).

² - انظر: أوضح التفسير، لابن الخطيب (1 / 613) تفسير القرآن، للسمعاني (5 / 139).

³ - انظر: التحرير والتنوير، لابن عاشور (25 / 350).

⁴ - انظر: الوجيز، للواحي (ص: 990).

خامساً: اللطائف البيانية:

- جاءت كلمة (البصائر) للناس عامةً لأنها بيان للناس، وخصص الهدى والرحمة لقوم يوقنون، لأنه لا يهتدي ببيانه إلا الموقن بحقيقته ولا يرحم به إلا من اتبعه المؤمن بحقيقته.
- ذكر لفظ (قوم) للإيماء إلى أن الإيقان متمكن من نفوسهم، كأنه من مقومات قوميتهم التي تميزهم عن أقوام آخرين.
- الإيقان: العلم الذي لا تردد فيه، وحذف متعلقه لأنه معلوم بما جاءت به آيات الله⁽¹⁾.

سادساً: ما يستفاد من الآيات:

- 1- بيان أن القرآن كتاب هداية وإصلاح، ولا يتم شيء من هداية الناس وإصلاحهم إلا عليه⁽²⁾.
- 2- جعل الله القرآن بصيرة للناس أجمعين؛ فلا يضل سالكه، ولا يهتدي تاركه، كما جعله رحمة لمن سار على دربه، واتبع هداه.
- 3- إن القرآن الكريم الذي أنزله الله تعالى على قلب نبيه براهين ودلائل ومعالم للناس في الحدود والأحكام، فهو بمنزلة البصائر في القلوب، كما جعل في سائر آياته روحاً وحياءً ونهاجاً ونبراساً، وهو هدى من الضلالة، ورشد وطريق يؤدي إلى الجنة، ورحمة من العذاب في الآخرة لمن آمن واتفق⁽³⁾.

¹ - انظر: التحرير والتنوير، لابن عاشور (25 / 351).

² - أيسر التفاسير، للجزائري (5 / 33).

³ - انظر: التفسير المنير، للزحيلي (25 / 271).

المبحث الثالث

المقاصد والأهداف لسورة الجاثية الآيات (21-26)

وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: بطلان اعتقاد الكافرين في مساواة الناس في الجزاء.

المطلب الثاني: التنديد بالهوى والتحذير من إتباعه.

المطلب الثالث: الرد على الدهريين المنكرين للبعث.

المطلب الرابع : بطلان أدلة الكفر.

المطلب الخامس: العلم الصحيح منبثق عن الوحي.

المطلب الأول: بطلان اعتقاد الكافرين في مساواة الناس في الجزاء

قال الله تعالى: ﴿ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ * وَخَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَلِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ (الجاثية: 21-22).

أولاً: أسباب النزول:

نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ فِي ثَلَاثَةِ مِنَ الصَّحَابَةِ هُمْ: عَلِيٌّ وَحَمْرَةَ وَأَبِي عُبَيْدَةَ بْنِ الْجَرَّاحِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وَفِي ثَلَاثَةِ مِنَ الْمُشْرِكِينَ هُمْ: عُنْبَةُ وَشَيْبَةُ وَالْوَلِيدُ بْنُ عُنْبَةَ، قَالُوا لِلْمُؤْمِنِينَ: وَاللَّهِ مَا أَنْتُمْ عَلَى شَيْءٍ، وَلَوْ كَانَ مَا تَقُولُونَ حَقًّا لَكَانَ خَالِنَا أَفْضَلَ مِنْ خَالِكُمْ فِي الْآخِرَةِ، كَمَا أَنَّا أَفْضَلُ خَالًا مِنْكُمْ فِي الدُّنْيَا، فَأَنْكَرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ هَذَا الْكَلَامَ، وَبَيَّنَّ أَنَّهُ لَا يُمَكِّنُ أَنْ يَتَسَاوَى خَالُ الْمُؤْمِنِ الْمُطِيعِ مَعَ خَالِ الْكَافِرِ الْعَاصِي فِي دَرَجَاتِ النَّوَابِ، وَمَنَازِلِ السَّعَادَاتِ (1).

ثانياً: المناسبة:

"لما حكى تعالى ضلالات بني إسرائيل، وبيّن أن القرآن نور وهداية لمن تمسك به، أعقبه ببيان أنه لا يتساوى المؤمن مع الكافر، ولا البار مع الفاجر، لا في الدنيا ولا في الآخرة، ثم ذكر الأدلة على البعث والنشور" (2).

ثالثاً: المعنى العام:

يبين الله تعالى عدالته مع عباده على مجازاتهم على أعمالهم بقوله: (أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ) أي: ظنّ الذين اكتسبوا السيئات من الأعمال في الدنيا، وكذبوا رسل الله، وخالفوا أمر ربه، وعبدوا غيره، أن نسأوي بينهم في الآخرة، وبين الذين آمنوا بالله وصدقوا رسله وعملوا الصالحات، فأطاعوا الله، وأخلصوا له العبادة دون ما سواه من الأنداد والآلهة، كلا ما كان الله ليفعل ذلك، فلقد ميز بين الفريقين، فجعل حزب الإيمان في الجنة، وحزب الكفر في السعير (3).

{أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم} مُستويًا حياتهم وموتهم أي: المؤمن مؤمنٌ حياً وميتاً، والكافر كافرٌ حياً وميتاً فلا يستويان {سواء ما يحكمون} وهذا توييح وتحقير لهم من الله تعالى إذ حسبوا أنهم كالمؤمنين: نزلت هذه الآية حين قال المشركون: لئن كان ما تقولون حقاً لفضلنا عليكم في الآخرة كما فضلنا عليكم في الدنيا (4).

1- انظر: مفاتيح الغيب، للرازي (27/ 676).

2- صفوة التفسير، للصابوني (3/ 172).

3- انظر: جامع البيان، للطبري (22/ 72).

4- انظر: الوجيز، للواحي (ص: 990).

رابعاً: معاني المفردات:

- {سَوَاءٌ مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ}: يكونون سواء في الآخرة⁽¹⁾.
{اجترحوا} اكتسبوا والإجترأح الاكتساب: ومنه الجوارح الكاسبة للصيد⁽²⁾.

خامساً: البلاغة:

- {مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ}: طباق إيجاب ، يوضح المعنى ويؤكد.
- {السِّيَّاتِ}، {الصَّالِحَاتِ}: بينهما طباق إيجاب يقوي المعنى.
- {اجترحوا}: الفعل هنا على وزن افتعلوا ، وصيغة الافتعال استعملت هنا للمبالغة.
- {وَلِجَزَى}: اللام هنا لام التعليل.
- {أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجترحوا السيئات}: أسلوب استفهام غرضه البلاغي الإنكار أي: هل يظنُّ الكفار الفجار الذين اكتسبوا المعاصي والآثام أن نسأوي بينهم وبين المؤمنين الأبرار⁽³⁾.

سادساً: القراءات:

{أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجترحوا السيئات أن نجعلهم كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ ...}:
قَرَأَ حَمْرَةَ وَالْكَسَائِيَّ وَحَفْصٌ {سَوَاءٌ مَحْيَاهُمْ} بِالنَّصْبِ، حَيْثُ جَعَلُوهَا مَفْعُولًا ثَانِيًا لِ {نَجْعَلُهُمْ} وَإِنْ جَعَلَتْ {كَالَّذِينَ آمَنُوا} مَفْعُولًا ثَانِيًا نَصَبَتْ {سَوَاءٌ} عَلَى أَنَّهَا حَالٌ ...
وَقَرَأَ الْبَاقُونَ {سَوَاءٌ} بِالرَّفْعِ حَيْثُ جَعَلَتْ مَبْتَدَأً وَمَا بَعْدَهَا خَبْرٌ، قَالَ مُجَاهِدٌ قَوْلُهُ سَوَاءٌ مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ أَيْ يَمُوتُ الْمُؤْمِنُ عَلَى إِيمَانِهِ وَيَبْعَثُ عَلَيْهِ وَيَمُوتُ الْكَافِرُ عَلَى كُفْرِهِ وَيَبْعَثُ عَلَيْهِ وَهَذَا التَّفْسِيرُ يَدُلُّ عَلَى هَذِهِ الْقِرَاءَةِ⁽⁴⁾.

سابعاً: ما يستفاد من الآيات:

- 1- يوجد فرق بين المحسنين والمسيئين في الجزاء في الدنيا والآخرة، فالله ولي المتقين وناصرهم في الدنيا والآخرة، والظالمون الكافرون يوالي بعضهم بعضاً في الدنيا فقط، وأما في الآخرة فتنتقطع ولاياتهم ، فان المحسنين المؤمنين سعداء الدنيا والآخرة، والمسيئين الكفار أشقياء في الآخرة، وإن تساوا في الدنيا مع المؤمنين في الصحة والرزق والكفاية، أو كانوا أحسن حالا من المؤمنين فيها⁽⁵⁾.

¹- بحر العلوم ، للسمرقندي (3 / 279).

²- انظر: صفوة التفاسير، للصابوني (3 / 172).

³- انظر: صفوة التفاسير، للصابوني (3 / 173).

⁴- حجة القراءات، لابن زنجلة (ص: 661).

⁵-انظر: التفسير المنير، للزحيلي (25 / 277).

2- يوجد تفاوت في الجزاء والدرجات بين المحسنين يوم القيامة في الجنة، وبين المسيئين في دركات النار عدلا من الله، لأنه بالعدل قامت السموات والأرض، وكذلك تجزى كل نفس في الآخرة بما كسبت في الدنيا، وهم لا يظلمون فيها بنقص ثواب أو زيادة عقاب⁽¹⁾.

¹ - انظر: التفسير المنير، للزحيلي (25 / 278)

المطلب الثاني: التنديد بالهوى والتحذير من إتباعه

قال الله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ (الجنائفة: 23).

أولاً: سبب النزول:

قال سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ (1): كَانَ أَحَدُهُمْ يَعْبُدُ الْحَجَرَ، فَإِذَا رَأَى مَا هُوَ أَحْسَنُ مِنْهُ رَمَى بِهِ وَعَبَدَ الْآخَرَ، وَقَالَ مُقَاتِلٌ²: نَزَلَتْ فِي الْحَارِثِ بْنِ قَيْسِ السَّهْمِيِّ أَحَدِ الْمُسْتَهْزِئِينَ، لِأَنَّهُ كَانَ يَعْبُدُ مَا تَهْوَاهُ نَفْسُهُ. (3)

ثانياً: المناسبة:

لما بين الله تعالى غاية البيان أنه الإله وحده، وأن إحاطته اشتملت على جميع صفات الكمال، وأنه لا بد من جمعه الخلائق ليوم الفصل للحكم بينهم بما له من الحكمة والقدرة، وحقر الهوى ونهى عن إتباعه، بعدما عظموه بحيث جعلوه معبوداً، فلزم من ذلك تحقيرهم الإله، ولم يرجعوا عن ضلالهم، تسبب عن ذلك التعجب ممن يظن أنه يقدر على رد أحد منهم عن غيه بشيء من الأشياء (4).

ثالثاً: المعنى العام:

اختلف أهل التأويل في تأويل قوله: (أَفَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ) فقال بعضهم: معنى ذلك: أفرأيت من اتخذ دينه بهواه، فلا يهوى شيئاً إلا ركبته، لأنه لا يؤمن بالله، ولا يحرم ما حرم، ولا يحلل ما حلل، إنما دينه ما هويته نفسه يعمل به. وقال آخرون: بل معنى ذلك: أفرأيت من اتخذ معبوده ما هويت عبادته نفسه من شيء.

وقد رجح الإمام الطبري - رحمه الله - قول من قال: معنى ذلك: أفرأيت يا محمد من اتخذ معبوده هواه، فيعبد ما هوي من شيء دون إله الحق الذي له الألوهة من كل شيء، لأن ذلك هو الظاهر من معناه دون غيره.

1 - سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ (45 - 95 هـ) الأَسَدِي، بِالْوَلَاءِ، الْكُوفِي، أَبُو عَبْدِ اللَّهِ: تَابِعِي، كَانَ أَعْلَمَهُمْ عَلَى الْإِطْلَاقِ. وَهُوَ حَبَشِي الْأَصْلِ، مِنْ مَوَالِي بَنِي وَالْبَةِ بْنِ الْحَارِثِ مِنْ بَنِي أَسَدٍ. أَخَذَ الْعِلْمَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ وَابْنِ عَمْرِو، الْأَعْلَامَ لِلزَّرْكَلِيِّ (3/ 93).

2 - مُقَاتِلُ بْنُ سَلِيمَانَ بْنِ بَشِيرِ الْأَزْدِيِّ بِالْوَلَاءِ، الْبَلْخِيُّ، أَبُو الْحَسَنِ: مِنْ أَعْلَامِ الْمَفْسَرِينَ، أَصْلُهُ مِنْ بَلْخِ انْتَقَلَ إِلَى الْبَصْرَةِ، وَدَخَلَ بَغْدَادَ فَحَدَّثَ بِهَا. وَتُوفِيَ بِالْبَصْرَةِ، الْأَعْلَامَ لِلزَّرْكَلِيِّ (7/ 281).

3 - الْجَامِعُ لِأَحْكَامِ الْقُرْآنِ، لِلْقُرْطُبِيِّ (16/ 167).

4 - نَظْمُ الدَّرْرِ فِي تَنَاسُبِ الْآيَاتِ وَالسُّورِ، لِلْبِقَاعِيِّ (18/ 93-94).

وقوله (وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ) يقول تعالى ذكره: وخذله عن محجة الطريق، وسبيل الرشاد في سابق علمه على علم منه بأنه لا يهتدي، ولو جاءتته كل آية⁽¹⁾.

قال الصاوي⁽²⁾: وصف الله تعالى الكفار بأربعة أوصاف: الأول: عبادة الهوى، والثاني: ضلاله على علم الثالث: الطبع على أسماعهم وقلوبهم الرابع: جعل الغشاوة على أبصارهم، وكلّ وصفٍ منها مقتضى للضلالة، فلا يمكن إيصال الهدى إليهم بوجهٍ من الوجوه⁽³⁾.

يقول سيد قطب رحمه الله: "ونرى هذا الفريق من الناس ينكر أمر الآخرة، ويشك كل الشك في قضية البعث والحساب، ويتعنّت في الإنكار وفي طلب البرهان بما لا سبيل إليه في هذه الأرض، والقرآن يوجه هذا الفريق إلى الدلائل القائمة الحاضرة على صدق هذه القضية، وهم عنها معرضون"⁽⁴⁾.

رابعاً: البلاغة:

- (أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ): أسلوب إنشائي نوعه استفهام غرضه التعجب.
- (أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ): تشبيه مقلوب، حيث عبر بقوله اتخذ إلهه هواه بدل من قوله اتخذ هواه إلهه فقد جعل هواه معبوده يطيعه في كل أمر كما يطيع العابد معبوده .
- (أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ): وإلهه يجوز أن يكون أطلق على لزوم الطاعة كأنه معبود فيكون هذا بطريقة التشبيه البليغ، أي اتخذ هواه كإله له ، ويجوز أن يبقى إلهه على الحقيقة ويكون هواه بمعنى مهويّه، أي عبد إلهها لأنه يجب أن يعبدّه.
- (وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ (حَزْفُ (عَلَى) مَعْنَاهُ الْمُصَاحَبَةُ بِمَعْنَى (مَعَ) وَأَصْلُ هَذَا الْمَعْنَى إِسْتِعَارَةٌ مَعْنَى الْإِسْتِعْلَاءِ لِلِاسْتِعْلَاءِ الْمَجَازِيِّ وَهُوَ التَّمَكُّنُ بَيْنَ الْوُصْفِ وَالْمَوْصُوفِ⁽⁵⁾).

خامساً: ما يستفاد من الآيات:

- 1- التنديد بالهوى والتحذير من إتباعه فقد يفضي بالعبد إلى ترك متابعة الهدى إلى مطاوعة الهوى فيصبح معبوده هواه لا الرب تعالى مولاه.

¹- جامع البيان ، للطبري (22 / 75-76).

²- أحمد بن محمد الخلوّتي، الشهير بالصاوي: فقيه مالكي، نسبته إلى (صاء الحجر) في إقليم الغربية، بمصر، توفي بالمدينة المنورة. من كتبه (حاشية على تفسير الجلالين)، الأعلام للزركلي (1 / 246).

³- صفوة التفاسير، للصابوني (3 / 173).

⁴- في ظلال القرآن ،لسيد قطب(5 / 3220).

⁵- انظر التحرير والتنوير، لابن عاشور (25 / 358).

- 2- "التحذير من ارتكاب سنن الضلال المفضي بالعبد إلى الضلال الذي لا هداية معه"⁽¹⁾.
- 3- إقامة الحجّة والبرهان على الكافر يوم القيامة، فإن كفره كان عن علم منه، كما أخبر الله تعالى بذلك.
- 4- يختم الله تعالى على قلب الكافر يوم القيامة، فلا يسمع ما ينفعه، ولا يعي شيئاً يهتدي به، ولا يرى حجة يستضيء بها⁽²⁾.

¹- أيسر التفاسير، للجزائري (5/ 35).

²-انظر: تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (7/ 268).

المطلب الثالث: الرد على الدهريين المنكرين للبعث.

قال الله تعالى: ﴿ وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴾ (الجاثية:24).

أولاً: أسباب النزول:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كان أهل الجاهلية يقولون: إنما يهلكنا الليل والنهار فقال الله في كتابه: (وقالوا ما هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر)⁽¹⁾.

ثانياً: المناسبة:

بعد أن ذكر سبحانه وتعالى أن المشركين قد اتخذوا إلههم هواهم، وأن الله قد أضلهم على علم بحالهم، وأنه ختم على سمعهم وقلوبهم وجعل على بصرهم غشاوة، ذكر هنا جناية أخرى من جناباتهم، وحمافة من حماقاتهم التي ارتكبوها، وهي إنكارهم للبعث، وقولهم ما هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر، وما ذلك منهم إلا ظنون وأوهام لا مستند لها من نقل ولا عقل⁽²⁾.

ثالثاً: المعنى العام:

يظهر الله تعالى حال المشركين في جهلهم وجحودهم للحق بقولهم: على لسان الحق تبارك وتعالى: (مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ) أي: وقال هؤلاء المشركون على سبيل الجهل والعناد، ما الحياة إلا هذه الحياة الدنيوية التي نحياها فيها، وليس هناك حياة سواها، فنحن نموت ثم يحيا أولادنا من بعدنا أو يموت بعضنا ويحيا البعض الآخر إلى زمن معين، أو نكون أمواتاً في أصلاب آبائنا، ثم نحيا بعد ذلك عند الولادة، وَمَا يُهْلِكُنَا عند انتهاء آجالنا إِلَّا الدَّهْرُ أي: إلا مرور الزمان فهم بذلك منكرين لقدرة الله وعظمته، وَمَا إنكارهم بِذَلِكَ إِلَّا ظُنُّنَا منهم بغير عِلْمٍ، فرد عليهم فيما قالوه من أقوال باطلة تتعلق بإنكارهم للبعث والحساب، وليس لهم فيما زعموه من إنكارهم للبعث من علم مستند إلى نقل أو عقل، إن هم إلا يظنون ظناً مبنياً على الوهم والضلال⁽³⁾.

رابعاً: معاني المفردات:

{ وَقَالُوا } القائلون هم: مُنْكَرُو البَعث⁽⁴⁾.

{ الدَّهْرُ } أي: "العمر، أو الزمان، أو الموت"⁽⁵⁾.

¹ - فتح القدير، للشوكاني (5/ 12)

² - انظر: تفسير المراغي (25/ 158).

³ - انظر: التفسير الوسيط، لطنطاوي (13/ 161-162).

⁴ - انظر: تفسير الجلالين، لجلال الدين السيوطي، جلال الدين المحلي (ص: 663).

⁵ - تفسير العز بن عبد السلام (3/ 178).

خامساً: البلاغة:

- (وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا): فُؤِمَ (نَمُوتُ فِي الذِّكْرِ) عَلَى (وَنَحْيَا فِي الْبَيَانِ) ، فَكَانَ الظَّاهِرُ أَنَّ يُبَدَأُ فِي الْبَيَانِ بِذِكْرِ اللَّفْظِ الْمُبَيِّنِ فَيَقَالُ: نَحْيَا وَنَمُوتُ، فَقِيلَ فُؤِمَ نَمُوتُ لِتَنَاسُبِ الْفَاصِلَةِ بِلَفْظِ نَحْيَا مَعَ لَفْظِ الدُّنْيَا... وَ تَفْؤِيمِ فِعْلِ نَمُوتُ عَلَى نَحْيَا لِإِلْهَامِ بِالْمَوْتِ فِي هَذَا الْمَقَامِ لِأَنَّهْمُ بِصَدَدِ تَفْؤِيرِ أَنَّ الْمَوْتَ لَا حَيَاةَ بَعْدَهُ وَذَلِكَ أَدْخَلَ فِي بَلَاغَةِ الْإِعْجَازِ (1).
- (نَمُوتُ وَنَحْيَا): التعبير عن الحياة والموت بلفظ المضارع وذلك للدلالة على تجدد الحياة والموت في كل وقت وأنها مستمران لا ينتهيان في الدنيا.
- (نَمُوتُ وَنَحْيَا): بينهما طباق إيجاب يقوي المعنى ويوضحه.
- (وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ): أسلوب قصر غرضه التخصيص ، حيث قصر الهلاك والموت على الدهر.
- (إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ): التعبير بالفعل المضارع للدلالة على استمرارية الظن وعدم الإقلاع عنه.

سادساً: ما يستفاد من الآيات:

- 1- تقرير عقيدة البعث والجزاء.
- 2- الرد على الدهريين وهم الذين ينسبون الحياة والموت للدهر .
- 3- بطلان زعم الكفار و بيان أنه ليس لديهم دليل عقلي ولا نقلي على صحة الكفر عقيدة كان أو عملاً.
- 4- بيان أن أكثر الناس لا يعلمون، وذلك لأنهم كذبوا بالوحي الإلهي في الكتاب والسنة.
- 5- بيان أنه لا علم صحيح إلا من طريق الوحي الإلهي. (2)
- 6- يوجد تشابه كبير بين مشركي قريش، وبين مشركي هذا العصر، فان مشركي قريش أنكروا البعث بعد الموت، وكذلك مشركي هذا العصر فإنهم ينكرون وجود الخالق عز وجل ، فهم مشتركون في الكفر والإنكار، فكلاهما أنكر أمراً معلوماً من الدين بالضرورة.

¹ - انظر: التحرير والتنوير، لابن عاشور (25/ 362).

² - انظر: أيسر التفاسير، للجزائري (5/ 38).

المطلب الرابع : بطلان أدلة الكفر

قال الله تعالى: ﴿ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ مَا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا اتُّوا بِآبَائِنَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ (الجاثية:25).

أولاً: المناسبة:

بعد أن ذكر سبحانه وتعالى إنكار المشركين للبعث معتمدين على الظنون والأوهام أتبع سبحانه وتعالى ذلك بذكر حجتهم على إنكار البعث و هي طلبهم إعادة إحياء آبائهم الموتى وإرجاعهم للحياة ليصح عندهم البعث، فقال تعالى: (وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ مَا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا اتُّوا بِآبَائِنَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ)، (الجاثية:25).

ثانياً: المعنى العام:

إن الكفر والجحود لدى الكفار متغلغل في نفوسهم، ومنتحجر في عقولهم ، فهم يعلمون علم اليقين أن هناك بعث وحساب بعد الموت ولكنهم أنكروا ذلك ، فما كَانَ حُجَّتَهُمْ وزعمهم إلاَّ أَنْ قَالُوا اتُّوا بِآبَائِنَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ، أي: أي وإذا تلي على هؤلاء المشركين الذين سبق القول في جرائمهم آيات الكتاب الدالة على أن البعث حق، وأن الله سيعيد الخلق يوم القيامة وينشئه نشأة أخرى لم يكن لهم من حجة في دحض هذا إلا أن قالوا: إن كان ما تقولونه حقاً فأعيدوا لنا آباءنا الأولين وابعثوهم من قبورهم أحياء حتى نعتقد صحة ما تقولون، وهذا كلام لا ينبغي أن يصدر من عاقل، فإنه لا يلزم من عدم حصول الشيء في الحال كإعادة آبائهم التي طلبوها في الدنيا- امتناعه فيما بعد إذا قامت القيامة، وبعث الله الموتى من قبورهم للعرض والحساب⁽¹⁾.

ثالثاً: معاني المفردات:

{آياتنا}: أدلتنا أو قدرتنا على البعث⁽²⁾.

{بَيِّنَاتٍ}: "وَاضِحَاتٍ"⁽³⁾.

رابعاً: البلاغة:

إما أن يكون إطلاق اسم الحجة على كلامهم تهكما بهم وإما أن يكون قد جرى على اعتقادهم وتقديرهم دون قصد التهكم بهم، أي أتوا بما توهموه حجة، فيكون الإطلاق استعارة صورية⁽⁴⁾.

¹ - انظر: تفسير المراغي (25/ 160).

² - الوجيز، للواحدى (ص: 991).

³ - انظر: تفسير الجلالين ، لجلال الدين السيوطي، جلال الدين المحلي (ص: 664).

⁴ - انظر: التحرير والتوير، لابن عاشور (25/ 364).

(آياتنا): جاءت نكرة للتعظيم والتفخيم.

خامساً: القراءات:

(مَا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا): قرأ الحسن وعمرو بن عبيد وابن عامر ... «حجتهم» بالرفع على اسم كان والخبر في أن، وقرأ جمهور الناس «حجتهم» بالنصب على مقدم واسم كان في أن⁽¹⁾.

سادساً: ما يستفاد من الآيات:

- 1- غالباً ما يبحث الكفار عن مبررات و حجج واهية، للهروب والابتعاد عن الحق وأهله، ليس لهم بذلك أي دليل ، غير إتباع الأهواء، والانجرار وراء الشهوات والملذات.
- 2- ما أصاب المشركين من عذاب إنما هو بسبب جرأتهم على الله، ، حيث اقترحوا هذا الاقتراح وزعموا أن صدق رسل الله متوقف على الإتيان بأبائهم، وأنهم لو جاءوهم بكل آية لم يؤمنوا بها، فاستحقوا عقاب الله تعالى⁽²⁾.
- 3- اشتراطهم للإيمان كان مرتبطاً بأمر مادي، فان رفضهم للإيمان حتى إرجاع إباءهم من الموتى، يدل على استخفاف وتحجر عقولهم ، وضعف بصيرتهم، فهم لا يهتدون بآيات القرآن البيّنات.

¹- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لابن عطية (5/ 88).

²- تيسير الكريم الرحمن، للسعدي (ص: 777).

المطلب الخامس : العلم الصحيح منبثق عن الوحي

قال الله تعالى: ﴿ قُلِ اللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (الجاثية:26).

أولاً: المناسبة:

بعد أن ذكر تعالى حجة المشركين في إنكارهم للبعث اتبع ذلك بان أمر رسوله الكريم محمد بان يرد عليهم بالدليل القاطع وان يحييهم بان الحياة والموت بيد الله وحده وانه سيجمع الناس في يوم القيامة لمحاسبتهم ولكن كثيراً من الناس لا يعلمون هذه الحقيقة، فقال تعالى: (قُلِ اللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ).

ثانياً: المعنى العام:

وجه الله تعالى خطابه للنبي محمد ﷺ لإعلام قومه عن حقيقة هذه الحياة الدنيا وقيمتها عنده تعالى، قائلاً له: (قُلِ اللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ) أي: قل يا محمد لهؤلاء المشركين المكذّبين بالبعث، القائلين لك انتنا بأبائنا إن كنت صادقاً: الله أيها المشركون يحييكم ما شاء أن يحييكم في الدنيا، ثم يميتكم فيها إذا شاء، ثم يجمعكم إلى يوم القيامة، يعني أنه يجمعكم جميعاً أولكم وآخركم، وصغيركم وكبيركم ، فلا تشكوا في ذلك، فإن الأمر كما وصفت لكم⁽¹⁾.

(وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ): فان الغالب على الناس الجهل، وذلك لقصورهم في النظر والتفكير، فهم لا يعلمون قدرة الله فينبكرون البعث والجزاء⁽²⁾.

ثالثاً: معاني المفردات:

{لَا رَيْبَ فِيهِ}: "لا شك فيه"⁽³⁾.

رابعاً: البلاغة:

- (يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ): بينهما طباق إيجاب يقوي المعنى ويوضحه.
- (قُلِ اللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ): فنقديم اسم الله على الافعال: يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ يُفِيدُ تَخْصِصَ الْإِحْيَاءِ وَالْإِمَاتَةِ بِاللَّهِ لِإِبْطَالِ قَوْلِهِمْ، ان الدَّهْرَ هُوَ الَّذِي يُمِيتُهُمْ، ويحييهم⁽⁴⁾.

¹- انظر: جامع البيان، للطبري (22 / 81)، مختصراً.

²- انظر: صفوة التفاسير، للصابوني (3 / 174).

³- بحر العلوم، للسمرقندي (3 / 280).

⁴- انظر: التحرير والتنوير، لابن عاشور (25 / 365).

خامساً: ما يستفاد من الآيات:

- 1- أن الحياة والموت بيد الله تعالى وحده هو القادر على ذلك.
- 2- إن الله سبحانه وتعالى عالم بأمور الخلق ، قادر على الإعادة كيف لا وهو الذي بيده الحياة والموت، قال تعالى: {إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا وَعَدَّ اللَّهُ حَقًّا إِنَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ} [يونس: 4].
- 3- عدم إحياء الله تعالى للمطالبين بحياة من مات حتى يؤمنوا لم يكن عن عجز بل لأنه يتنافى مع الحكمة التي دار عليها الكون كله⁽¹⁾.
- 4- بيان أن سبب إنكار كثير من الناس للبعث والجزاء هو جهلهم وقصورهم في التفكير
- 5- إن يوم القيامة لا شك في مجيئه وقدمه إذ إن مجيئه حتمي، قال تعالى: {اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لِيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا} [النساء: 87]

¹- أيسر التفاسير، للجزائري (5/ 38).

المبحث الرابع

المقاصد والأهداف لسورة الجاثية الآيات (27-32)

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: تقرير عقيدة البعث والجزاء.

المطلب الثاني: كتابة أعمال العباد.

المطلب الثالث: الإيمان والعمل الصالح سبب الفوز، و الكفر سبب الخسران.

المطلب الرابع: الظن في العقائد كالكفر بها.

المطلب الأول: تقرير عقيدة البعث والجزاء

قال الله تعالى: ﴿ وَبِاللّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُحْسِرُ الْمُبْطِلُونَ * وَتَرَى كُلَّ أُمَّةٍ جَائِيَةً كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَى إِلَى كِتَابِهَا الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ (الجاثية: 27-28).

أولاً: المناسبة:

بعد أن ذكر أنه تعالى قادر على الإحياء وإن الحياة والموت بيده وحده جاء بدليل على قدرته وهو أنه تعالى مالك السماوات والأرض وكل ما فيهما، ثم بين بعضاً من أهوال وأحوال يوم القيامة ومنها أن كل أمة تجثو على ركبها وذلك لمحاسبتهم على أعمالهم.

ثانياً: المعنى العام:

يكشف الله تعالى عن عظيم قدرته وبديع خلقه بقوله: (وَبِاللّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ) أي: والله سلطان السموات السبع والأرض، والذي تدعونه من دونه من الآلهة والأنداد في ملكه وسلطانه، جارٍ عليه حكمه، (وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ) أي: ويوم تجيء الساعة التي يُنْشِرُ اللهُ فيها الموتى من قبورهم، ويجمعهم لموقف العرض (يُحْسِرُ الْمُبْطِلُونَ) أي: يغبن فيها الذين أبطلوا أقوالهم وأعمالهم في الدنيا، وجعلوا لله شريكاً في عبادتهم، وبدلوا بها منازل من النار كانت للمحقين⁽¹⁾.

(وَتَرَى كُلَّ أُمَّةٍ جَائِيَةً كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَى إِلَى كِتَابِهَا) أي: وترى أيها العاقل في هذا اليوم الذي تشيب من هوله الولدان، كل أمة من الأمم متميزة عن غيرها، وجائية على ركبها، مترقبة لمصيرها في تلهف وخوف⁽²⁾.

(الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ) يعني: يقال لهم يوم القيامة: اليوم تعرضون على الله، وتثابون بما كنتم تعملون في الدنيا، من خير أو شر⁽³⁾.

ثالثاً: معاني المفردات:

{الْمُبْطِلُونَ}: "الْكَافِرُونَ"⁽⁴⁾.

جائية: "من الجثو: وهو الجلوس على الركب جلسة المتقاضي أمام قاضيه"⁽⁵⁾.

{كِتَابِهَا}: "صحائف أعمالها"⁽⁶⁾.

¹ - انظر: إجماع البيان، للطبري (22 / 81)، مختصراً.

² - التفسير الوسيط، لطنطاوي (13 / 165).

³ - انظر: بحر العلوم، للسمرقندي (3 / 281).

⁴ - تفسير الجلالين، لجلال الدين السيوطي، جلال الدين المحلي (ص: 664).

⁵ - التفسير الحديث، دروزة محمد عزت (4 / 570).

⁶ - أوضح التفاسير، لابن الخطيب (1 / 614).

(الساعة): المقصود بها يوم القيامة.

رابعاً: البلاغة:

- (وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ) ظَرْفٌ مُتَعَلِّقٌ بِ يَحْسُرُ، وَقُدِّمَ عَلَيْهِ لِإِهْتِمَامٍ بِهِ وَاسْتِرْعَاءِ الْأَسْمَاعِ لِمَا يَرِدُ مِنْ وَصْفِ أحوَالِهِ، وَيَوْمَئِذٍ تَوْكِيدٌ لِ يَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ فَالْتَّكْيِيدُ بِتَحْقِيقِ مَضْمُونِ الْخَبَرِ وَلِتَهْوِيلِ ذَلِكَ الْيَوْمِ⁽¹⁾.
- (وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ): قدم المجرور على ملك وذلك للتخصيص: أي أن الملك لله فقط وهو وحده القادر على التصرف

- (وَتَرَى كُلَّ أُمَّةٍ جَائِيَةً): التعبير بالفعل المضارع للاستقبال، أي إتيان هذا اليوم في المستقبل.
- (كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَى إِلَى كِتَابِهَا): جاءت كلمة كتاب مفردة ونكرة غير معرفة للدلالة على انه يوجد كتاب واحد لكل أمة.

خامساً: القراءات:

- (وَتَرَى كُلَّ أُمَّةٍ جَائِيَةً كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَى إِلَى كِتَابِهَا) : "قرأ جمهور الناس: «كل أمة» بالرفع على الابتداء، وقرأ يعقوب الحضرمي: «كل أمة تدعى» بالنصب على البدل من «كل» الأولى، إذ في «كل» الثانية إيضاح موجب الجنو " (2).

سادساً: ما يستفاد من الآيات:

- 1- "أن كل أمة تدعى إلى حسابها وكتابها الذي كان يستنسخ لها فيه ما عملت من خير أو شر".⁽³⁾
- 2- إثبات عقيدة كتابة أعمال العباد وتقديمها لهم يوم القيامة في كتاب خاص⁽⁴⁾.
- 3- حشر كل أمة مع بعضها البعض، دليل على أن المرء يحشر مع من يحب يوم القيامة.
- 4- إن من وافق كتابه ما أمر الله به في كتابه نجا، ومن خالفه هلك وكان من الأخسرين أعمالا الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا⁽⁵⁾.
- 5- الإيمان والعمل الصالح سبب الفوز بالجنة والنجاة من النار، وأن الشرك والمعاصي سبب الخسران المبين.
- 6- الظن في العقائد كالكفر بها، فإن الأمور العقدية قطعية الثبوت لا اجتهاد فيها، وأما القضايا المتجددة فيجوز فيها الاجتهاد⁽⁶⁾.

1- التحرير والتنوير، لابن عاشور (25/ 366).

2- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لابن عطية (5/ 88).

3- التفسير المنير، للزحيلي (25/ 288).

4- انظر: أيسر التفاسير، للجزائري (5/ 40).

5- انظر: تفسير المراغي (25/ 162).

6- انظر: أيسر التفاسير، للجزائري (5/ 41).

المطلب الثاني: كتابة أعمال العباد

قال الله تعالى: ﴿ هَذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ (الجاثية:29).

أولاً: المناسبة:

لما اخبر تعالى بالجزاء يوم القيامة وذكر بعض أهوال هذا اليوم بين ان الكتاب الذي انزله على عباده يفصل بينهم بالحق والعدل كما ذكر تعالى بأنه كان يأمر الحفظة بنسخ وتسجيل أعمال العباد لتكون شاهدة عليهم.

ثانياً: المعنى العام:

يحذر الله تعالى عباده ويلفت انتباههم إلى أن أعمالهم مسجلة عنده تعالى في كتاب، يشهد على صاحبه يوم القيامة بالخير أو الشر، كما وصف الله تعالى ذلك بقوله: (هَذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ) أي: هذا كتابنا الذي أنزلنا عليكم، يفصل بينكم بالحق الذي هو العدل⁽¹⁾.
(إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ) أي: إنا كنا نأمر الحفظة بنسخ أعمالكم وكتابتها وإثباتها عليكم أول فأول في الدنيا، فهي وفق ما عملتم بالدقة والضبط⁽²⁾.

ثالثاً: معاني المفردات:

{نَسْتَنْسِخُ}: نثبت ونحفظ ونكتب⁽³⁾.

{يَنْطِقُ}: يشهد بما فيه⁽⁴⁾.

رابعاً: البلاغة:

- الاستعارة المكنية: في قوله: «هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق» استعارة مكنية، شبه الكتاب بشاهد يؤدي شهادته بالحق وحذف المشبه به، وجاء بصفة من صفاته وهي: النطق بالشهادة⁽⁵⁾.
- «وَإِسْنَادَ فَعَلِ الْإِسْتِنْسَاخِ إِلَى ضَمِيرِ اللَّهِ عَلَى هَذَا إِسْنَادٍ مَجَازِيٍّ لِأَنَّ اللَّهَ أَمَرَ الْحَفْظَةَ بِكِتَابَةِ الْأَعْمَالِ»⁽⁶⁾.

¹ - انظر: تيسير الكريم الرحمن، للسعدي (ص: 778).

² - تفسير المراغي (25 / 163).

³ - انظر: تفسير الجلالين ، لجلال الدين السيوطي، جلال الدين المحلي (ص: 664)

⁴ - أوضح التفاسير، لابن الخطيب (1 / 614)

⁵ - انظر: إعراب القرآن وبيانه (9 / 160)، لمحيي الدين بن أحمد مصطفى درويش (المتوفى : 1403هـ)، دار الإرشاد الإرشاد للشئون الجامعية ،سورية ، (دار اليمامة ، دمشق ، بيروت) ، (دار ابن كثير، دمشق ، بيروت) الطبعة : الرابعة ، 1415 هـ.

⁶ - التحرير والتنوير، لابن عاشور (25 / 370)

خامساً: اللطائف البيانية:

(هَذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ) جُمْلَةٌ مَقُولِ الْقَوْلِ الْمُقَدَّرِ، وَهِيَ مُسْتَأْنَفَةٌ اسْتِثْنَاءً بَيَانِيًّا، لِتَوْقُّعِ سُؤَالِ مَنْ يَقُولُ مِنْهُمْ: مَا هُوَ طَرِيقُ ثُبُوتِ أَعْمَالِهَا، وَاسْمُ الْإِشَارَةِ (هَذَا) إِمَّا إِلَى كِتَابِ شَرِيعَةِ الْأُمَّةِ الْمَدْعُودَةِ، وَإِمَّا إِلَى كُتُبِ أَفْرَادِهَا عَلَى تَأْوِيلِ الْكِتَابِ بِالْجِنْسِ عَلَى الْوَجْهَيْنِ الْمُتَقَدِّمِينَ، وَإِفْرَادِ ضَمِيرِ يَنْطِقُ عَلَى هَذَا الْوَجْهِ مُرَاعَاةً لِلْفُظِّ كِتَابُنَا، فَالْمَعْنَى هَذِهِ كُتُبُنَا تَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ⁽¹⁾.

سادساً: ما يستفاد من الآيات:

- 1- قطعية الإثبات للأقوال والأفعال، فإن صحائف الأعمال التي تسجلها الملائكة الحفظة على كل إنسان في الدنيا تشهد على أصحابها، والمفاجأة بالحقيقة والواقع وهو أن الله كان يأمر ملائكته بنسخ ما يعملُه بنو آدم في الدنيا.⁽²⁾
- 2- أن الملائكة تسجل أعمال العباد بأمر من الله وبلا زيادة ونقصان أو تغيير.
- 3- ضرورة الالتزام بأوامر تعالى وطاعته، فهو يسجل أعمالهم ولا يغفل عنه شيء من أفعالهم.

¹- انظر: التحرير والتتوير، لابن عاشور (25/ 368).

²- التفسير المنير للزحيلي (25/ 288)

المطلب الثالث: الإيمان والعمل الصالح سبب الفوز، و الكفر سبب الخسران

قال الله تعالى: ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِي رَحْمَتِهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ * وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا أَفَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تَتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَاسْتَكْبَرْتُمْ وَكُنْتُمْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴾ (الجمانية: 30-31).

أولاً: المناسبة:

بعد أن ذكر أهوال العرض والحساب، وأن أعمال كل أمة تعرض عليها، ويقال لهم هذا ما كتبه الحفظة في الدنيا، فهو شهادة صدق لا شك فيها، أردف هذا بيان أنه بعد انتهاء هذا الموقف يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات النعيم، ويوبخ الكافرون على ما فرط منهم في الدنيا ويقال لهم: لا عذر لكم في الإعراض عن آياتي حين كانت تتلى عليكم إلا الاستكبار والعناد⁽¹⁾.

ثانياً: المعنى العام:

يميز الله تعالى بين أهل الحق وأهل الباطل في أعمالهم بقوله: (فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِي رَحْمَتِهِ) فأما الذين آمنوا بالله في الدنيا فوحدوه، ولم يشركوا به شيئاً، وعملوا الصالحات: أي: وعملوا بما أمرهم الله به، وانتهوا عما نهاهم الله عنه (فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِي رَحْمَتِهِ) يعني في جنته برحمته⁽²⁾.

{ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ} أي: المفاز والنجاة والريح والفلاح الواضح البين الذي إذا حصل للعبد حصل له كل خير واندفع عنه كل شر⁽³⁾.

(وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا أَفَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تَتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَاسْتَكْبَرْتُمْ وَكُنْتُمْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ): وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فيقال لهم على سبيل التوبيخ والتقريع والزر: أَفَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تَتْلَىٰ عَلَيْكُمْ أي: أفلم تأتكم رسلي بآياتي الدالة على وحدانيتي وعلى صدقهم فيما يبلغونه عنى؟ بلى لقد جاءكم رسلي بآياتي. فَاسْتَكْبَرْتُمْ عن الاستماع إليهم، وعن الاستجابة لهم، وإتباع دعوتهم. وَكُنْتُمْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ أي: وكنتم في الدنيا قوما عادتكم الإجرام، واجتراح السيئات، واقتراف المنكرات⁽⁴⁾.

¹ - تفسير المراغي (25 / 164).

² - انظر: جامع البيان، للطبري (22 / 85).

³ - تيسير الكريم الرحمن، للسعدي (ص: 778).

⁴ - التفسير الوسيط، لطنطاوي (13 / 167).

ثالثاً: معاني المفردات:

{الْفَوْزُ الْمُبِينُ} {البين الظاهر} ، {فَاسْتَكْبَرْتُمْ} {تَكَبَّرْتُمْ} ، {مُجْرِمِينَ} {كَافِرِينَ} (1).
{فِي رَحْمَتِهِ}: في جنته ومغفرته (2).

رابعاً: البلاغة:

- في قوله: «فيدخلهم في رحمة» مجاز مرسل علاقته الحالية أي في جنته لأن الرحمة لا يحلّ فيها الإنسان لأنها معنى من المعاني وإنما يحلّ في مكانها فاستعمال الرحمة في مكانها مجاز أطلق فيه الحال وأريد المحل فعلاقته الحالية (3).
- {أَفَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُنَلَّى عَلَيْكُمْ فَاسْتَكْبَرْتُمْ}: أسلوب استفهام غرضه البلاغي التقرير والتوبيخ.
- {وَكُنْتُمْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ}: التذكير في كلمة قوم أفاد التحقير.

خامساً: ما يستفاد من الآيات:

- 1- إن أسلوب الآيات قوي نافذ من شأنه أن يثير الرعب والخشية من الله في قلوب الكافرين وفي المقابل يبعث في قلوب المؤمنين الطمأنينة (4)
- 2- إن إجرام الكافرين واستكبارهم هو السبب في خسارتهم في الآخرة.
- 3- إن ثواب المؤمنين الذين عملوا صالح الأعمال، فأدوا الفرائض، واجتنبوا المعاصي والمنكرات هو دخول جنات الخلد والنعيم، وفي المقابل جزاء الكافرين الذين أشركوا بالله إلهاً آخر، واقترفوا المعاصي، وتكبروا عن طاعة الله وقبول أحكامه وإتباع شرائعه وأحكامه هو دخول نار جهنم، وهذا يدل على أن استحقاق العقوبة لا يحصل إلا بعد مجيء الشرع (5).
- 4- عدالة الجزاء عند الله فجعل جزاء المؤمنين المطيعين له الرحمة والمغفرة والفوز بالجنة ، وهذا يدل على أن عمل الخير في الدنيا لا يضيع هباءً بل يقابله الجزاء.
- 5- قرن الله الإيمان بالعمل الصالح مما يدل على أنه لا يكفي الإيمان أو العمل الصالح أحدهما دون الآخر فكلاً منهما مكماً للآخر ويجب أن يكونا مع بعضهما للفوز بالجنة ورضا الله.

¹- تفسير الجلالين، لجلال الدين السيوطي، جلال الدين المحلي (ص: 664).

²- أوضح التفاسير، لابن الخطيب (1/ 614).

³- إعراب القرآن وبيانه ، لمحيي الدين بن أحمد مصطفى درويش (9/ 160).

⁴- انظر: التفسير الحديث، لدرزة محمد عزت (4/ 570).

⁵- انظر: التفسير المنير، للزحيلي (25/ 294).

المطلب الرابع: الظن في العقائد كالكفر بها.

قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَالسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُمْ مَا نَدْرِي مَا السَّاعَةُ إِنَّ نَظْنَ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ﴾ (الجمانية: 32).
أولاً: المعنى العام:

(وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَالسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُمْ مَا نَدْرِي مَا السَّاعَةُ؟ إِنَّ نَظْنَ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ) أي وكنتم إذا قال لكم المؤمنون: إنه سبحانه وتعالى باعثكم من قبوركم بعد موتكم، وإن الساعة التي أخبركم أنه سيقمها لحشركم وجمعكم للحساب والثواب على الطاعة والعقاب على المعصية، آتية لا ريب فيها، فاتقوا الله وآمنوا به، وصدقوا برسوله، واعملوا لما ينجيكم من عذابه - قلتم لعنوكم واستكباركم متعجبين مستغربين، ما الساعة؟ نحن لا علم لنا بها، وما نظنها آتية إلا ظنا لا يقين فيه⁽¹⁾.

ثانياً: معاني المفردات:

{إن نظن إلا ظناً} أي: نحس حساً، ونتوهم توهما وليس يقيناً⁽²⁾.
{بمستيقنين} أي: بمتحققين⁽³⁾.

ثالثاً: البلاغة:

- التَّعْرِيفُ فِي (السَّاعَةُ) الِ الْعَهْدِيَّةِ ، وَهِيَ: سَاعَةُ الْبَعْثِ ، أَي زَمَانُ الْبَعْثِ كَمَا عُبِّرَ عَنْهُ بِالْيَوْمِ⁽⁴⁾.
- (إِنَّ نَظْنَ إِلَّا ظَنًّا): تنكير المفعول المطلق هنا للإشارة إلى تحقيره وانه ظن ضعيف حقير.
- (بِمُسْتَيْقِنِينَ): الفعل على وزن مستفعلين، فالسين والتاء للمبالغة.

رابعاً: ما يستفاد من الآيات:

- 1- يوبخ الكفار ويقرعون على تركهم إتباع آيات الله في قرآنه وكتبه المنزلة على رسله والاستماع إليها.
- 2- إذا قام المؤمنون بتذكير الكفار بوعد الله بالثواب والعقاب وتأكيد أن الساعة آتية لا ريب فيها، أنكروا ذلك وكذبوه، وأجابوا: لسنا متحققين ولا واثقين بأن القيامة آتية، وهؤلاء من المشركين هم الفريق الشاكون بالبعث والقيامة⁽⁵⁾.
- 3- جحود الكفار وإنكارهم للبعث ليس إلا استكباراً منهم مع علمهم المطلق بوقوع يوم البعث والجزاء.

¹- تفسير المراغي (25 / 165).

²- انظر: فتح البيان في مقاصد القرآن، لابن لطف الله الحسيني (12 / 435).

³- تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (7 / 272).

⁴- انظر: التحرير والتنوير، لابن عاشور (25 / 372).

⁵- انظر: التفسير المنير، للزحيلي (25 / 294)، مختصراً.

المبحث الخامس

المقاصد والأهداف لسورة الجاثية الآيات (33-37)

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: الاستهزاء بآيات الله وشرائعه كفر.

المطلب الثاني: الجزاء من جنس العمل.

المطلب الثالث: مشروعية الشكر على النعم.

المطلب الرابع: الكبرياء لله وحده.

المطلب الأول: الاستهزاء بآيات الله وشرائه كفر

قال الله تعالى: ﴿وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ (الجمعة: 33).

أولاً: المناسبة:

بعد أن بين تعالى جحود الكفار وإنكارهم للبعث ، وان ذلك إنما كان استكباراً منهم ، وعندما وصلوا في عنادهم إلى حد كبير لا يطاق، بين سبحانه وتعالى النتائج التي ترتبت على أقوالهم الباطلة، فما هو قد حل بهم جزاء عنادهم واستكبارهم فقال: (وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ).

ثانياً: المعنى العام:

يتحدث الله عز وجل في هذه الآية ملتفتاً إلى أسلوب الغيبة وذلك إيذاناً من الله بالعذاب الشديد للكافرين المنكرين للبعث فيقول: (وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا) أي: وظهر لهم في الآخرة نتائج أعمالهم القبيحة التي ارتكبوها في الدنيا مثل إنكارهم للبعث ويقول تعالى: (وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ) أي: نزل وحل بهم العذاب الشديد الذي توعدناهم به والذي كانوا يستهزئون به في الدنيا⁽¹⁾.

ثالثاً: معاني المفردات:

{وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا} أي: ظهر لهم جزاء السيئات التي عملوها⁽²⁾.
{وَحَاقَ} أي: حل⁽³⁾.

رابعاً: اللطائف البيانية:

(وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا): هنا عبر عن الجزاء بلفظ السيئات وفي ذلك إشارة إلى تمام وتناسب المعادلة بين العمل وجزائه، حيث جعل الجزاء نفس العمل وهو: السيئات⁽⁴⁾.

خامساً: ما يستفاد من الآيات:

- 1- في الآخرة تنكشف الحقائق وتتجلي الأمور بنحو قاطع، ويظهر لهؤلاء الكفار جزاء سيئات ما عملوا، وقبح جرم ما ارتكبوا، ويحيط بهم إحاطة تامة ما كانوا يستهزئون به من عذاب الله⁽⁵⁾.
- 2- مهما طغى الإنسان وعلا واستكبر في الدنيا فإن عذاب الآخرة سيصيبه لا محالة.
- 3- بيان أن الاستكبار والاستهزاء بآيات الله وشرائه كفر موجب للعذاب، والعقاب في الآخرة⁽⁶⁾.

¹ - انظر: صفوة التفاسير، للصابوني (3/ 175).

² - أوضح التفاسير، لابن الخطيب (1/ 615).

³ - تفسير المراعي (25/ 164).

⁴ - انظر: التحرير والتنوير، لابن عاشور (25/ 374).

⁵ - التفسير المنير، للزحيلي (25/ 294).

⁶ - انظر: أيسر التفاسير، للجزائري (5/ 43).

المطلب الثاني: الجزاء من جنس العمل

قال الله تعالى: ﴿ وَقِيلَ الْيَوْمَ نُنَسِّأَكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا وَمَأْوَأَكُمْ النَّارَ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَاصِرِينَ * ذَلِكُمْ بِأَنَّكُمْ اتَّخَذْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ هُزُوعًا وَغَرَّتْكُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴾ (الجاثية: 34-35).

أولاً: المناسبة:

بعد أن بين تعالى بأن الكافرين سيحل بهم العذاب والهلاك جراء عنادهم واستهزائهم بين تعالى هنا بأن العذاب الذي سيصيبهم هو من جنس أعمالهم، فكما أنهم لم يبالوا بلقاء الله ولم يهتموا فان الله أيضا لن يبالى بهم وسينساهم في العذاب وأنه لن يكون لهم أنصار يدفعوا عنهم هذا العذاب الأبدي الذي لا خروج منه فلا مأوى لهم إلا جهنم ولا يسمح لهم حتى بطلب الاعتذار ولا العتاب، فلا تنفع التوبة .

ثانياً: المعنى العام:

يوبخ الله عز وجل المشركين الذين اتبعوا أنصارهم في الدنيا ولم يهتموا بأمر الآخرة بقوله: (وَقِيلَ الْيَوْمَ نُنَسِّأَكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا وَمَأْوَأَكُمْ النَّارَ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَاصِرِينَ) أي: وقيل لهم تغليظا في العقوبة وإمعانا في التهمك والسخرية: اليوم نترككم في العذاب، كما تركتم العمل للقاء يومكم هذا ولم تبالوا به، وليس لكم مستنقذ ينفذكم منه، ولا شفيع يشفع لكم ، ولا مستنصر يستنصر لكم ممن يعذبكم⁽¹⁾.

وفي تفسير هذا النسيان وجهان:

الأول: نترككم في العذاب كما تركتم الطاعة التي هي الزاد ليوم الميعاد.

الثاني: نجعلكم بمنزلة الشيء المنسي غير المبالي به ، كما لم تبالوا أنتم بلقاء يومكم ولم تلتفتوا إليه بل جعلتموه كالشيء الذي يطرح نسيا منسيا⁽²⁾.

ثم بين تعالى سبب العذاب فقال: (ذلكم بأنكم اتخذتم آيات الله هزواً) أي: ذلك العذاب العظيم، بسبب أنكم اتخذتم القرآن هزواً ولعباً وسخريةً (وغرتكم الحياة الدنيا) أي: خدعتكم الدنيا بزخارفها وأباطيلها الفانية التي لا بقاء لها فظننتم أنه لا دار غيرها ولا بعث ولا نشور⁽³⁾.

ثم انتقل الله الى وصف شيء من احوال العذاب فبين انه لا خروج منه ولا توبة في ذلك الوقت ، قال تعالى: (فَالْيَوْمَ لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا) أي: من النار فبقائهم هناك ابدي ، (وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ)

¹ - انظر: تفسير المراغي (25 / 166).

² - مفاتيح الغيب ، للرازي (27 / 682).

³ - انظر: فتح البيان في مقاصد القرآن، لابن لطف الله الحسيني (12 / 436).

أي: ولا هم يطلب منهم أن يرضوا ربهم أو يعتذروا له ، بأن يتوبوا إليه مما كان منهم من كفر وفسوق في الدنيا، لأن التوبة قد فات أوانها⁽¹⁾.

ثالثاً: معاني المفردات:

{وَعَزَّيْتُمْ}: خدعتكم ، {وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ} أي: لا يسترضون؛ لأن الاستعتاب: الاسترضاء، والإعتاب: إزالة الشكوى. أو هو من العتاب أي: ولا هم يعاتبون⁽²⁾.

{تَنَسَّأَكُمْ}: تَنَسَّأَكُمْ فِي النَّارِ ، {نَسِيْتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ} أي: تَرَكْتُمْ الْعَمَلَ لِلِقَائِهِ {نَاصِرِينَ}: مانعين منه⁽³⁾ {هُزُوا}: يعني سخرية⁽⁴⁾.

{مَأْوَاكُمُ النَّارُ}: مَثَاكُم وَمَسْتَقْرَكُم النَّارُ⁽⁵⁾.

رابعاً: البلاغة:

- {فَالْيَوْمَ لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا}: فيه التفات من الخطاب إلى الغيبة لإسقاطهم من رتبة الخطاب، وللتقليل من شأنهم⁽⁶⁾.

- {يُسْتَعْتَبُونَ}: الفعل على وزن مستفعلين، فالسين والتاء للمبالغة.

- {وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ}: قدم الضمير هم على الفعل المنفي بحرف النفي لا هُنَا تَعْرِضُ بِأَنَّ اللَّهَ يُعْتَبُ غَيْرَهُمْ، أي يُرْضِي الْمُؤْمِنِينَ، أي يَغْفِر لَهُمْ⁽⁷⁾.

- {الْيَوْمَ تَنَسَّأَكُمْ كَمَا نَسِيْتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا}: استعارة تمثيلية حيث شبه حال من تركه الله في العذاب ونسيه بحال السجين الذي حبس ونسي من الطعام والشراب.

- {تَنَسَّأَكُمْ كَمَا نَسِيْتُمْ}: قصد به المقابلة اللفظية لأن الله عز وجل منتزه عن النسيان، والمتبادر إلى الذهن أنه أريد به التناسي والإهمال وعدم المبالاة بهم وعدم إخراجهم من نطاق رحمة الله كما كانت هذه الرحمة تصيبهم في الدنيا⁽⁸⁾.

- {الْيَوْمَ تَنَسَّأَكُمْ كَمَا نَسِيْتُمْ}: الكاف هنا للتعليل أي: لأنكم نسيتم.

¹- انظر: التفسير الوسيط، لطنطاوي (13 / 168).

²- أوضح التفاسير، لابن الخطيب (1 / 615).

³- تفسير الجلالين ، لجلال الدين السيوطي، جلال الدين المحلي (ص: 665).

⁴- جامع البيان، للطبري (22 / 88).

⁵- بحر العلوم، للسمرقندي (3 / 282).

⁶- انظر: صفوة التفاسير، للصابوني (3 / 176).

⁷- انظر: التحرير والتنوير، لابن عاشور (25 / 377).

⁸- انظر: التفسير الحديث، لدروزة محمد عزت (4 / 570).

- (وَلَقَاءَ الْيَوْمِ): أُطْلِقَ الْيَوْمُ عَلَى مَا فِيهِ مِنَ الْأَحْدَاثِ عَلَى سَبِيلِ الْمَجَازِ الْمُرْسَلِ لِأَنَّهُ أُوجِزُ مِنْ تَعْدَادِ الْأَهْوَالِ الْحَاصِلَةِ مُنْذُ الْبَعْثِ إِلَى قَضَاءِ الْجَزَاءِ عَلَى الْأَعْمَالِ⁽¹⁾.
- (اليوم): وصف اليوم باسم الإشارة إضافة إلى تعريفه وذلك لتمييزه عن أي يوم آخر.
- (وغرتكم الحياة الدنيا): بسبب أن المغررات حاصلة في الدنيا اسند التغيرير إلى الحياة على سبيل المجاز العقلي لان ذلك جامع لأسباب الغرور⁽²⁾.

خامساً: القراءات:

{فالיום لا يخرجون منها ولا هم يستعتبون} قرأ حمزة والكسائي: {يخرجون} بفتح الياء وضمّ الراء وقرأ الباقون: {يخرجون} بضمّ الياء وفتح الراء، فحجّة من فتح قوله تعالى: يريدون أن يخرجوا من النار وما هم بخارجين منها [المائدة:37]. وحجّة من ضمّ الياء قوله تعالى: (ربنا أخرجنا منها) [المؤمنون:107] ويقويه قوله: ولا هم يستعتبون⁽³⁾.

سادساً: ما يستفاد من الآيات:

- 1- جمع الله تعالى على الكافرين من وجوه العذاب ثلاثة أشياء هي: قطع رحمة الله تعالى عنهم بالكلية، وصيرورة مسكنهم ومستقرهم النار، فقدان الأنصار والأعوان⁽⁴⁾.
- 2- السبب في استحقاق الكافرين للعذاب هو إتيانهم ثلاثة أنواع من الأعمال القبيحة: وهي الإصرار على إنكار الدين الحق، والاستهزاء به والسخرية منه، والاستغراق في حب الدنيا، والإعراض بالكلية عن الآخرة والوجهان الأول والثاني داخلان في قوله تعالى: ذَلِكَ بِأَنَّكُمْ اتَّخَذْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ هُزُوءًا وَالْوَجْهَ الثَّالِثَ هُوَ الْمُرَادُ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: وَغَرَّتْكُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا⁽⁵⁾.
- 3- البقاء الأبدي للكافرين في النار وعدم الخروج منها، وانقطاع الأمل في التوبة والرجوع إلى الله وطلب الاعتذار، قال تعالى: {كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ} [الحج: 22].
- 4- انقطاع الأمل في التوبة والرجوع إلى الله عز وجل، فيجب على الإنسان أن يرجع إلى الله قبل فوات الأوان .

¹ - التحرير والتنوير، لابن عاشور (25 / 375).

² - انظر: التحرير والتنوير، لابن عاشور (25 / 376).

³ - انظر: الحجة للقراء السبعة، الحسن بن أحمد بن عبد الغفار (6 / 179).

⁴ - انظر: مفاتيح الغيب، للرازي (27 / 682).

⁵ - انظر: التفسير المنير، للزحيلي (25 / 295).

المطلب الثالث: مشروعية الشكر على النعم

قال الله تعالى: ﴿ قَلِّلِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (الجاثية: 36).

أولاً: المناسبة:

بعد أن بين الله بأن الجزاء من جنس العمل فكان لا بد من حمد الله على هذه النعمة العظيمة، وهي جعل جزاء المرء على أفعاله من جنسها فاتبع الله الآية بالحمد والشكر لله على ذلك ، كيف لا وهو رب السماوات والأرض وخالق هذا الكون بكل ما فيه وهو رب العاقلين وغير العاقلين.

ثانياً: المعنى العام:

يرشد الله عباده إلى التوجه إليه بالحمد فهو خلقهم وخالق هذا الكون يقول تعالى: (قَلِّلِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) أي: فقلله الحمد على أياديه على خلقه، فإياه فاحمدوا، وله فاعبدوا، فكل ما بكم من نعمة فهو مصدرها دون ما تعبدون من وثن أو صنم، وهو مالك السموات السبع، ومالك الأرضين السبع، ومالك جميع ما فيهنّ وخالق ما فيهما من مخلوقات عاقلة كالإنسان وغير عاقلة كالحيوانات والجمادات وغيرها⁽¹⁾.

ثالثاً: معاني المفردات:

{قَلِّلِ الْحَمْدُ}: الشُّكْرُ وَالْمِنَّةُ ، {رَبِّ الْعَالَمِينَ} رب كل ذي روح دب على وجه الأرض⁽²⁾.

رابعاً: البلاغة:

- (قَلِّلِ الْحَمْدُ): قدم المجرور على الحمد للاختصاص أي: أن الله وحده هو المختص بالحمد، وله الحق الكامل به.
- (رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ): عَطِفَ وَرَبِّ الْأَرْضِ بِتَكْرِيرٍ لَفْظِ رَبِّ لِتَنْوِيهِ بِشَأْنِ الرُّبُوبِيَّةِ لِأَنَّ رَبَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَحِقُّ حَمْدُهُ عَلَى أَهْلِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ⁽³⁾.
- (الْعَالَمِينَ): تغليب لفظ العالمين على العقلاء وغير العقلاء، فالمقصود كل ما خلق الله تعالى من مخلوقات عاقلة وغير عاقلة، والتعريف فيها يفيد الشمول.

خامساً: القراءات:

(رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ): قراءة الناس: «رَبِّ» بالخفض في الثلاثة على الصفة. وقرأ ابن محيصن: بالرفع فيها على معنى هو رب⁽⁴⁾.

¹- انظر: تفسير المراغي (25 / 167).

²- تنوير المقياس من تفسير ابن عباس، لابن عباس (ص: 422).

³- التحرير والتنوير، لابن عاشور (25 / 377).

⁴- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لابن عطية (5 / 90).

سادساً: ما يستفاد من الآيات:

- 1- الحمد والثناء بالجميل كله على الله تعالى الخالق والمالك لكل الكون سمائه وأرضه، وعوالمه، والمتفرد بالعظمة والجلال، والبقاء والسلطان، والقدرة والكمال، والحكمة الباهرة والرحمة والفضل والكرم، وذلك يدل على أنه لا إله للخلق إلا هو، ولا رب سواه، ولا محسن ولا متفضل إلا هو⁽¹⁾.
- 2- مشروعية الحمد عند الفراغ من أي عمل صالح أو مباح⁽²⁾.
- 3- لا احد يستحق الحمد سوى الله تعالى، فهو خالق الكون والمخلوقات على اختلافها.

المطلب الرابع: الكبرياء لله وحده

قال الله تعالى: ﴿وَلَهُ الْكِبْرِيَاءُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (الجاثية: 37).

أولاً: المناسبة:

جاءت الآية خاتمة للسورة وخاتمة لحكاية مواقف الكفار وأقوالهم وإنذارهم جريا على أسلوب النظم القرآني في سور عديدة وبخاصة في سلسلة الحواميم، وهي خاتمة قوية حقا، فالله الذي أنزل آياته التي قررت ما قررت من ربوبيته الشاملة وعظمة كونه هو المستحق للحمد وله وحده الكبرياء والتعالي والسلطان والعزة والحكمة في تصريف أمور العباد فهو العزيز القوي الحكيم رب العالمين جميعا⁽³⁾.

ثانياً: المعنى العام:

يختم تعالى هذه السورة بآية قوية فيبين انه وحده المستحق للعزة والكبرياء فيقول: ﴿وَلَهُ الْكِبْرِيَاءُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾، أي: وله العظمة والسلطان والجلال في السماوات السبع والأرضين السبع، ثم يبين بعضا من صفاته، منها العزة والحكمة، ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾، أي: وهو العزيز في نعمته من أعدائه، القاهر كل ما دونه، الحكيم في تدبيره وتصريفه لشؤون خلقه، ولا يقدر على ذلك ولا على شيء منه أحد غيره، لا إله إلا هو⁽⁴⁾.

ثالثاً: معاني المفردات:

﴿وَلَهُ الْكِبْرِيَاءُ﴾: العظمة والجلال، والبقاء والسلطان⁽⁵⁾.

¹ - التفسير المنير للزحيلي (25 / 295)

² - أيسر التفاسير للجزائري (5 / 43)

³ - انظر: التفسير الحديث، لدروزة محمد عزت (4 / 571).

⁴ - انظر: الهداية الى بلوغ النهاية، لأبي محمد مكي بن أبي طالب (10 / 6802).

⁵ - أوضح التفاسير، لابن الخطيب (1 / 615).

رابعاً: البلاغة:

- (وَلَهُ الْكِبْرِيَاءُ): قدم المجرور على الكبرياء للاختصاص أي: أن الله وحده هو المختص بالكبرياء.
- (الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ): صيغة مبالغة على وزن فعيل تفيد المبالغة والزيادة في معنى العزة والحكمة.

خامساً: ما يستفاد من الآيات:

- 1- الكبرياء والعظمة لا يمكن أن يكونا لغير الله المستغني عن غيره الذي هو الأعظم والأكبر من كل شيء فمن حاول التشبه بالله فيهما انحرف عن الحق واستحق عذاب الله⁽¹⁾.
- 2- الكبرياء المطلق لله في هذا الوجود، حيث يتصاغر أمامه كل كبير، وينحني له كل جبار، ويستسلم كل متمرّد، للكبرياء والريوية والعزة والحكمة المدبرة⁽²⁾.

¹- التفسير الحديث، لدرّوزة محمد عزت (4 / 571).

²- انظر: في ظلال القرآن، لسيد قطب (5 / 3234).

الخاتمة والتوصيات

وتشتمل على:

- أولاً: أهم النتائج
- ثانياً: أهم التوصيات والمقترحات

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد ﷺ بلغ الأمانة ، وأدى الرسالة ، ونصح للأمة ، وعلى آله وصحبه، ومن سار على هديه.
أما بعد:

فإني أحمد الله حمداً كثيراً أن وفقني، وأعانني على كتابة وإتمام هذا البحث، وأسأله تعالى أن يكون هذا الجهد المتواضع مؤثراً ثماره، نافعاً قارئه.
فهذه أبرز وأهم النتائج والتوصيات التي توصل إليها الباحث.

أولاً : نتائج البحث:

- وجوب الاعتصام بالقران الكريم و فهم معانيه للوصول إلى سعادة الدارين.
- علم مقاصد السور علم جديد، يحتاج إلى دراسة شاملة ومعتمدة للآيات والسور، وهو أشرف العلوم لتعلقه بالقران الكريم.
- علم التفسير ركيزة أساسية من دعائم العلم الشرعي وأصوله.
- البحث في علم مقاصد السور يحتاج إلى مزيد جهد، وصفاء ذهن، وقوة البصيرة، لإمكانية الوصول إلى نظريات قابلة للتطبيق في حياة الناس، فيكون بذلك منهجاً قرآنياً فريداً.
- معرفة مقاصد الآيات وأهدافها، يبعث على رسوخ العقيدة في النفس، والعناية بالقران والإقبال عليه، والتحاكم إليه.
- القران الكريم كتاب هداية وإعجاز، فقضايا القران متنوعة، تعالج جميع شؤون الحياة ، وتضع الحلول لمشكلاتها، ومقاصد الآيات جزء من هذه الحلول.
- آيات الحزب الخمسين نزلت في الفترة المكية ، فهي تعالج القضايا العقيدية كقضية التوحيد، والإيمان بالله، وما يتبعها.
- تبين الآيات حقيقة المشركين، وكيف كان موقفهم من القران و رسالة محمد ﷺ، وهذا تنبيه فيه دلالة للمسلمين، للبراءة منهم، و مخالفتهم في الأقوال والأفعال.
- حقق البحث مجموعة من وجوه المناسبات بين آيات السورة الواحدة، مما يساعد على ربط موضوعاتها ببعض.
- احتوى البحث على معاني المفردات، والمعني الإجمالي للآيات، و مجموعة من اللطائف البيانية وبلاغة القران الكريم، مما يجعله واضح المعنى للعامة والخاصة.
- توصل البحث إلى الكثير من العبر والدلالات والعظات المستفادة من الآيات، التي تبرز وحدة بنائه و روعته ، وكمال نظمه في أجمل صورة.

ثانياً: التوصيات والمقترحات:

- الإقبال على القرآن الكريم بالتلاوة والحفظ والتدبر والفهم الدقيق، ودراسة كتب التفسير، لأنها تعين على فهم الآيات ، واستنباط الأحكام المتعلقة بها.
- حث طلبة العلم الشرعي على دراسة كتب التفسير، التي من خلالها يتم التعرف على مقاصد السور والآيات، والخروج بأحكام واقعية، تقرب الناس للإسلام والدخول فيه.
- الاستفادة من المقاصد المستنبطة في بيان عظمة القرآن الكريم وإعجازه، وأن تكون هذه المقاصد هدفاً في الدعوة إلى الله تعالى.
- اقترح أن تدرس مادة التفسير في جميع مراحل الدراسة، لاسيما المرحلة الابتدائية، لأنها مرحلة التأسيس والبناء.
- القيام بإعطاء حلقات تفسيرية باللغات الأجنبية المختلفة ، على فضائيات العالم، لإبراز عظمة وسماحة الإسلام.
- القيام بعمل ترجمة لبعض كتب التفسير، وتوزيعها في الدول الكافرة، لبيان عظمة القرآن.

وختاماً:

فما كان من صواب فمن الله تعالى، وما كان من خطأ أو سهو أو لغو أو نسيان فمن نفسي والشيطان، فالله تعالى أسأل: أن يجعل عملي هذا خالصاً لوجه الكريم ، وأن يجعله ذخراً لي يوم القيامة ، يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم ، والحمد لله رب العالمين.

الفهارس العامة

- ❖ فهرس الآيات القرآنية
- ❖ فهرس الأحاديث النبوية.
- ❖ فهرس الأعلام المترجم لهم
- ❖ فهرس المصادر والمراجع.

أولاً: فهرس الآيات القرآنية

م	طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة البقرة			
-1	﴿الم﴾	1	174
-2	﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾	2	174
-3	﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ﴾	24	188
-4	﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ﴾	47	232
-5	﴿فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ﴾	102	76
-6	﴿فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ﴾	113	76
-7	﴿وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ﴾	124	35
-8	﴿إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمَ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾	131	35
-9	﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾	194	194
-10	﴿سَلِّ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَمَا آتَيْنَاهُمْ مِنْ آيَةٍ بَيِّنَةٍ﴾	211	194
-11	﴿زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾	212	194
12	﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُفْرِضُ اللَّهُ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ﴾	245	19
-13	﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُفْرِضُ اللَّهُ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ﴾	245	225
-14	﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾	282	2
-15	﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾	282	194
سورة ال عمران			
-16	﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾	5	120
-17	﴿لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾	28	34
-18	﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ﴾	59	97
-19	﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ﴾	59	97
-20	﴿إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا﴾	120	195
-21	﴿ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَامٍ لِلْعَبِيدِ﴾	182	229
-22	﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾	185	175
سورة النساء			
-23	﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْفُرْقَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ﴾	82	هـ

253	87	﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لِيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾	-24
188	145	﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ﴾	-25
سورة المائدة			
124	17	﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾	-26
195	27	﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنِي آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبْنَا قُورَيْبًا﴾	-27
195	37	﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُخْرِجُوا مِنَ النَّارِ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنْهَا﴾	-29
195	101	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنَ أَشْيَاءٍ إِنَّ تَنبُدَ لَكُمْ﴾	-30
سورة الانعام			
229	139	﴿سَيَجْزِيهِمْ وَصَفَهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾	-31
سورة الاعراف			
195	96	﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ﴾	-32
103	128	﴿قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ﴾	-33
105	187	﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا﴾	-34
195	201	﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا﴾	-35
سورة التوبة			
127	5	﴿فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ﴾	-36
136	40	﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾	-37
137	78	﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ وَأَنَّ اللَّهَ﴾	-38
سورة يونس			
253	4	﴿إِنَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾	-39
195	62	﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾	-40
195	63	﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾	-41
195	64	﴿لَهُمُ النَّارُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ﴾	-42
سورة ابراهيم			
224	7	﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ﴾	-43
57	22	﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ﴾	-44
سورة الحجر			
188	43	﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ﴾	-45
188	44	﴿لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ﴾	-46

سورة النحل			
9		﴿وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَائِزٌ﴾	-47
94	125	﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾	-48
194	128	﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾	-49
سورة الإسراء			
106	1	﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾	-50
ب	9	﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾	-51
77	34	﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا﴾	-52
ب	82	﴿وَنُنزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾	-53
سورة مريم			
67	11	﴿فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بِكْرَةِ وَعَشْيَا﴾	-54
سورة طه			
83	27	﴿وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي﴾	-55
83	36	﴿قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى﴾	-56
سورة الأنبياء			
124	91	﴿وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾	-57
160	107	﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾	-58
سورة الحج			
187	20	﴿يُضْهِرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ﴾	-59
266	22	﴿كَلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا﴾	-60
سورة المؤمنون			
261	107	﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ﴾	-61
179	115	﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾	-62
سورة الفرقان			
181	27	﴿وَيَوْمَ يَعْصُ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي﴾	-63
181	28	﴿يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا﴾	-64
181	29	﴿لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ﴾	-65
سورة النمل			
د	40	﴿وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ﴾	-66

سورة العنكبوت		
94	46	﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾
سورة لقمان		
4	19	﴿وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ﴾
سورة فاطر		
117	36	﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا﴾
38	45	﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا﴾
سورة ص		
9	29	﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ﴾
101	82	﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾
سورة غافر		
95	4	﴿مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا﴾
سورة فصلت		
205	41	﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ﴾
سورة الشورى		
231	15	﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ آمَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾
227	43	﴿وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾
سورة الزخرف		
27	23	﴿إِلَّا قَالَ مُتَرْفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ﴾
26	24	﴿قَالَ أَوْلَوْ جِئْتُكُمْ بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ﴾
28	25	﴿فَانتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ﴾
31	26	﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ﴾
31	27	﴿إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ﴾
35	28	﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقْبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾
38	29	﴿بَلْ مَتَّعْتُ هَؤُلَاءِ وَأَبَاءَهُمْ حَتَّىٰ جَاءَهُمُ الْحَقُّ﴾
41	30	﴿وَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِ كَافِرُونَ﴾
41	31	﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُلٍ﴾
44	32	﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ﴾
45	33	﴿وَلَوْلَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾

47	34	﴿ وَلِيُوتِيَهُمُ أَبْوَابًا وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَكَبَّرُونَ ﴾	-88
49	35	﴿ وَزُخْرُفًا وَإِنْ كُلُّ ذَلِكَ لَمَّا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾	-89
52	36	﴿ وَمَنْ يَعِشْ عَنِ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نَقِيضٌ لَهُ شَيْطَانًا ﴾	-90
54	37	﴿ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ ﴾	-91
55	38	﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَنَا قَالَ يَا لَيْتَ بَنِيَّ وَبَيْنِكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ ﴾	-92
58	39	﴿ وَلَنْ يَنْفَعَكُمْ الْيَوْمَ إِذْ ظَلَمْتُمْ أَنْكُم فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴾	-93
60	40	﴿ أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ أَوْ تَهْدِي الْعُمْيَ وَمَنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾	-94
63	41	﴿ فَاِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُمْ مُنْتَفِعُونَ ﴾	-95
65	42	﴿ أَوْ نُرِيَّتَكَ الَّذِي وَعَدْنَاهُمْ فَأِنَّا عَلَيْهِمْ مُقْتَدِرُونَ ﴾	-96
67	43	﴿ فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾	-97
68	44	﴿ وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ ﴾	-98
68	45	﴿ وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا ﴾	-99
68	46	﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ ﴾	-100
72	47	﴿ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِآيَاتِنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَضْحَكُونَ ﴾	-101
72	48	﴿ وَمَا نُرِيهِمْ مِنْ آيَةٍ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا ﴾	-102
74	49	﴿ وَقَالُوا يَا أَيُّهُ السَّاحِرُ الدَّاحِى لَنَا رَبِّكَ ﴾	-103
77	50	﴿ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمْ الْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنْكُتُونَ ﴾	-104
79	51	﴿ وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ ﴾	-105
79	52	﴿ أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴾	-106
79	53	﴿ فَلَوْلَا أَلْفِي عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِنْ ذَهَبٍ أَوْ جَاءَ مَعَهُ الْمَلَائِكَةُ ﴾	-107
85	54	﴿ فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَاطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴾	-108
87	55	﴿ فَلَمَّا آسَفُونَا انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَعْرَفْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾	-109
88	56	﴿ فَجَعَلْنَا هُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِلْآخِرِينَ ﴾	-110
91	57	﴿ وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُونَ ﴾	-111
93	58	﴿ وَقَالُوا أَلَهْتْنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا ﴾	-112
93	59	﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا ﴾	-113
93	60	﴿ وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنْكُمْ مَلَائِكَةً ﴾	-114
94	61	﴿ وَإِنَّهُ لَعَلْمٌ لِلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرَنَّ بِهَا ﴾	-115

99	62	﴿وَلَا يَصَدَّنَّكُمُ الشَّيْطَانُ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾	-116
99	63	﴿وَلَمَّا جَاءَ عِيسَى بِالْبَيِّنَاتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُمْ بِالْحِكْمَةِ﴾	-117
101	64	﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَأَعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾	-118
103	65	﴿فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا﴾	-119
105	66	﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾	-120
106	67	﴿الْأَخِلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾	-121
106	68	﴿يَا عِبَادِ لَا خَوْفَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ﴾	-122
109	69	﴿الَّذِينَ آمَنُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ﴾	-123
109	70	﴿ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ﴾	-124
110	71	﴿يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ مِنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ﴾	-125
110	72	﴿وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾	-126
110	73	﴿لَكُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾	-127
111	74	﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابٍ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ﴾	-128
112	75	﴿لَا يُفْتَرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ﴾	-129
112	76	﴿لَوْ مَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ﴾	-130
116	77	﴿وَنَادُوا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾	-131
118	78	﴿لَقَدْ جِئْنَاكُمْ بِالْحَقِّ وَلَكِنْ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ﴾	-132
118	79	﴿أَمْ أُنَبِّئُكُمْ أَمْراً فَأَتَانَا مُزِيمُونَ﴾	-133
118	80	﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ﴾	-134
122	81	﴿قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ﴾	-135
122	82	﴿سُبْحَانَ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾	-136
123	83	﴿فَذَرَهُمْ يَخوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ﴾	-137
123	84	﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌ﴾	-138
123	85	﴿وَتَبَارَكَ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾	-139
125	86	﴿وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الشَّفَاعَةَ﴾	-140
127	87	﴿وَلَمَّا سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾	-141
127	88	﴿وَقِيلِهِ يَا رَبِّ إِنَّ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ لَا يُؤْمِنُونَ﴾	-142
129	89	﴿فَاصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَامٌ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾	-143

سورة الدخان

132	1	﴿حَم﴾	-144
132	2	﴿وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾	-145
132	3	﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مَبْرُكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ﴾	-146
134	4	﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾	-147
136	5	﴿أَمْرًا مِنْ عِنْدِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ﴾	-148
136	6	﴿رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾	-149
138	7	﴿رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ﴾	-150
138	8	﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأُولِينَ﴾	-151
138	9	﴿بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ يَلْعَبُونَ﴾	-152
15	10	﴿فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ﴾	-153
15	11	﴿يَغشى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾	-154
15	12	﴿رَبَّنَا اكشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ﴾	-155
15	13	﴿أَنَّى لَهُمُ الذِّكْرَى وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُبِينٌ﴾	-156
146	14	﴿ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلَّمٌ مَجْنُونٌ﴾	-157
146	15	﴿إِنَّا كَاشِفُو الْعَذَابِ قَلِيلًا إِنَّكُمْ عَائِدُونَ﴾	-158
149	16	﴿يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى إِنَّا مُنتَقِمُونَ﴾	-159
153	17	﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ﴾	-160
155	18	﴿أَنْ أَدُوا إِلَيَّ عِبَادَ اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾	-161
155	19	﴿وَأَنْ لَا تَعْلُوا عَلَى اللَّهِ إِنِّي آتِيكُمْ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ﴾	-162
157	20	﴿وَإِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَنْ تَرْجُمُونِ﴾	-163
157	21	﴿وَإِنْ لَمْ تُؤْمِنُوا لِي فَاَعْتَرِلُونِ﴾	-164
159	22	﴿فَدَعَا رَبَّهُ أَنْ هَوْلَاءَ قَوْمٍ مُجْرِمُونَ﴾	-165
159	23	﴿فَأَسْرِبْ بَعِبَادِي لَيْلًا إِنَّكُمْ مُتَّبَعُونَ﴾	-166
159	24	﴿وَاتْرِكِ الْبَحْرَ رَهْوًا إِنَّهُمْ جُنْدٌ مُعْرِفُونَ﴾	-167
163	25	﴿كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعَيْونِ﴾	-168
163	26	﴿وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ﴾	-169
163	27	﴿وَنِعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ﴾	-170
163	28	﴿كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخِرِينَ﴾	-171
166	29	﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنظِرِينَ﴾	-172

168	30	﴿وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنَ الْعَذَابِ الْمُهِينِ﴾	-173
168	31	﴿مَنْ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ كَانَ عَلِيًّا مِنَ الْمُسْرِفِينَ﴾	-174
170	32	﴿وَلَقَدْ اخْتَرْنَا لَهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَىٰ الْعَالَمِينَ﴾	-175
232	32	﴿وَلَقَدْ اخْتَرْنَا لَهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَىٰ الْعَالَمِينَ﴾	-176
170	33	﴿وَأَتَيْنَاهُمْ مِنَ الْآيَاتِ مَا فِيهِ بَلَاءٌ مُّبِينٌ﴾	-177
173	34	﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ لَيَقُولُونَ﴾	-178
16	35	﴿إِنْ هِيَ إِلَّا مَوْتَتُنَا الْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُنشَرِينَ﴾	-179
173	36	﴿فَأْتُوا بِآبَاتِنَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾	-180
176	37	﴿أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمٌ تُبِعَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾	-181
178	38	﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ﴾	-182
178	39	﴿مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾	-183
180	40	﴿إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ مِيقَاتُهُمْ أَجْمَعِينَ﴾	-184
180	41	﴿يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلَىٰ عَنْ مَوْلَىٰ شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾	-185
180	42	﴿إِلَّا مَنْ رَحِمَ اللَّهُ إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾	-186
184	43	﴿إِنَّ شَجَرَتَ الرَّثُومِ﴾	-187
184	44	﴿طَعَامِ الْأَيْمِ﴾	-188
184	45	﴿كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ﴾	-189
184	46	﴿كَغَلِي الْحَمِيمِ﴾	-190
187	47	﴿خُدُوه فَاعْتَلُوهُ إِلَىٰ سَوَاءِ الْجَحِيمِ﴾	-191
187	48	﴿ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ﴾	-192
190	49	﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾	-193
192	50	﴿إِنَّ هَذَا مَا كُنْتُمْ بِهِ تَمْتَرُونَ﴾	194
194	51	﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ﴾	-195
194	52	﴿فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾	-196
197	53	﴿يَلْبَسُونَ مِنْ سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَقَابِلِينَ﴾	-197
1977	54	﴿كَذَلِكَ وَرَوَّجْنَا لَهُمْ بُحُورٍ عَيْنٍ﴾	-198
197	55	﴿يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَاكِهَةٍ آمِنِينَ﴾	-199
197	56	﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَىٰ﴾	-200
197	57	﴿فَضلاًّ مِنْ رَبِّكَ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾	-201

201	58	﴿فَاتِمَّا يَسِرَّنَاهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾	-202
201	59	﴿فَارْتَقِبْ إِنَّهُمْ مُرْتَقِبُونَ﴾	-203
سورة الجاثية			
204	1	﴿حم﴾	-204
204	2	﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾	-205
206	3	﴿إِنَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾	-206
206	4	﴿وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُتُّ مِنْ دَابَّةٍ آيَاتٍ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾	-207
209	5	﴿وَإِخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ﴾	-208
212	6	﴿تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ﴾	-209
212	6	﴿تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ﴾	-210
214	7	﴿وَيَلِّ لِكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ﴾	-211
214	8	﴿يَسْمَعُ آيَاتِ اللَّهِ تُنَلَّى عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا﴾	-212
216	9	﴿وَإِذَا عَلِمَ مِنْ آيَاتِنَا شَيْئًا اتَّخَذَهَا هُزُوًا﴾	-213
218	10	﴿مِنْ وِرَائِهِمْ جَهَنَّمُ وَلَا يُغْنِي عَنْهُمْ مَا كَسَبُوا شَيْئًا﴾	-214
218	11	﴿هَذَا هُدًى وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَهُمْ عَذَابٌ﴾	-215
222	12	﴿اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمْ الْبَحْرَ لِتَجْرِيَ الْفُلُكُ﴾	-216
222	13	﴿وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ﴾	-217
225	14	﴿قُلْ لِلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ﴾	-218
225	14	﴿قُلْ لِلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ﴾	-219
228	15	﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا﴾	-220
231	16	﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ﴾	-221
233	17	﴿وَأَتَيْنَاهُمْ بَيِّنَاتٍ مِنَ الْأَمْرِ فَمَا اخْتَلَفُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ﴾	-222
236	18	﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا﴾	-223
236	19	﴿إِنَّهُمْ لَنْ يُغْنُوا عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا﴾	-224
239	20	﴿هَذَا بَصَائِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾	-225
242	21	﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا﴾	-226
242	21	﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا﴾	-227

242	22	﴿وَخَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ﴾	-228
245	23	﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾	-229
248	24	﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا﴾	-230
248	24	﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا﴾	-231
250	25	﴿وَإِذَا نُنْتَلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ﴾	-232
252	26	﴿قُلِ اللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ﴾	-234
255	27	﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ﴾	-235
255	28	﴿وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَانِبَهُ كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰ إِلَىٰ كِتَابِهَا﴾	-236
257	29	﴿هَذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ﴾	-237
259	30	﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾	-238
259	31	﴿وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا أَفَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُنْتَلَىٰ عَلَيْكُمْ﴾	-239
261	32	﴿وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَالسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا﴾	-240
263	33	﴿وَبَدَأَ لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾	-241
264	34	﴿وَقَبِلَ الْيَوْمَ نَسَاكُمْ كَمَا نَسَيْتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا﴾	-242
264	35	﴿ذَلِكُمْ بِأَنَّكُمْ اتَّخَذْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا وَعَرَزْتُمْ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾	-243
267	36	﴿فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾	-244
268	37	﴿وَلَهُ الْكِبْرِيَاءُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾	-245
سورة محمد			
60	24	﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْفُرْقَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَفْقَالُهَا﴾	-246
سورة الحجرات			
82	13	﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾	-247
84	13	﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾	-248
سورة ق			
188	30	﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ﴾	-249
سورة القمر			
ب	22	﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾	-250
سورة الرحمن			
229	60	﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ﴾	-251

سورة الواقعة		
189	41	﴿وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ﴾
189	42	﴿فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ﴾
189	43	﴿وَوَيْلٌ مِّنْ يَّحْمُومٍ﴾
189	44	﴿لَا بَارِدٌ وَلَا كَرِيمٍ﴾
سورة المجادلة		
94	1	﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا﴾
سورة الحشر		
ب	21	﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا﴾
سورة الطلاق		
195	4	﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا﴾
سورة التحريم		
188	6	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾
سورة نوح		
160	26	﴿وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْنِي عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا﴾
سورة المرسلات		
213	50	﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ﴾
سورة القدر		
133	2	﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ﴾
133	3	﴿لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾
سورة البينة		
2	5	﴿وَمَا أُمُّرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا﴾

ثانياً: فهرس الأحاديث النبوية

م	طرف الحديث	راوي الحديث	درجة الحديث	الصفحة
1.	من لا يشكر الناس لا يشكر الله	الترمذي	صحيح	د
2.	يَا عَلِيُّ، أَمَا تَرْضَى أَنْ تَكُونَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى	أحمد	اسناده قوي على شرط مسلم	36
3.	أَتُرُونَ هَذِهِ هَيْبَةً عَلَى صَاحِبِهَا	ابن ماجة	صحيح	48
4.	مَنْ قَرَأَ حَمَّ الدُّخَانِ لَيْلَةَ الْجُمُعَةِ	الدارمي	اسناده صحيح	15
5.	إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ، انْفَطَعَ عَمَلُهُ إِلَّا	الدارمي	صحيح	37
6.	" مَنْ صَاحِبُ الْجَمَلِ؟	أحمد	صحيح على شرط مسلم	7
7.	اشْتَكَّتِ النَّارُ إِلَى رَبِّهَا، فَقَالَتْ: يَا رَبِّ أَكَلْ	البخاري	صحيح	189
8.	اطَّلَعَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَيْنَا وَنَحْنُ نَنْدَاكِرُ	مسلم	صحيح	13
9.	أَقْبَلَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَلَى فَرَسِهِ	البخاري	صحيح	199
10.	إِنَّ الشَّيْطَانَ يَجْرِي مِنْ ابْنِ آدَمَ مَجْرَى الدَّمِ	ابو داود	صحيح	101
11.	إِنَّ الصَّخْرَةَ الْعَظِيمَةَ لَتَلْقَى مِنْ شَفِيرِ جَهَنَّمَ	الترمذي	صحيح	188
12.	إِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ، وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي	البخاري	صحيح	29
13.	إِنَّ اللَّهَ زَوَى لِي الْأَرْضَ، فَرَأَيْتُ مَشَارِقَهَا	مسلم	صحيح	36
14.	إِنْ قَرِيشًا لَمَا اسْتَعَصُوا عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، دَعَا عَلَيْهِمْ	البخاري	صحيح	141
15.	إِنَّهُ لَيَأْتِي الرَّجُلُ الْعَظِيمُ السَّمِينُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ	البخاري	صحيح	50+46
16.	سُحِرَ، حَتَّى كَانَ يُحْبَلُ إِلَيْهِ أَنَّهُ صَنَعَ شَيْئًا	البخاري	صحيح	76
17.	كَانَ ﷺ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا بَارِزًا لِلنَّاسِ	مسلم	صحيح	174
18.	كُنَّ الْحَوَامِيمُ يُسَمَّيْنَ الْعَرَائِسَ	الدارمي	اسناده صحيح	20
19.	لَا تَتَّخِذُوا شَيْئًا فِيهِ الرُّوحُ عَرَضًا	مسلم	صحيح	8
20.	لَا تَزَالُ جَهَنَّمُ تَقُولُ: هَلْ مِنْ مَزِيدٍ	مسلم	صحيح	188
21.	لَا تُصَاحِبْ إِلَّا مُؤْمِنًا، وَلَا يَأْكُلْ طَعَامَكَ	أبو داود	حسن	108
22.	لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَنْزِلَ فِيكُمْ ابْنُ مَرْيَمَ	البخاري	صحيح	99
23.	لَا تَلْبَسُوا الْحَرِيرَ وَلَا الدَّبِيحَ، وَلَا تَشْرَبُوا	البخاري	صحيح	112

47	صحيح	مسلم	24. لَا تَلْبَسُوا الْحَرِيرَ وَلَا الدِّيْبَاجَ، وَلَا تَشْرَبُوا فِي
4	صحيح	البخاري	25. لَنْ يُنَجِّيَ أَحَدًا مِنْكُمْ عَمَلُهُ"
95	حسن	ابن ماجه	26. مَا ضَلَّ قَوْمٌ بَعْدَ هُدَى كَانُوا عَلَيْهِ
15	اسناده صحيح	الدارمي	27. مَنْ قَرَأَ حَمَّ فِي لَيْلَةِ الْجُمُعَةِ، أَصْبَحَ مَغْفُورًا لَهُ
77	صحيح	ابو داود	28. مَنْ كَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ قَوْمٍ عَهْدٌ فَلَا يَشُدُّ عُقْدَةَ
77	صحيح	البخاري	29. نَزَلَ أَهْلُ فُرَيْظَةَ عَلَى حُكْمِ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ

ثالثا: فهرس الأعلام المترجم لهم

الصفحة	اسم العلم الصفحة	م
92	ابن الزبيري	1
5	ابن عاشور	2
82	السدي	3
246	الصاوي	4
167	الواحدي	5
20	تميم الداري	6
20	سعد بن إبراهيم	7
245	سعيد بن جبير	8
82	سفيان الثوري	9
5	علال الفاسي	10
245	مقاتل بن سليمان	11

رابعاً: فهرس المصادر والمراجع

1. إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (المتوفى: 982هـ) ،دار إحياء التراث العربي،بيروت، بيان المعاني ،عبد القادر بن ملاً حويش السيد محمود آل غازي العاني (المتوفى: 1398هـ) ،مطبعة الترقى، دمشق، الطبعة: الأولى، 1382 هـ - 1965م.
2. أساس البلاغة، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله
3. أسباب النزول أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (المتوفى: 468هـ)، تحقيق: عصام بن عبد المحسن الحميدان ،دار الإصلاح - الدمام.
4. استخراج الجدل من القرآن الكريم ، عبد الرحمن بن نجم بن عبد الوهاب الجزري السعدي العبادي، أبو الفرج، ناصح الدين ابن الحنبلي (المتوفى: 634هـ)، تحقيق: الدكتور زاهر بن عواض الألمعي ، مطابع الفرزدق التجارية ، الطبعة: الثانية، 1401 هـ.
5. الاعتصام للشاطبي، إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي (المتوفى: 790هـ)، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، 1429 هـ ، 2008 م.
6. إعراب القرآن وبيانه، لمحيي الدين بن أحمد مصطفى درويش (المتوفى : 1403هـ)، دار الإرشاد للشئون الجامعية ،سورية ، (دار اليمامة ، دمشق ، بيروت) ، (دار ابن كثير، دمشق ، بيروت) الطبعة : الرابعة ، 1415 هـ.
7. الأعلام للزركلي خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (المتوفى: 1396هـ)الناشر: دار العلم للملايين ،الطبعة: الخامسة عشر .
8. الانتصارات الإسلامية في كشف شبه النصرانية، سليمان بن عبد القوي بن الكريم الطوفي الصرصري، أبو الربيع، نجم الدين (المتوفى: 716هـ)، تحقيق: سالم بن محمد القرني، مكتبة العبيكان ، الرياض، الطبعة: الأولى، 1419هـ.
9. شفاء الغليل ، لابي حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (المتوفى: 505هـ) الناشر: دار المعرفة، بيروت، لبنان.
10. التفسير البسيط، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (المتوفى: 468هـ) ،عمادة البحث العلمي، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الطبعة: الأولى، 1430 هـ.

11. أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (المتوفى: 685هـ)، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة: الأولى، 1418 هـ.
12. أوضح التفاسير، محمد محمد عبد اللطيف بن الخطيب (المتوفى: 1402هـ)، المطبعة المصرية ومكتبتها، الطبعة: السادسة، رمضان 1383 هـ، فبراير 1964 م.
13. أيسر التفاسير للجزائري، جابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر أبو بكر الجزائري، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الخامسة، 1424هـ/2003م.
14. بحر العلوم، أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي (المتوفى: 373هـ).
15. البحر المحيط في التفسير، أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (المتوفى: 745هـ)، تحقيق: صدقي محمد جميل، الطبعة: 1420 هـ.
16. البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، أبو العباس أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبه الحسني الأنجري الفاسي الصوفي (المتوفى: 1224هـ)، تحقيق: أحمد عبد الله القرشي رسلان، الدكتور حسن عباس زكي، القاهرة، الطبعة: 1419 هـ.
17. بيان المعاني، عبد القادر بن ملاً حويش السيد محمود آل غازي العاني (المتوفى: 1398هـ)، مطبعة الترقى، دمشق، الطبعة: الأولى، 1382 هـ، 1965 م.
18. تاج العروس من جواهر القاموس، لمحمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، أبو الفيض، الملقب بمرتضى، الزبيدي (المتوفى: 1205هـ)، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية.
19. تأويلات أهل السنة، محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي (المتوفى: 333هـ)، تحقيق: د. مجدي باسلوم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة: الأولى، 1426 هـ، 2005 م، مدارك التنزيل وحقائق التأويل (3/ 270) أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي (المتوفى: 710هـ)، حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي بديوي، راجعه وقدم له: محيي الدين ديب مستو، دار الكلم الطيب، بيروت، الطبعة: الأولى، 1419 هـ، 1998 م، الدر المنثور في التفسير بالمأثور، للسيوطي
20. التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى: 1393هـ)، دار التونسية للنشر، تونس، 1984هـ.
21. التحصين من كيد الشياطين، د خالد بن عبد الرحمن بن علي الجريسي.
22. تحقيق القول في مسألة: عيسى كلمة الله والقرآن كلام الله، لتقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: 72هـ)، تحقيق: قسم التحقيق بدار النشر، دار الصحابة للتراث، طنطا، مصر.

23. التسهيل لعلوم التنزيل ، أبو القاسم، محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله، ابن جزى الكلبى الغرناطى (المتوفى: 741هـ)، تحقيق: الدكتور عبد الله الخالدي ، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم ، بيروت ، الطبعة: الأولى، 1416 هـ.
24. التشريع الإسلامي صالح للتطبيق في كل زمان ومكان ، محمد فهمي علي أبو الصفا، الجامعة الإسلامية ، الطبعة: السنة العاشرة، العدد الأول، جمادى الآخرة 1397هـ مايو ،يونية 1977 م .
25. تفسير ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: 774هـ) ،تحقيق: محمد حسين شمس الدين ،دار الكتب العلمية، بيروت ، الطبعة: الأولى - 1419 هـ.
26. تفسير السعدي، تيسير الكريم الرحمن، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (المتوفى: 1376هـ)،تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة ، الطبعة: الأولى 1420هـ - 2000 م .
27. تفسير القرآن العزيز، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عيسى بن محمد المري، الإلبيري المعروف بابن أبي زَمِين المالكي (المتوفى: 399هـ)،تحقيق: أبو عبد الله حسين بن عكاشة - محمد بن مصطفى الكنز ،الفاروق الحديثة ، مصر/ القاهرة، الطبعة: الأولى، 1423هـ ، 2002م
28. تفسير القرآن، لأبو محمد عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن الحسن السلمي الدمشقي، الملقب بسلطان العلماء (المتوفى: 660هـ) ،تحقيق: الدكتور عبد الله بن إبراهيم الوهبي، دار ابن حزم ، بيروت ، الطبعة: الأولى، 1416هـ/ 1996م.
29. تفسير المراغي، أحمد بن مصطفى المراغي (المتوفى: 1371هـ)، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة: الأولى، 1365 هـ - 1946 م .
30. تفسير المراغي، لأحمد بن مصطفى المراغي (المتوفى: 1371هـ) ، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر ، الطبعة: الأولى، 1365 هـ، 1946 م .
31. التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج. د وهبة بن مصطفى الزحيلي ،دار الفكر المعاصر، دمشق ، الطبعة : الثانية ، 1418 هـ .
32. التفسير الواضح، الحجازي، محمد محمود ، دار الجيل الجديد ، بيروت ، الطبعة: العاشرة ، 1413 هـ.
33. التفسير الوسيط ، محمد سيد طنطاوي ،دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة ، القاهرة ، الطبعة: الأولى.
34. التفسير الوسيط، د وهبة بن مصطفى الزحيلي، دار الفكر، دمشق ، الطبعة: الأولى، 1422 هـ .
35. تفسير غريب القرآن ، كاملة بنت محمد بن جاسم بن علي آل جهام الكواري ، دار ابن حزم ، الطبعة: الأولى، 2008.

36. تفسير مجاهد أبو الحجاج مجاهد بن جبر التابعي المكي القرشي المخزومي (المتوفى: 104هـ)، تحقيق الدكتور محمد عبد السلام أبو النيل، دار الفكر الإسلامي الحديثة، مصر، الطبعة: الأولى، 1410 هـ ، 1989 م.
37. تنوير المقباس من تفسير ابن عباس ، لعبد الله بن عباس - رضي الله عنهما ، (المتوفى: 68هـ) جمعه: الفيروز آبادي (المتوفى: 817هـ)، دار الكتب العلمية ، لبنان.
38. تهذيب اللغة، محمد بن أحمد بن الأزهر الهروي، أبو منصور (المتوفى: 370هـ)، تحقيق: محمد عوض مرعب ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، الطبعة: الأولى، 2001م.
39. التوقيف على مهمات التعاريف ، لزين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري (المتوفى: 1031هـ)، عالم الكتب 38، عبد الخالق ثروت، القاهرة ، الطبعة: الأولى، 1410هـ، 1990م.
40. جامع البيان محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: 310هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، 1420 هـ ، 2000 م.
41. جامع البيان في تأويل القرآن ،لمحمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: 310هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، 1420 هـ - 2000 م.
42. الجامع لأحكام القرآن، لأبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: 671هـ)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش ،دار الكتب المصرية ، القاهرة ، الطبعة: الثانية، 1384هـ - 1964 م.
43. الجنة والنار، عمر بن سليمان بن عبد الله الأشقر العنبيي ، دار النفائس للنشر والتوزيع، الأردن ، الطبعة: السابعة، 1418 هـ ، 1998 م.
44. الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، لثقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: 728هـ)، تحقيق: علي بن حسن ،عبد العزيز بن إبراهيم ، حمدان بن محمد، دار العاصمة ، السعودية، الطبعة: الثانية، 1419هـ ، 1999م.
45. الحجة للقراء السبعة ، الحسن بن أحمد بن عبد الغفار الفارسي الأصل، أبو علي (المتوفى: 377هـ) ، تحقيق: بدر الدين قهوجي ،بشير جويجابي.
46. الحذر من السحر، د خالد بن عبد الرحمن بن علي الجريسي، مؤسسة الجريسي للتوزيع والإعلان، الرياض.
47. حكم السحر والكهانة وما يتعلق بها عبد العزيز بن عبد الله بن باز (المتوفى: 1420هـ)، الكتاب منشور على موقع وزارة الأوقاف السعودية بدون بيانات.

48. الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، أبو العباس، شهاب الدين، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي (المتوفى: 756هـ)، تحقيق: الدكتور أحمد محمد الخراط ، دار القلم، دمشق.
49. الدر المنثور في التفسير بالمأثور، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: 911هـ) ، دار الفكر ، بيروت.
50. رسم الأهداف ، أبو ذر عبد القادر بن مصطفى بن عبد الرزاق المحمدي.
51. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ،شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألويسي (المتوفى: 1270هـ) ،تحقيق: علي عبد الباري عطية،دار الكتب العلمية ، بيروت ،الطبعة: الأولى، 1415 هـ.
52. زاد المسير في علم التفسير، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي
53. سنن ابن ماجه، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، وماجة اسم أبيه يزيد (المتوفى: 273هـ)
54. سنن أبي داود ، سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السَّجِسْتَانِي (المتوفى: 275هـ)
55. سنن الدارمي ، أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بهرام بن عبد الصمد الدارمي، التميمي السمرقندي (المتوفى: 255هـ).
56. شفاء الغليل في بيان الشبهة والمخيل ومسالك التعليل، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (المتوفى: 505هـ).
57. السبعة في القراءات ، لأحمد بن موسى بن العباس التميمي، أبو بكر بن مجاهد البغدادي (المتوفى: 324هـ) تحقيق: شوقي ضيف دار المعارف - مصر ، الطبعة: الثانية، 1400هـ.
58. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ، لأبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (المتوفى: 393هـ) ،تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار ،دار العلم للملايين ،بيروت ،الطبعة: الرابعة 1407 هـ ، 1987 م .
59. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري
60. صحيح البخاري، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي
61. صحيح مسلم ، المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: 261هـ)
62. صفوة النفايس ، محمد علي الصابوني، دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة ، لطبعة: الأولى 1417 هـ ، 1997 م .

63. عالم الجن والشياطين عمر بن سليمان بن عبد الله الأشقر العنبي ، مكتبة الفلاح، الكويت ، الطبعة: الرابعة، 1404 هـ - 1984 م.
64. عقيدة الولاء و البراء (1 / 1، بترقيم الشاملة آليا) محمد أحمد إسماعيل المقدم ، مصدر الكتاب: دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية.
65. علم المقاصد الشرعية نور الدين بن مختار الخادمي ،مكتبة العبيكان ،الطبعة: الأولى 1421هـ، 2001.
66. العين ، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (المتوفى: 170هـ)،تحقيق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي ،دار ومكتبة الهلال.
67. العين، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (المتوفى: 170هـ)
68. العين، للفراهيدي
69. غريب الحديث لابن الجوزي ، لجمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: 597هـ)،تحقيق: الدكتور عبد المعطي أمين القلعجي، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ،الطبعة: الأولى، 1405، 1985.
70. غريب القرآن أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (المتوفى: 276هـ) ، تحقيق: سعيد اللحام.
71. فتح البيان في مقاصد القرآن، أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القنوجي (المتوفى: 1307هـ)،عني بطبعه وقدم له وراجعته: خادم العلم عبد الله بن إبراهيم الأنصاري ،المكتبة العصرية للطباعة والنشر، صيدا - بيروت ، 1412 هـ - 1992 م .
72. فتح القدير ، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: 1250هـ)،دار ابن كثير، دار الكلم الطيب ، دمشق، بيروت ،الطبعة: الأولى ،1414 هـ.
73. الفوائد في اختصار المقاصد أبو محمد عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن الحسن السلمي الدمشقي، الملقب بسلطان العلماء (المتوفى: 660هـ)،تحقيق: إياد خالد الطباع ،دار الفكر المعاصر ، دار الفكر - دمشق ،الطبعة: الأولى، 1416.
74. في ظلال القرآن، سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي (المتوفى: 1385هـ) ،دار الشروق ،بيروت، القاهرة ،الطبعة: السابعة عشر - 1412 هـ.
75. القاموس المحيط مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (المتوفى: 817هـ)،تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة،مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ، لبنان ،الطبعة: الثامنة، 1426 هـ ، 2005 م.
76. القول المفيد على كتاب التوحيدمحمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى: 1421هـ)،دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية،

77. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل ، لأبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: 538هـ) ،دار الكتاب العربي ، بيروت ،الطبعة: الثالثة - 1407 هـ.
78. الكشف والبيان عن تفسير القرآن لأحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أبو إسحاق (المتوفى: 427هـ)،تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور ،دار إحياء التراث العربي، بيروت ، لبنان، الطبعة: الأولى 1422، هـ ، 2002 م.
79. كيف تتخلص من السحر ، لعبد الله بن محمد بن أحمد الطيار، دار المتعلم، الزلفي، المملكة العربية السعودية ، الطبعة: الأولى 1424هـ،2003 م.
80. اللباب في علوم الكتاب، أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني (المتوفى: 775هـ)، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض ،دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ،الطبعة: الأولى، 1419 هـ ،1998م.
81. لسان العرب، لمحمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي (المتوفى: 711هـ) ،دار صادر ، بيروت ،الطبعة: الثالثة ، 1414 هـ.
82. لطائف الإشارات، تفسير القشيري، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري (المتوفى: 465هـ)،تحقيق: إبراهيم البسيوني،الهيئة المصرية العامة للكتاب ،مصر.
83. لطائف الإشارات، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري (المتوفى: 465هـ) ،تحقيق: إبراهيم البسيوني ،الهيئة المصرية العامة للكتاب ، مصر ،الطبعة: الثالثة.
84. المبسوط في القراءات العشر، أحمد بن الحسين بن مهران النيسابوري، أبو بكر (المتوفى: 381هـ)، تحقيق: سبيع حمزة حاكيمي.
85. محاسن التأويل، محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (المتوفى: 1332هـ)،تحقيق: محمد باسل عيون السود،دار الكتب العلمي، بيروت،الطبعة: الأولى، 1418 هـ.
86. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لأبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (المتوفى: 542هـ) ،تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد ، دار الكتب العلمية ، بيروت ،الطبعة: الأولى ، 1422 هـ.
87. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لابن عطية، الفواتح الإلهية والمفاتيح الغيبية
88. مختار الصحاح لزين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (المتوفى: 666هـ)،تحقيق: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية ، الدار النموذجية، بيروت ، صيدا ،الطبعة: الخامسة، 1420 هـ ، 1999م.
89. مسند أحمد، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: 241هـ).
90. مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور، لإبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي ،مكتبة المعارف ، الرياض.

91. المصباح المنير في غريب الشرح الكبير ، أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبو العباس (المتوفى: نحو 770هـ)، المكتبة العلمية ، بيروت.
92. مصحف القراءات العشر (ص:499) ، لأبو العلا محمد أبو العلا، من طريق الشاطبية والدرة.
93. معالم التنزيل في تفسير القرآن ، محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي (المتوفى: 510هـ) ، تحقيق: حقه وخرج أحاديثه محمد عبد الله النمر ، عثمان جمعة ضميرية ، سليمان مسلم الحرش ، دار طيبة للنشر والتوزيع ، الطبعة: الرابعة، 1417 هـ ، 1997 م ،
94. معاني القرآن وإعراجه ، للزجاج ، إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج (المتوفى: 311هـ)، عالم الكتب، بيروت ، الطبعة: الأولى 1408 هـ ، 1988 م .
95. معجم اللغة العربية المعاصرة، د أحمد مختار عبد الحميد عمر (المتوفى: 1424هـ) بمساعدة فريق عمل ، عالم الكتب ، الطبعة: الأولى، 1429 هـ ، 2008 م .
96. المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، لإبراهيم مصطفى ، أحمد الزيات ، حامد عبد القادر ، محمد النجار، دار الدعوة.
97. مفاتيح الغيب، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: 606هـ) ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، الطبعة: الثالثة، 1420 هـ .
98. مفهوم الولاء و البراء في القرآن والسنة، علي بن نايف الشحود، الطبعة: الأولى، 1433 هـ ، 2012 م .
99. مقاصد الشريعة الإسلامية وعلاقتها بالأدلة الشرعية،، لمحمد بن سعد بن أحمد بن سعود اليبوي.
100. مقاصد الشريعة الإسلامية ومكارمها.، لعلال الفاسي ، دار الغرب الإسلامي.
101. مقاصد الشريعة الإسلامية، لمحمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى، 1393هـ)، دار البصائر، الطبعة الأولى، 1998 م .
102. المقاصد العامة للشريعة الإسلامية، ليوسف حامد العالم، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، الطبعة الثانية، 1415هـ\1994م .
103. مقاييس اللغة، لأحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: 395هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون ، دار الفكر، 1399هـ ، 1979م .
104. نظرية المقاصد عند الإمام الشاطبي، أحمد الريسوني ،الدار العالمية للكتاب الإسلامي ، الطبعة: الثانية 1412 هـ ، 1992م .
105. نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، عدد من المختصين بإشراف الشيخ/ صالح بن عبد الله بن حميد إمام وخطيب الحرم المكي، دار الوسيلة للنشر والتوزيع، جدة ، الطبعة : الرابعة.

106. نعمة الله بن محمود النخجواني، ويعرف بالشيخ علوان (المتوفى: 920هـ)، دار ركابي للنشر، الغورية، مصر، الطبعة: الأولى، 1419 هـ، 1999 م. تفسير جامع البيان، للطبري
107. النكت والعيون، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي
108. النهاية في غريب الحديث والأثر، لمجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير (المتوفى: 606هـ)، المكتبة العلمية، بيروت، 1399هـ - 1979م، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي، نور التقوى وظلمات المعاصي في ضوء الكتاب والسنة، د. سعيد بن علي بن وهف القحطاني.
109. الهداية إلى بلوغ النهاية، أبو محمد مكي بن أبي طالب حَمَّوش بن محمد بن مختار القيسي القيرواني ثم الأندلسي القرطبي المالكي (المتوفى: 437هـ)، تحقيق: مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي، جامعة الشارقة، بإشراف أ. د: الشاهد البوشيخي، مجموعة بحوث الكتاب والسنة، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة الشارقة، الطبعة: الأولى، 1429 هـ، 2008، م.
110. الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لأبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (المتوفى: 468هـ)، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، دار القلم، الدار الشامية، دمشق، بيروت، الطبعة: الأولى، 1415 هـ.
111. الولاء و البراء في الإسلام، محمد بن سعيد بن سالم القحطاني، تقديم: فضيلة الشيخ عبد الرزاق عفيفي، دار طيبة، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى.
112. الولاء و البراء والعداء في الإسلام، أبو فيصل البدراني.

مراجع من الشبكة العنكبوتية

113. موقع منبر التربية: <http://www.minbr.com/bhaoth7.php>.
114. <http://ar.wikipedia.org/wiki>
115. <http://www.zaharuddin.com/v1/Maqasid%20Shariah.htm>

خامسا: فهرس الموضوعات

م	الموضوع	الصفحة
	الآيات القرآنية	ب
	الإهداء	ج
	الشكر والتقدير	د
	المقدمة	هـ
التمهيد		
	المبحث الأول : تعريف الدراسة التحليلية والمقاصد والأهداف:	1
	المطلب الأول تعريف الدراسة التحليلية وبيان متطلباتها.	1
	المقصود بالدراسة التحليلية:	1
	متطلبات الدراسة التحليلية:	2
	المطلب الثاني: تعريف المقاصد والأهداف وبيان أهميتها.	3
	تعريف مقاصد وأهداف السور والآيات	3
	تعريف المقاصد لغة:	3
	تعريف المقاصد: اصطلاحاً	5
	مراتب المقاصد عند الغزالي:	6
	تعريف الأهداف لغة واصطلاحاً:	6
	الأهداف لغة:	6
	الأهداف اصطلاحاً:	7
	أهمية معرفة مقاصد وأهداف السور والآيات.	8
	أهم المصنفات في مقاصد وأهداف السور والآيات:	10
	المبحث الثاني: تعريف عام بسورة الدخان	13
	أسماء السورة وعدد آياتها	13
	مكان وزمان نزول السورة	14
	فضائل السورة وجو نزولها	15
	محور السورة وخطوطها الرئيسية	16
	موضوعات السورة ومقاصدها العامة	16
	المبحث الثالث: تعريف عام بسورة الجاثية	18
	أسماء السورة وعدد آياتها	19

19	مكان وزمان نزول السورة
20	فضائل السورة وجو نزولها
21	محور السورة وخطوطها الرئيسية
21	موضوعات السورة ومقاصدها العامة
الفصل الأول	
24	المبحث الأول: المقاصد والأهداف لسورة الزخرف الآيات (24-29)
25	المطلب الأول: إتباع هدى القرآن الكريم .
28	المطلب الثاني: عاقبة المكذبين.
31	المطلب الثالث: وجوب البراءة من الشرك والمشركين.
35	المطلب الرابع: فضيلة من يورث أولاده هدى وصلاً.
38	المطلب الخامس: تعنيف الكفار بسبب تكذيبهم للحق.
40	المبحث الثاني: المقاصد والأهداف لسورة الزخرف الآيات (30-35)
41	المطلب الأول: ادعاء الكفار بان القرآن سحر.
44	المطلب الثاني: الحكم لله وحده.
45	المطلب الثالث: هوان الدنيا على الله عز وجل.
47	المطلب الرابع: الميل للدنيا و بيان زينتها.
49	المطلب الخامس: متاع الدنيا زائل.
51	المبحث الثالث: المقاصد والأهداف لسورة الزخرف الآيات (36-40).
52	المطلب الأول: تسليط الشيطان على جاحد الحق.
54	المطلب الثاني: الشيطان لا يتورع عن صد الإنسان.
55	المطلب الثالث: براءة الكافر من الشيطان يوم القيامة.
58	المطلب الرابع: الشياطين والكفار يعذبون يوم القيامة.
60	المطلب الخامس: إن هدى الله هو الهدى .
62	المبحث الرابع: المقاصد والأهداف لسورة الزخرف الآيات (41-46).
63	المطلب الأول: سنة الله في المتأمرين على شخص رسول الله.
65	المطلب الثاني: صدق وعد الله تعالى لرسوله.
67	المطلب الثالث: وجوب التمسك بالكتاب والسنة اعتقاداً وعملاً.
68	المطلب الرابع: شرف الله هذه الأمة بالقرآن.
71	المبحث الخامس: المقاصد والأهداف لسورة الزخرف الآيات (47-51)

72	المطلب الأول: الآيات دليل على صدق الرسول ﷺ.
74	المطلب الثاني: السحر وبطلان إتهام موسى ﷺ به.
77	المطلب الثالث: حرمة خلف الوعد ونكث العهد.
79	المطلب الرابع: الفخر والمباهاة من صفات المتكبرين.
81	المبحث السادس: المقاصد والأهداف لسورة الزخرف الآيات (52-56).
82	المطلب الأول: حرمة احتقار الفقراء.
85	المطلب الثاني: الفسق أداة للظالم .
87	المطلب الثالث: التحذير من غضب الرب تبارك وتعالى.
88	المطلب الرابع: قَوْمَ فِرْعَوْنَ عبرة لمن بعدهم.
الفصل الثاني	
90	المبحث الأول: المقاصد والأهداف لسورة الزخرف الآيات (57-64).
91	المطلب الأول: بيان رسالة عيسى إلى بني إسرائيل.
93	المطلب الثاني: بيان أن قريشاً أوتيت الجدل والقوة في الخصومة.
94	المطلب الثالث: ذم القران الجدل الباطل .
96	المطلب الرابع: شرف عيسى وعلو مكانته.
100	المطلب الخامس: حرمة إتباع الشيطان.
102	المبحث الثاني: المقاصد والأهداف لسورة الزخرف الآيات (65-73).
103	المطلب الأول: بيان شؤم الخلاف، وآثاره.
105	المطلب الثاني: تقرير البعث والجزاء.
106	المطلب الثالث: الصحبة في الله.
109	المطلب الرابع: الجمع بين الزوجين المؤمنين في الجنة.
110	المطلب الخامس: بيان نعيم أهل الجنة.
113	المبحث الثالث: المقاصد والأهداف لسورة الزخرف الآيات (74-80).
114	المطلب الأول: بيان عقوبة الشرك.
116	المطلب الثاني: عذاب الآخرة أشد وأنكى.
118	المطلب الثالث: من عوامل كراهية الحق حب الدنيا.
121	المبحث الرابع: المقاصد والأهداف لسورة الزخرف الآيات (81-89).
122	المطلب الأول: بطلان نسبة الولد لله تعالى.
125	المطلب الثاني: الشفاعة لله وحده.

127	المطلب الثالث:.. مشروعية التلطف في الخطاب مع المخاطب.
129	المطلب الرابع: مشروعية الصفح الجميل.
131	المبحث الخامس :المقاصد والأهداف لسورة الدخان الآيات (1-8).
132	المطلب الأول: بيان فضل ليلة القدر.
134	المطلب الثاني: الإيمان بالقضاء والقدر وإثبات اللوح المحفوظ.
136	المطلب الثالث: إرسال الرسل رحمة للعباد.
138	المطلب الرابع:الموت والحياة بيد الله تعالى.
140	المبحث السادس: المقاصد والأهداف لسورة الدخان الآيات (9-16)
141	المطلب الأول: صدق الوعد واستجابة الدعاء.
144	المطلب الثاني: الإيمان عند معاينة العذاب لا يجدي ولا ينفع.
146	المطلب الثالث: كفر و جحود قريش بدعوة الإسلام.
149	المطلب الرابع: صدق إخبار القرآن بالغيب.
الفصل الثالث	
152	المبحث الأول :المقاصد والأهداف لسورة الدخان الآيات (17-24).
153	المطلب الأول: التشابه بين كفار قريش و فرعون.
155	المطلب الثاني: الاعتبار بالأمم المكذبة الهالكة.
157	المطلب الثالث: وجوب الاستعاذة بالله تعالى.
159	المطلب الرابع: مشروعية الدعاء على الظالمين.
162	المبحث الثاني :المقاصد والأهداف لسورة الدخان الآيات (25-32).
163	المطلب الأول: سنة الله في سلب النعم وإنزال النقم بمن كفر.
166	المطلب الثاني: هوان أهل الكفر والفسق على الله .
168	المطلب الثالث: ذم التكبر والإسراف.
170	المطلب الرابع: الابتلاء بالخير والشر فتنة.
172	المبحث الثالث: المقاصد والأهداف لسورة الدخان الآيات (33-40).
173	المطلب الأول: الإجرام هو سبب الهلاك والدمار .
176	المطلب الثاني: تقرير عقيدة البعث والجزاء.
178	المطلب الثالث: تنزه الرب تعالى عن اللعب والعبث .
180	المطلب الرابع: لا تنفع قرابة ولا خلة يوم القيامة إلا المتقين.
183	المبحث الرابع : المقاصد والأهداف لسورة الدخان الآيات (41-49).

184	المطلب الأول: الزقوم طعام أهل النار .
187	المطلب الثاني: عظم عذاب النار .
190	المطلب الثالث: من أنواع العذاب في النار العذاب النفسي .
192	المطلب الرابع: استحقاق العذاب بالكافرين .
193	المبحث الخامس :المقاصد والأهداف لسورة الدخان الآيات (50-59).
194	المطلب الأول: فضل التقوى وكرامة أهلها .
197	المطلب الثاني: نعيم أهل الجنة.
201	المطلب الثالث: العبرة والعظة بالقرآن.
203	المبحث السادس :المقاصد والأهداف لسورة الجاثية الآيات (1-5).
204	المطلب الأول: عظم شأن القرآن الكريم.
206	المطلب الثاني: دلائل وآيات.
209	المطلب الثالث: فضل استخدام العقل السليم في الخير والنفع.
211	المبحث السابع :المقاصد والأهداف لسورة الجاثية الآيات (6-11).
212	المطلب الأول: الهداية بنور القرآن.
214	المطلب الثاني: التشديد على أهل الإفك والآثام.
216	المطلب الثالث: شر الناس الذي يستهزأ بآيات الله.
218	المطلب الرابع: لم يغن عن المشرك كفره الله.
الفصل الرابع	
221	المبحث الأول: المقاصد والأهداف لسورة الجاثية الآيات (12-15).
222	المطلب الأول: بيان حكمة الإنعام الإلهي على العبد.
225	المطلب الثاني: جواز الصفح عن الكفار في حال ضعف المسلمين.
228	المطلب الثالث: المرء لا يؤخذ بذنب غيره.
230	المبحث الثاني :المقاصد والأهداف لسورة الجاثية الآيات (16-20).
231	المطلب الأول: المراد بتفضيل الله تعالى بني إسرائيل.
233	المطلب الثاني: كفر أهل الكتاب كان حسداً للنبي ﷺ وقومه.
236	المطلب الثالث: وجوب لزوم تطبيق الشريعة الإسلامية.
239	المطلب الرابع: القرآن كتاب هداية وإصلاح.
241	المبحث الثالث :المقاصد والأهداف لسورة الجاثية الآيات (21-26).
242	المطلب الأول: بطلان اعتقاد الكافرين في مساواة الناس في الجزاء.

245	المطلب الثاني: التنديد بالهوى والتحذير من إتياعه.
248	المطلب الثالث: الرد على الدهريين المنكرين للبعث.
250	المطلب الرابع: بطلان أدلة الكفر.
252	المطلب الخامس : العلم الصحيح منبثق عن الوحي.
254	المبحث الرابع: المقاصد والأهداف لسورة الجاثية الآيات (27-32) .
255	المطلب الأول: تقرير عقيدة البعث والجزاء.
257	المطلب الثاني: كتابة أعمال العباد.
259	المطلب الثالث: الإيمان والعمل الصالح سبب الفوز، و الكفر سبب الخسران.
261	المطلب الرابع: الظن في العقائد كالكفر بها.
262	المبحث الخامس: المقاصد والأهداف لسورة الجاثية الآيات (33-37).
263	المطلب الأول: الاستهزاء بآيات الله وشرائعه كفر.
264	المطلب الثاني: الجزاء من جنس العمل.
267	المطلب الثالث: مشروعية الشكر على النعم.
268	المطلب الرابع: الكبرياء لله وحده.
270	الخاتمة
274	فهرس الآيات القرآنية.
285	فهرس الأحاديث النبوية.
287	فهرس الأعلام المترجم لهم.
288	فهرس المصادر والمراجع.
297	فهرس الموضوعات.
303	ملخص الرسالة بالعربية.
304	الملخص باللغة الإنجليزية

ملخص الرسالة

الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف الحزب الخمسين من القرآن الكريم

" سورة الزخرف الآيات:24-89"سورة الدخان الآيات:1-59 سورة الجاثية الآيات: 1-37"

جاء البحث في مقدمة وتمهيد وأربعة فصول وخاتمة، وذلك على النحو الآتي:

المقدمة : وتشمل: أهمية الموضوع وأسباب اختياره ، أهداف البحث ، الدراسات السابقة ، منهج البحث، خطة البحث.

التمهيد: يبين الدراسة التحليلية ومتطلباتها، ومقاصد السور وأهميتها، وطرق معرفتها، والمصنفات فيها، وفيه

التمهيد: ويشتمل على ثلاثة مباحث:

المبحث الأول : تعريف الدراسة التحليلية والمقاصد والأهداف ، تعريف الدراسة التحليلية وبيان متطلباتها، تعريف المقاصد والأهداف وبيان أهميتها.

المبحث الثاني: تعريف عام بسورة الدخان.

المبحث الثالث: تعريف عام بسورة الجاثية.

الفصل الأول: يشتمل على ستة مباحث، وتناول فيها مقاصد الآيات (لسورة الزخرف 24-29).

الفصل الثاني: اشتمل على ستة مباحث، وتناول فيها مقاصد الآيات (لسورة الزخرف 57-89سورة، الدخان الايات1-16).

الفصل الثالث: يشتمل على سبعة مباحث، وتناول فيها مقاصد الآيات (لسورة الدخان 17-59 ،سورة الجاثية الايات1-11).

الفصل الرابع: يشتمل على خمسة مباحث، وتناول فيها مقاصد الآيات(لسورة الجاثية الايات12-37).
الخاتمة : تضمنت أهم النتائج والتوصيات.

Abstract

Analytical study of the purposes and objectives of the fifty Party of the Koran "Zukhruf verses: 24-89" Surat AIDOKHAN verses: verses 1-59 Surat Jaathiyah: 1-37 " The researcher explained the purposes of the Party of the fifty "Zukhruf verses: 24. Al Jaathiyah verses: 37"

, And it was at the forefront of research pave the four chapters and conclusion, and are as follows:

Introduction: include: the importance of the subject and the reasons for his choice, research objectives, the previous studies, the research methodology, the research plan. preserve: explain analytical study requirements, purposes of the fence and its importance methods of knowledge works in them, in it

preserve: and it included three sections:

First topic: Definition of analytical study intents and purposes, the definition of the analytical study and the statement of requirements, definition of goals and objectives and the statement of significance.

The second topic: general definition Surat Aldokhan.

Third topic: the general definition Surat Jaathiyah.

Chapter One: included six sections, explain the purposes of the verses) to Zukhruf 24-29).

Chapter II: included six sections, explain the purposes of the verses) to Zukhruf 57-89sorht, Alayat1-16).

Chapter III: included seven sections, explain the purposes of the verses) of Sura 17-59 Aldokhan, Surat Jaathiyah Alayat1-11).

Chapter IV: included five topics, explain the purposes of the verses (of the Al Jaathiyah Alayat12-37).

Conclusion: included findings and recommendations.